الأربعين
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

الأربعين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تعنى بنشر البحوث والدراسات في العلوم الإنسانية

تصدر عن

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

المجلد الرابع ، السنة الرابعة ، رمضان ١٤٤٧ هـ ، اذار ٢٠٢٦ م ، الملحق(٧)

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي التاسع لزيارة الاربعين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تعنى بنشر البحوث والدراسات

في العلوم الإنسانية

* * *

المجلد الرابع ، السنة الرابعة ،الملحق (٧)

رمضان ١٤٤٧هـ - آذار ٢٠٢٦م

* * *

جمهورية العراق - محافظة كربلاء المقدسة

العتبة الحسينية المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

* * *

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

ببغداد (٢٦١٠) لسنة ٢٠٢٣م

* * *

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى:

مجلة الاربعين - مركز كربلاء للدراسات والبحوث

* * *

E-mail: arbnj.k.center@gmail.com

* * *

ص. ب (٤٢٨) كربلاء

* * *

الهاتف:

٠٠٩٦٤٧٧٥٣٣٢٠٦٦

* * *

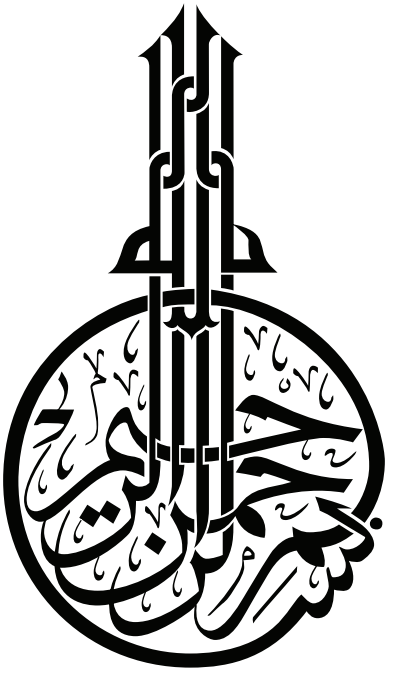

رئيس التحرير: أ.د. نذير جبار حسين الهنداوي

المعاون العلمي في مركز كربلاء للدراسات والبحوث

مدير التحرير: أ.م.د. ثامر مكي علي الشمري

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

هيأة التحرير	مكان العمل
أ.د. حسين سيد نور الاعرجي	(كلية التربية/ جامعة واسط/ العراق)
أ.د. برزان ميسر حامد	(كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل/ العراق)
أ.د. اياد محمد علي الارناؤوطي	(كلية الآداب/ جامعة بغداد/ العراق)
أ.د. طلال خليفة سلمان	(كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ العراق)
أ.د. عبد علي كاظم الفتلاوي	(كلية العلوم السياحية / جامعة كربلاء/ العراق)
أ.د. وجدان صالح عباس محمد	(كلية الاداب/ جامعة الكوفة / العراق)
ا.د. فاضل مدب المسعودي	(كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الكوفة/ العراق)
أ.د. صلاح الدين العامري	(المعهد العالي للحضارة الإسلامية/ جامعة الزيتونة/ تونس)
أ.د. نور الدين أبو لحية	(كلية العلوم الإسلامية/جامعة الجزائر/ الجزائر)
أ.د. عادل محمد زيادة	(كلية الاثار/ جامعة القاهرة / مصر)
أ.د. حنا جميل إسكندر	(كلية الدراسات الشرق أوسطية/جامعة سليمان الدولية/ لبنان)
أ.د. رسول جعفريان	(مكتبة تاريخ الإسلام وإيران التخصصية/ إيران)
أ.د. وانغ يو يونغ	(البحث العلمي للدراسات الدولية/ جامعة شانغهاي/ الصين)
ا.د. رنا سعد الصوفي	(معهد دراسة الثقافة والدين الإسلامي/ جامعة جوته/ المانيا)
ا.م.د غصون مزهر حسين	(كلية الأداب/ الجامعة المستنصرية/ العراق)
ا.م.د كامل جاسم دهش	(كلية التربية الأساسية/ جامعة ميسان/ العراق)
أ.م.د. جعفر علي عاشور	(كلية الآداب/ جامعة اهل البيت/ العراق)
أ.م.د. مؤيد ناجي أحمد	(الكلية التربوية المفتوحة/ وزارة التربية/ العراق)
م.د. علاء عبد الهادي المالكي	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث/ العراق)
م.د. محمد جمال الطيف	(كلية العلوم السياحية/ جامعة اهل البيت/العراق)
د. محمد رضا النواب	(كلية العلوم الاجتماعية للإعلام والوسائط/ إيران)

المراجعة اللغوية

اللغة العربية

أ.د. أياد محمد علي الارناؤوطي (جامعة بغداد)

أ.م.د جعفر علي عاشور (جامعة أهل البيت)

اللغة الانكليزية

أ.م.د. مؤيد ناجي أحمد (الكلية التربوية المفتوحة-بغداد)

اللغة الفارسية

أ.د. عبد علي كاظم الفتلاوي (جامعة كربلاء)

م.د. محمد جمال الطيف (جامعة وارث الأنبياء)

الاخراج الفني

عماد محمد البيرماني

نبأ حيدر الشمري

بيداء غالب الموسوي

أهداف المجلة :

١. حفظ زيارة الاربعين وتوثيقها كشعيرة دينية- اجتماعية بأحدث طرق التوثيق والعرض الحديثة ورصد تأثيراتها على الفرد والمجتمع.
٢. الوقوف على المتطلبات الأساسية لزيارة الأربعين وتأمين احتياجاتها في مختلف المجالات والابعاد.
٣. استلهام الدروس والعبر من ثورة الأمام الحسين عليه السلام في تعزيز مفاهيم الوحدة والسلام ومواجهة حرب الأفكار الناعمة.
٤. ربط المفاهيم القرآنية والدينية والعقدية بالموروث الحسيني وزيارة الاربعين لزيادة الثقافة والوعي لدى الأسرة والشباب.
٥. رصد التحديات التي تواجه الزائرين في القطاعات الخدمية كافة، وتقديم سبل معالجتها ووضع الحلول لها علمياً وعملياً
٦. رفد الباحثين والقراء والمهتمين بالبحوث والدراسات التخصصية في زيارة الأربعين.
٧. السعي الى تعريف المجتمع الدولي بأهمية الزيارة ومجتمعها المليوني؛ كونها تمثل تراثاً ثقافياً وانسانياً للمجتمع العراقي خاصة، ومحبي أهل البيت عليهم السلام عامة، كما يمكن ان تكون مخزوناً علمياً للمهتمين بزيارة الأربعين وعاملاً مهماً من أجراءات الصون لملف توفير الخدمة والضيافة في زيارة الأربعين بعد أن تم تسجيله رسمياً في منظمة التربية والعلم والثقافة اليونسكو(UNESCO) عام ٢٠١٩م من قبل المركز بالتعاون مع وزارة الثقافة والسياحة والآثار .

رؤية المجلة :

تسعى مجلة الأربعين العلمية المحكمة الى أن تكون منصة علمية، لنشر البحوث والدراسات الخاصة بزيارة الاربعين؛ لتحقيق أضافة علمية للمهتمين بهذه الشعيرة المباركة.

سياسة الخصوصية:

تتسم مجلة الأربعين العلمية المحكّمة بالدقة والرصانة والسرية في العمل، بحيث تحافظ على سلامة الأبحاث الواردة اليها، وتلتزم بخصوصية البيانات والمعلومات التي يرسلها المستخدم، دون الإفصاح بها لأية جهة.

سياسة النشر في المجلة:

تُرحّب مجلة الأربعين العلمية المحكمة بنتاجات السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه، وتقوم بنشر بحوثهم عبر الاختصاصات الإنسانية والعلمية والتطبيقية المختلفة باللغتين العربية والانجليزية، ابرزها: (الدراسات الاجتماعية والانتروبولوجيا، الدراسات الثقافية والفكرية والعقائدية، الدراسات التاريخية والتراث، الدراسات الجغرافية والمكانية، الدراسات الاقتصادية والسياحية، الدراسات القانونية والتنظيمية، وفقاً للقواعد الآتية:

١. أن يكون البحث المراد نشره متميزاً وجديداً في موضوعه، ومستوفياً لشروط منهج البحث العلمي المعتمدة.

٢. ألّا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق أوخارجه، أومقتبساً من كتاب، أو منقولاً من شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على أن يقدّم الباحث تعهداً خطياً بذلك يُرفق مع البحث، ويعاد البحث للباحث إذا كانت درجة كشف إستلاله أكثر من ٢٠٪.

٣. أن يكون البحث سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة الدقّة في الأسلوب بشكل صحيح.

٤. يلتزم الباحث بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث الترتيب والتنظيم.

٥. مراعاة وضع الخرائط والصور والجداول في مكانها أينما وردت في متن البحث.

٦. يُسلَّم البحث إلى هيأة التحرير مطبوعاً على نظام (word) ورق (A4) مع قرص مدمج (CD) يتضمن مادة البحث ونمط الخط (Times new roman) وحجم الخط (١٤) للبحوث العربية و (١٢) للغة الانكليزية على أن لاتزيد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة وما زاد على ذلك يتحمّل الباحث دفع مستحقّاته المالية، ولا تقلّ عن (١٠) صفحات.

٧.يجب وضع المصادر في نهاية البحث حسب ترتيب الحروف الأبجدية وعلى أن يُتّبع في ترتيبها الطرق المتعارف عليها في كتابة المصادر العلمية كالاتي: اللقب ، اسم المؤلف، اسم الكتاب، اسم المحقّق (إذا كان الكتاب محققاً)، رقم الطبعة، اسم المطبعة، مكان النشر، سنة النشر.

٨.تنسيق الهوامش حسب النظام الضمني (APA) وفق المعايير المعتمدة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

٩. على الباحث أن يرفق مع بحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، اذا كان يتعامل مع المجلة لأول مرة.

١٠. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الاتية: عنوان الباحث واسمه، وجهة عمله، ورقم الهاتف والبريد الاليكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث أو أي إشارة الى ذلك باللغتين العربية والانكليزية كما في القالب الخاص بالمجلة.

١١.إن البحوث كلّها تخضع للتقويم العلمي السري من قبل هيأة التحرير وجمع كبير من الأساتيذ في مختلف الاختصاصات العلمية، لبيان صلاحية نشرها، ولاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وفق الآلية الآتية:

- يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.
- يخطر أصحاب الابحاث المقبولة للنشر موافقة هيأة التحرير على نشرها.
- الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها، تعاد الى أصحابها مع الملاحظات المحددة لإجراء التعديلات النهائية عليها.
- الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه الكترونياً او ورقياً.

١٢.يخضع ترتيب الابحاث المنشورة لموجبات فنية، ويراعى في أسبقية النشر ما يأتي:

- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.
- تاريخ تقديم الابحاث التي يتم تعديلها.
- اللقب العلمي للباحث.

١٣.لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسليم بحثه.

١٤.تلتزم مجلة الأربعين العلمية المحكمة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين.

١٥. إن يعطي المؤلف حقوقاً حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن واعادة الاستخدام للبحث.

١٦. تُرسل البحوث على البريد الالكتروني لمجلة الأربعين الدولية العلمية المحكمة :

arbnj.k.center@gmail.com

وللاستفسار الاتصال على الهاتف:

00964775332066

عنوان المجلة

العراق – كربلاء المقدسة – باب بغداد– شارع السيدة زينب الكبرى عليها السلام

مركز كربلاء للدراسات والبحوث– شعبة زيارة الأربعين.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة أن تعكس وجهة نظر المجلة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

الرقم: ب ت/ ٥٦٢٥/ ٤
التاريخ: ٤/ ٧/ ٢٠٢٣

No.:
Date:

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث

م/ مجلة الاربعين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم م/٤٨١ بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٨ ، والمتضمن استحداث واعتماد مجلتكم لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٢١ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد الاول – العدد الصفري - آذار- لسنة ٢٠٢٣ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بأسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً أساسياً في أعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٣/ ٧ /٢

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م/٥٠٩١/٤ في ٢٠٢٣/٦/٢١
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادره

مهند ابراهيم
٦/٢٦ – ٧/٣

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القصر الأبيض – المجمع التربوي – الطابق السادس
قسم الشؤون العلمية scdep@rdd.edu.iq rdd.edu.iq

شهادة الاعتماد الدولي

لمركز كربلاء للدراسات والبحوث

من منظمة **اليونسكو** (برنامج الذاكرة العالمية)

تأريخ الأعتماد: ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٤م

شهادة تسجيل ملف

(توفير الخدمة والضيافة في زيارة الاربعين)

المسجل من قبل مركز كربلاء للدراسات والبحوث

بالتعاون مع وزارة الثقافة والسياحة والاثار في

منظمة التربية والعلم والثقافة (**اليونسكو**)

بتاريخ ١٤-١٦/كانون الاول ٢٠١٩

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ,آذار - ٢٠٢٦ م

المحتويات

المؤثرات السياسية لزيارة الأربعين في العراق : انتفاضة صفر ١٩٧٧ انموذجاً ٢١
م.د. علي صالح عباس الحسناوي

انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م التي انطلقت من النجف الاشرف مثالاً ٦٥
م. هاشم محمد محمد باقر الباججي

أثر التحولات السياسية والحراك الشعبي في الزيارة الأربعينية دراسة تاريخية ٩٧
م.م بكر حازم إبراهيم مهدي الزبيدي

المقاومة الثقافية لأنتفاضة صفر ١٩٧٧ قراءة في الرموز والدلالات ١٢١
م.م. ثاني عبد الله أحمد

أدبنة التاريخ: انتفاضة صفر ١٩٧٧ في رواية (العروج الدامي) لعبدالله الميالي أنموذجاً ١٤٧
الناقد: حميد الحريزي

النموذج الاستراتيجي لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين الحسيني عليه السلام ١٧٩

عقيد احسان يوسف جليل الاسدى , د. علي رضا جزيني

د. عظيم علي زاده , د. بهزاد حشميتي

فاعلية الاستراتيجيات الأمنية في زيارة الأربعين دراسة تحليلية ... ٢١١

م.م. زهراء فوزي أبو خويط , م. عقيل فالح سلمان

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

c - k a r b a l a . c o m

المجلد الرابع , السنة الرابعة , الملحق (٧)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ، آذار - ٢٠٢٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التحية والتسليم على النبي الهادي الأمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين...

تعد زيارة الأربعين من المناسبات الدينية، والاجتماعية، التي تُمارس طقوسها في العشرين من شهر صفر الخير من كل عام هجري، ونظراً لما تمتاز به هذه التظاهرة المليونية من مضامين إنسانية واجتماعية وتربوية واخلاقية فضلاً عن أنها هوية ثقافية وحضارية لمحبي أهل البيت عليهم السلام، أولى مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة اهتماماً بالغاً بهذه الشعيرة المباركة ومن جوانبها المختلفة، ولاجل حفظ تراث زيارة الأربعين وبيان متغيراتها، جاءت فكرة استحداث هذه المجلة العلمية والتي تمثل باكورة الإهتمام بقضايا الاربعين على المستوى العلمي والأكاديمي والذي لمسنا آثاره الجلية خلال أقامة المركز للمؤتمر العلمي الدولي لزيارة الاربعين بنسخه التسعة والتي شهدت مشاركة واسعة من قبل المختصين في مختلف المجالات والعلوم عن طريق الابحاث والدراسات العلمية الدقيقة التي شملت محاور عدة لزيارة الاربعين المباركة وقد جاء (الملحق السابع من المجلد الرابع/ السنة الرابعة) من مجلة الاربعين ليركّز بصورةٍ إجمالية على ترسيخ المقاربات العلمية المتعددة التخصصات في دراسة زيارة الأربعين، بوصفها ظاهرةً إنسانيةً كبرى تتقاطع فيها الأبعاد الدينية والاجتماعية والإعلامية والأمنية والتنموية. إذ يعالج العدد قضايا

الخطاب والتواصل والتأثير، ويهتم بتنظيم الحشود وإدارة التدفقات البشرية وفق أسس علمية، ويبرز أهمية الأمن الشامل والرقمي في دعم الاستقرار، فضلاً عن تسليط الضوء على الاستدامة الحضرية والسياحية لمدينة كربلاء، مع التأكيد على توظيف التقنيات الحديثة والابتكار في خدمة الإنسان والمدينة والحدث، بما يعزّز الفهم العميق لزيارة الأربعين ويقدّم رؤية علمية داعمة للتخطيط واتخاذ القرار. والتي نأمل من الله عزَّ وجلَّ أن تنال رضا القارئ الكريم كما وتشكل إضافة نوعية لمكتبتنا العربية والاسلامية.

ومن الله التوفيق والسداد

مدير التحرير

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٧)

المؤثرات السياسية لزيارة الأربعين في العراق : انتفاضة صفر ١٩٧٧ انموذجا

م.د. علي صالح عباس الحسناوي

وزارة التربية — المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

ali.salih@s.uokerbala.edu.iq

الملخص :

شكلت انتفاضة صفر ١٩٧٧ إحدى المحطات البارزة في تاريخ العراق خلال حقبة حكومة حزب البعث في العراق (١٩٦٨-٢٠٠٣)، إذ لم تكن تلك الانتفاضة مجرد رد فعل شعبي على منع السلطات الحكومية للشعائر الدينية (الشعائر الحسينية) فحسب، بل شكلت أيضاً حلقة في سلسلة من الأحداث السياسية التي كشفت عن التوترات بين النظام الحاكم والمجتمع العراقي، لاسيما فيما يتعلق بحرية التعبير والممارسة الدينية والسياسية .

هدف البحث الى تسليط الضوء على الاثر السياسي لانتفاضة صفر ١٩٧٧ على النظام السياسي في العراق آنذاك، حيث ساهمت الانتفاضة في كسر حاجز الخوف لدى العراقيين تجاه السلطة الحاكمة وهو ما شجعهم على تحدي حكومة حزب البعث والضغط من اجل نيل حقوقهم وحرياتهم، كما كشفت عن الوجه الإسلامي الزائف لحزب البعث الذي كان قد سعى الى كسب دعم الحركة الإسلامية بعد وصوله الى الحكم في عام ١٩٦٨، فضلاً عن ذلك احدثت الانتفاضة انقسامات داخل حزب البعث نفسه، إذ ظهرت خلافات بين أعضائه حول كيفية التعامل مع المنتفضين، الأمر الذي ألقى الضوء على التوترات الداخلية داخل الحزب وصعوبة التنسيق بين قياداته، علاوة على ذلك مهدت انتفاضة صفر ١٩٧٧ لانتفاضات شعبية لاحقة كان لها تأثيرات كبيرة في تشكيل تاريخ العراق المعاصر، مما يجعلها حدثاً ذا أهمية كبيرة لفهم تطورات المشهد السياسي والاجتماعي في العراق آنذاك .

الكلمات المفتاحية: زيارة الاربعين، انتفاضة صفر، انتفاضة ١٩٧٧، احداث خان النص ١٩٧٧، الاربعينية

The Political Impacts of the Arbaeen Pilgrimage in Iraq: The Safar Uprising of 1977 as a Model

Asst. Prof. Ali Saleh Abbas Al-Hasnawi
Ministry of Education – General Directorate of Education in Karbala Governorate

Abstract:

The Safar Uprising of 1977 represented a pivotal moment in the history of Iraq during the era of Ba'athist rule (1968–2003). This uprising was not merely a spontaneous public reaction to the government's prohibition of religious rituals (particularly the Shi'a mourning ceremonies), but rather a critical episode in a broader series of political events that exposed the underlying tensions between the ruling regime and Iraqi society—especially in relation to freedom of expression, and religious and political practices.

The primary objective of this study is to shed light on the political impact of the 1977 Safar Uprising on Iraq's political system at the time. The uprising played a significant role in breaking the barrier of fear that had long prevented Iraqis from confronting the ruling authority, thereby encouraging them to challenge the Ba'athist government and advocate for their rights and freedoms. Furthermore, it exposed the Ba'ath Party's disingenuous Islamic rhetoric, which the regime had employed in an attempt to gain the support of the Islamic movement following its rise to power in 1968.

Additionally, the uprising triggered internal divisions within the Ba'ath Party itself, as disagreements emerged among its members regarding how to deal with the protesters. These divisions highlighted the internal tensions within the party and the difficulties its leadership faced in maintaining cohesion. Moreover, the Safar Uprising of 1977 served as a precursor to subsequent mass uprisings that had profound effects on the shaping of modern Iraqi history. Thus, it stands as a crucial event for understanding the political and social transformations that occurred in Iraq during this period.

Keywords: Arbaeen , Safar uprising, 1977 uprising, Khan al-Nas 1977, Arbaeen

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ / آذار - ٢٠٢٦ م

المقدمة :

مثلت زيارة الأربعين أبرز الشعائر الدينية لدى المسلمين، لما تحمله من معانٍ دينية وروحية واجتماعية عميقة، حيث يُحيي فيها الملايين ذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام في واقعة كربلاء، في العشرين من شهر صفر الهجري، اذ تمثل تلك المناسبة تجديداً سنوياً للولاء لمبادئ الإمام الحسين عليه السلام في مقارعة الظلم والتأكيد على القيم التي ضحى من أجلها كالحق والعدالة والحرية .

جاءت انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ لتعكس ذلك الارتباط العميق بين زيارة الأربعين والروح الثورية التي تجسدها، اذ جسدت تحولاً مهماً في تاريخ العراق السياسي (١٩٦٨-٢٠٠٣)، كما انها لم تقتصر عن كونها رد فعل شعبي تجاه منع السلطات الحكومية لممارسة الشعائر الدينية (الشعائر الحسينية)، بل جاءت كجزء من سلسلة احداث كشفت عن عمق التوتر بين النظام الحاكم وشرائح واسعة من المجتمع العراقي، لاسيما فيما يتعلق بالحـريات الدينيـة والسياسية وحرية التعبير .

وفي محاولة لتفادي تكرار الدراسات والبحوث السابقة، يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الاثر السياسي لانتفاضة صفر ١٩٧٧ على النظام السياسي في العراق آنذاك، حيث قسم البحث الى ثلاثة محاور رئيسة، اذ درس المحور الأول (سياسة الحكومة تجاه الشعائر الدينية في العراق ١٩٦٨-١٩٧٧) حيث ناقش العداء المبكر الذي ابداه حزب البعث تجاه الشعائر الحسينية وما نتج عن ذلك من اندلاع انتفاضة صفر، وقد ابرز هذا المحور دور الانتفاضة في كسر حاجز الخوف لدى العراقيين تجاه السلطة الحاكمة مما شجعهم على تحدي حكومة حزب البعث من اجل نيل حقوقهم وحريتهم الدينية، اما المحور الثاني فقد جاء بعنوان (اثر انتفاضة صفر ١٩٧٧ على النظام السياسي)،

و تناول الانقسامات الداخلية التي ظهرت داخل حزب البعث بشأن كيفية التعامل مع المنتفضين، مما كشف عن حجم التوترات داخل بنية الحزب وصعوبة التنسيق بين قياداته، كما تطرق الى موقف الحزب الشيوعي العراقي، بوصفه احد اطراف الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، فضلاً عن مواقف عدد من الدول الإسلامية والمنظمات الدولية من الانتفاضة، فيما تناول المحور الثالث (اثر انتفاضة صفر على الزيارة الاربيعينة ودورها التأسيسي في مسار الانتفاضات العراقية اللاحقة ١٩٧٩-١٩٩١)، حيث تم التوقف عند مساهمة انتفاضة صفر في ترسيخ الطابع الاحتجاجي للزيارة الاربعينية، وتحويلها الى فعل جماهيري ديني - سياسي، وقد مهد هذا التحول الطريق لاندلاع انتفاضات شعبية لاحقة، من ابرزها انتفاضة رجب ١٩٧٩، التي شكلت امتداداً لمسار الاحتجاج، وصولاً الى ذروته في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، وهو ما جعل من انتفاضة صفر محطة تأسيسية في تاريخ العراق المعاصر .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ / آذار - ٢٠٢٦ م

اولاً : سياسة الحكومة تجاه الشعائر الدينية في العراق ١٩٦٨-١٩٧٧ .

١ . العداء المبكر من حزب البعث للشعائر الحسينية .

ضيق حزب البعث (المحظور) (١) الخناق على التيار الإسلامي في العراق منذ تسنمه الحكم عقب انقلاب السابع عشر من تموز١٩٦٨، إذ قام بحظر الاحزاب والتجمعات الاسلامية، فضلاً عن محاولة تحجيم المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة من خلال عمليات التهجير التي طالت العديد من طلبتها، وعلى الرغم من اظهار حكومة حزب البعث احترامها للشعائر الحسينية (٢) في

(١)(حزب البعث (المحظور) : تأسس حزب البعث في عام ١٩٤٧ في سورية، وهو حزب قومي تأسس على يد ميشيل عفلق و صلاح الدين البيطار، وفتح له فروع عدة في الدول العربية ومنها العراق وفي اواخر الاربعينات استطاع الحزب أن يجد له في العراق بعض المؤيدين، واخذ يمارس نشاطه السياسي بشكل سري لغاية ٨ شباط ١٩٦٣ حيث استطاع السيطرة على حكم العراق ولأول مرة ، لكن سرعان ما دب الخلاف بينه وبين عبد السلام عارف رئيس الجمهورية آنذاك وانتهى به الحال إلى التشرذم والانشقاق بين صفوفه لينقسم على نفسه على جناحين الجناح الاول (اليساري) وهو الذي يوالي حزب البعث في سورية وتزعمه فؤاد شاكر مصطفى، والجناح الثاني (اليميني) وهو على خلاف مع حزب البعث في سورية وقد تزعمه احمد حسن البكر وصدام حسين وظل ذلك الجناح موالياً لميشيل عفلق الذي طرد من سورية إثر الانقلاب الذي نفذه الضباط السوريون اليساريون في حزب البعث السوري في ٢٣ شباط ١٩٦٦، واستطاع حزب البعث (الجناح اليميني) من السيطرة على السلطة في العراق في ١٧ تموز ١٩٦٨ حتى ٩ نيسان ٢٠٠٣ عندما احتلت القوات الامريكية العراق لينتهي بذلك حكم حزب البعث في العراق. ينظر : حنا بطاطو، العراق – الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، دار الحياة، القاهرة، ٢٠١١، ص ص ٣١٧ - ٣٣٩ ؛ هادي حسن، دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى عام ١٩٥٨، ط ٢، مطبعة معهد الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٨٤ ؛ مجيد خدوري، العراق الجمهوري، مطبعة امير، قم، ١٩٩٧، ص ص٢٧٧– ٢٨٦ .

بادئ الامر الا انها في السنوات اللاحقة اصدرت اوامرها القاضية بالحد من ممارستها، على الرغم من ان ممارسة تلك الشعائر الدينية قد كفلها الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن هيأة الامم المتحدة عام ١٩٤٨ (١) والذي اعلنت حكومة حزب البعث ما بعد عام ١٩٦٨ التزامها به (صحيفة الوقائع العراقية، ١٩٧٠) ويبدو في حقيقة الامر ان حكومة حزب البعث سعت في بادئ الامر الى اظهار احترام شكلي للشعائر الحسينية بهدف كسب التأييد الشعبي، لاسيما في المناطق ذات الغالبية الشيعية، الا ان ذلك الموقف لم يكن سوى خطوة تكتيكية مؤقتة، اذ سرعان ما انكشفت نواياها الحقيقية من خلال فرض قيود مشددة على ممارسة تلك الشعائر، الامر الذي عكس نهجاً مراوغاً اعتمدته السلطة لتعزيز هيمنتها قبل الانتقال الى تطبيق سياستها القمعية بشكل صريح .

- شرعت الحكومة منذ اواخر عام ١٩٧٣ بأصدار توجيهات لاجهزتها الأمنية تقضي بعدم منح التراخيص لأصحاب المواكب الحسينية ووضعت شروطاً صارمة للحصول على إجازة جديدة فضلاً عن منع اصحاب المواكب من استخدام مكبرات الصوت لبث القصائد الحسينية والادعية وحددت ساعة واحدة فقط يومياً لمواكب العزاء واللطم، ولم تكتفِ السلطات بذلك بل كانت تفرض مسارات معينة لانطلاق المواكب، وتحدد توقيت خروجها بدقة في خطوة تهدف الى احكام الرقابة عليها، علاوة على ذلك كانت الحكومة تقوم بتعيين شعراء محددين لإلقاء القصائد والمراثي في المواكب الحسينية بعد مراجعة

(١) نصت المادة الثامنة عشر من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ على ان : ((لكل انسان الحق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في الايمان بدين او بأي معتقد يختاره وحرية اظهار دينه او معتقده عن طريق العبادة وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم سواء بمفرده او مع جماعة، وامام الملأ او على حدة)) . ينظر : لين هانت، نشأة حقوق الانسان – لمحة تاريخية، ترجمة فايقة جرجس حنا، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٨٥ .

السلطة لتلك القصائد والتأكد من خلوها من اي نقد او تحريض ضد الحكومة (علي صالح عباس الحسناوي، ٢٠١٧)، وتعكس تلك السياسات هواجس النظام البعثي من التعبئة الدينية وخشيته من ان تتحول الشعائر الى منبر للوعي الشعبي والاحتجاج السياسي، لاسيما في ظل تزايد النشاط الديني والاجتماعي للمرجعية الدينية .

بلغت سياسات التضييق التي انتهجتها الحكومة ذروتها، حيث لم تكتفِ بمنع المواكب العزائية، بل امتدت رقابتها الى المجالس الحسينية التي تُقام داخل المنازل، اذ كانت السلطات تستدعي أصحاب تلك المجالس وتخضعهم للاستجواب والاهانة، واحياناً تقوم باعتقالهم دون مبررات قانونية، وفي خطوة اكثر قسوة شرعت أجهزة الامن باعتقال خطباء المنبر الحسيني وزجهم في السجون حيث تعرضوا لشتى أنواع التعذيب الجسدي والمعنوي، كما لم تسلم فئة رواديد القصائد الحسينية من تلك الإجراءات، اذ كانت السلطات تجبرهم على تضمين قصائدهم مدحاً لحزب البعث والحكومة، وفي حال رفضهم يتعرضون للاعتقال والتصفية الجسدية، وقد تجسد ذلك النهج القمعي في حادثة اغتيال الخطيب المعروف الشيخ عبد الزهرة الكعبي (١) الذي اعتقلته السلطات مع عدد من الخطباء والقراء في مدينة كربلاء المقدسة

(١)الشيخ عبد الزهرة الكعبي (١٩١٤-١٩٧٤) : ولد عام ١٩١٤ في كربلاء المقدسة من اسرة نزحت من مدينة المشخاب، تعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب على يد الشيخ محمد السراج في الصحن الحسيني الشريف وقد استطاع ان يحفظ القرآن عن ظهر قلب وهو في سن مبكرة، تلقى تعليمه في حوزة كربلاء على يد الشيخ علي الرماحي، درس الفقه واصوله عند الشيخ محمد الخطيب، وقد تتلمذ في المنطق على يد الشيخ جعفر الرشتي وعلم العروض عند الشيخ عبد الحسين الحويزي، واصل طريقه ليصبح خطيباً حسينياً واشتهر بقراءة مقتل الامام الحسين (ع) في يوم العاشر من شهر محرم وكان يقرأه بأسلوب خاص وبنبرة حزينة مما جعله مشهوراً بين الجماهير، فكانت له مجالس حسينية في

عام ١٩٧٤ على خلفية رفضهم مدح الحكومة في المجالس الحسينية قبل ان يتم اغتياله في السادس من حزيران من العام ذاته (صاحب الحكيم . ٢٠٠٩)

اقدمت سلطات حزب البعث في الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٥، الموافق العاشر من شهر محرم الحرام ١٣٩٥ هـ، على منع خروج المواكب الحسينية في النجف الاشرف لأحياء ذكرى استشهاد الامام الحسين ﷺ وفرضت رقابة مشددة عليها، كما منعت الاهالي والمواكب العزائية من المسير نحو كربلاء المقدسة لأحياء زيارة اربعينية الامام الحسين ﷺ في محاولة واضحة لتقييد واحدة من ابرز الشعائر الدينية لدى المسلمين، وعلى الرغم من ذلك المنع، آلت الجماهير المؤمنة على نفسها الا ان تواصل المسير سيراً على الاقدام الى كربلاء المقدسة متحدية بذلك اوامر المنع التي فرضتها السلطات على تلك الشعيرة الحسينية (رعد الموسوي. (١٩٨٣)، وقد انطلقت المسيرة بأعداد كبيرة في الخامس من شهر صفر من النجف الاشرف وتحديداً من ساحة الامام علي ﷺ صوب كربلاء المقدسة مستنكرين اجراءات السلطة الرامية الى محاولة طمس هوية تلك الشعائر، وفي اليوم التالي ردت الحكومة بإرسال مجموعة من عناصر الامن لفرض حصار على مدينة النجف الاشرف ومنع بقية الزائرين من التوجه الى زيارة الامام الحسين ﷺ، لكن ذلك التصعيد ادى الى اندلاع تظاهرة

مختلف مناطق العراق فضلاً عن بعض دول الخليج العربي والاهـواز، اعتقلته السلطات مع عدد من الخطباء والعلماء في عام ١٩٦٩ واطلق سراحه بعد اربعة اشهر، اغتالته الاجهزة الامنية اثناء حضوره مجلس لقراءة الفاتحة إذ دسّ له السم في القهوة ، وعند اعتلاءه المنبر في صحن العباس (ع) اغمي عليه وتوفي في طريقه الى المستشفى في ٦ حزيران ١٩٧٤، وشهد تشييعه حضوراً جماهيرياً واسعاً من مختلف مدن العراق . ينظر : محمد علي يوسف الاشيقر، خطيب المنبر الحسيني عبد الزهرة الكعبي على لسان معارفه ومحبيه ١٩١٤- ١٩٧٤، مطبعة كربلاء، كربلاء، ٢٠١٠ .

جماهيرية حاشدة طافت شوارع النجف الاشرف، وقد حاولت السلطات تفريقها باستخدام خراطيم المياه، لكن ارادة الجماهير كانت اقوى منهم، حيث تمكن المتظاهرون من الوصول الى الصحن الحيدري الشريف وقاموا بتحطيم صور رئيس الجمهورية احمد حسن البكر (١) ونائبه صدام حسين (٢) المعلقة عند مدخل الصحن

---

(١) احمد حسن البكر (١٩١٤-١٩٨٢) : ولد في تكريت عام ١٩١٤، دخل دار المعلمين وتخرج فيها معلمًا في عام ١٩٣٢، التحق بالكلية العسكرية عام ١٩٣٨ وتدرج في المناصب العسكرية حتى وصل إلى رتبة عقيد عام ١٩٥٨ وصار عضواً في حزب البعث (المحظور) في لجنة عسكرية خططت للإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم، وفي ٨ شباط ١٩٦٣ صار رئيساً للوزراء وعضو قيادة قطرية في حزب البعث، وبعد انقلاب عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ عين نائباً لرئيس الجمهورية من دون اي صلاحيات، فاستقال من المنصب، وفي عام ١٩٦٤ اعتقل مع مجموعة من البعثيين بسبب تخطيطهم للقيام بانقلاب ضد عبد السلام عارف، واستطاع بعد حوالي اربع سنوات المشاركة في انقلاب ١٩٦٨ على حكم عبد الرحمن عارف، وبعد الانقلاب تولى منصب رئاسة الجمهورية واستمر بالحكم لغاية ١٦ تموز ١٩٧٩، إذ أطاح به صدام حسين حين أجبره على الاستقالة بعد أن تمت تصفية عائلته، توفي في عام ١٩٨٢. ينظر : طالب الحسن، حكومة القرية، ج١، دار اور للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٩٢ ؛ حسن السعيد، نواطير الغرب - صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العراقي ١٩٤٨ - ١٩٦٨، ط٢، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥، ص ص ٦٩٦ – ٦٩٧.

(٢) صدام حسين (١٩٣٧ - ٢٠٠٦) : ولد عام ١٩٣٧ بقرية العوجة في تكريت، نشأ يتيمًا في بيت زوج امه الذي اساء معاملته، بدأ دراسته الثانوية في بغداد بحدود عام ١٩٥٥، أنضم في نهاية الخمسينيات لحزب البعث، اشترك في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في ٧ تشرين الاول ١٩٥٩ وحكم عليه بالإعدام غيابياً وهرب الى سورية ثم الى القاهرة التي استطاع فيها ان يكمل دراسته الثانوية، وبعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ عاد الى بغداد والتحق بكلية الحقوق الا أنه لم يكمل فيها دراسته، اصبح نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، ثم نائباً لرئيس الجمهورية احمد حسن البكر، ثم رئيساً للجمهورية في ١٧ تموز

الشريف في رمزية واضحة لرفضهم رموز السلطة، وقد اعقب ذلك اشتباكات عنيفة بين المتظاهرين و عناصر الامن، ما ادخل المدينة في حالة من التوتر والقلق نتيجة الأسلوب القمعي الذي تعاملت به الحكومة مع المتظاهرين (ناصر حسين الأسدي. (د.ت.)، وبذلك برز العداء المتأصل لدى النظام البعثي تجاه الشعائر الحسينية اذ كان ينظر اليها كأداة محتملة للتعبئة الجماهيرية والتنظيم الشعبي خارج اطار الدولة، الامر الذي دفعه الى محاصرة تلك الشعائر بكل الوسائل، الا ان ذلك القمع السلطوي قابله إصرار شعبي لافت على ممارسة تلك الشعائر في تعبير عن قوة الارتباط الروحي والوجداني بشعيرة زيارة الأربعين، وهو ما يعكس نمو وعي جماهيري مقاوم يرى في احياء الشعائر الحسينية وسيلة للدفاع عن الهوية الدينية ورفضاً للقمع السياسي لتتحول تلك الشعيرة الدينية الى موقف سياسي جماعي يعكس حجم الاحتقان المتراكم بين السلطة والمجتمع .

اوعزت الحكومة في السنة التالية الى الاجهزة الامنية بمنع خروج مواكب العزاء الحسيني والمسيرات الراجلة المتجهة نحو كربلاء المقدسة لاحياء زيارة الاربعين، وعلى الرغم من ذلك القرار القمعي، خرجت جماهير مدينة النجف الاشرف بمسيرة حاشدة يوم الخامس عشر من صفر ١٣٩٦هـ، الموافق الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٧٦، متجهة سيراً على الاقدام نحو كربلاء المقدسة لأحياء ذكرى اربعينية الامام الحسين (ع)، وبينما كانت المسيرة سلمية في جوهرها اصطدمت بقبضة الامن البعثي،

١٩٧٩، و استمر في المنصب حتى سقوط نظامه على يد القوات الامريكية في ٩ نيسان ٢٠٠٣، اعدم عام ٢٠٠٦ . ينظر : اندرو كوكبورن باتريك كوكبورن،صدام الخارج من تحت الرماد – ولادة صدام حسين من جـديد، ترجمة علي عباس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ص ١٢٦– ١٤٥ ؛ حازم صاغية، بعث العراق : سلطة صدام قياماً وحطاماً، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ص ٤٠ - ٤٧ .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٧)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ / آذار - ٢٠٢٦ م

مما ادى الى اندلاع موجهات عنيفة واعتقالات واسعة في صفوف الزائرين، ورغم تلك الاحداث اصر المشاركون على مواصلة المسير وتمكنوا من الوصول الى كربلاء المقدسة بعد ثلاثة أيام، في مشهد يجسد الإصرار الشعبي على تحدي سلطة القمع(علي المؤمن ٢٠٠٤)، وفي تلك الاثناء قام مدير امن مدينة النجف الاشرف ومحافظها جاسم الركابي بجولة في المدينة وعلى الطرق التي يسلكها الزوار، حيث عملت أجهزة الامن، وبناءً على توجيهات السلطات الاعلى يقومون، برمي الاطعمة التي تعدها المواكب الحسينية في التراب بهدف تلويثها ومنع توزيعها على الزائرين، كما قامت أجهزة الامن بتوجيه الاهانات اللفظية والتهديدات بحق الزوار وأصحاب المواكب في محاولة لترويعهم وثنيهم عن مواصلة الشعيرة (محمد محمد الحيدري. (٢٠١٤، وبذلك ساهمت تلك الممارسات القمعية المتكررة في تهيئة الأرضية لانفجار اكبر تمثل لاحقاً في انتفاضة صفر في شباط ١٩٧٧ التي جاءت نتيجة لتراكم الاحتقان الشعبي وازدياد الشعور العام بالظلم والاضطهاد .

٢. اندلاع انتفاضة صفر ١٩٧٧ وكسر حاجز الخوف لدى العراقيين .

اصدرت سلطات حزب البعث في اوائل شباط ١٩٧٧ (صفر ١٣٩٧) قراراً يقضي بمنع خروج المسيرات الراجلة من مدينة النجف الاشرف، بوصفها مركزاً لتجمع الزائرين القادمين من المناطق الوسطى والجنوبية للأنطلاق صوب مدينة كربلاء المقدسة لأحياء ذكرى اربعينية الامام الحسين ﷺ، وقد اثار ذلك القرار استياءً واسعاً بين الأهالي، اذ اعتبروه تعدياً على شعائرهم الدينية ورفضوه بشهدة مُصرين على مواصلة أداء شعائرهم وفي مقدمتها شعيرة المشي الى كربلاء المقدسة (مؤسسة تراث الشهيد الحكيم (٢٠٠٧)، وقد شكل ذلك التحدي العلني نقطة الانطلاق لاندلاع انتفاضة شعبية، حيث رأى الناس في تلك الشعائر امتداداً لهويتهم الدينية

ووسيلة سلمية للتعبير عن رفضهم للظلم والاضطهاد الذين كانوا يعانونه تحت حكم النظام البعثي (Tripp, C. (2013)، ويتضح من ذلك ان قرار منع المسيرات الدينية لم يكن مجرد اجراء امني تنظيمي، بل عكس رغبة السلطة البعثية في تقويض الرموز والشعائر الدينية التي تعزز من وحدة وتماسك المجتمع العراقي لاسيما في مناسبات ذات طابع احتجاجي غير مباشر كالزيارة الاربعينية، اذ ان الإصرار الجماهيري على ممارسة تلك الطقوس رغم المنع يكشف عن عمق الارتباط بين الشعائر الدينية والهوية الثقافية والسياسية للمجتمع، كما يبرز الحدث كيف يمكن للسلطة حينما تصطدم بالمعتقدات والرموز العميقة للناس ان تولد ردود فعل جماعية تتحول الى حراك احتجاجي، اذ لم يكن ذلك الرفض نتيجة لرد فعل ديني، بل تعبير عن الرفض السياسي والاجتماعي لسياسات التهميش والقمع التي مارستها السلطة.

عقد محافظ النجف جاسم الركابي في الثالث من شباط ١٩٧٧ اجتماعاً في قاعة الاجتماعات القريبة من منظمة حزب البعث في النجف الاشرف، وذلك في اعقاب التوتر الذي ساد المدينة نتيجة رفض قرار منع خروج المسيرات (علي المؤمن ٢٠٠٤)، وقد دعا الركابي الى الاجتماع وجهاء المدينة ورؤساء المواكب الحسينية، وكان ابرز ما جرى خلال اللقاء ابلاغ الحاضرين بقرار السلطة القاضي بمنع خروج المواكب العزائية والمسيرات الراجلة الى كربلاء المقدسة في ذلك العام، الامر الذي رفضه الحاضرون بشدة، فكان ذلك بمثابة التحدي العلني لقرار السلطة (علي صالح عباس الحسناوي.٢٠١٧)، ويعكس ذلك الاجتماع محاولة من السلطات البعثية لاحتواء الغضب الشعبي المتنامي من خلال استدعاء الشخصيات المؤثرة في المجتمع النجفي كوجهاء المدينة ورؤساء المواكب في محاولة لفرض القرار عبر قنوات غير قمعية في الظاهر، لكنها محكومة بسياسة الهيمنة والردع، الا ان ما حدث فعلياً هو ان اللقاء

تحول الى منصة للاعتراض الجماعي العلني، اذ عبر الحاضرون عن رفضهم الصريح للقرار مما يظهر ان هناك فجوة كبيرة بين توجهات السلطة وتطلعات الشارع، فضلاً عن ذلك يكشف لنا ذلك الموقف عن عمق الارتباط العاطفي والديني لدى الأهالي بممارسة شعائرهم، حيث لا تُفهم تلك الشعائر كطقوس دينية فحسب، بل كوسيلة للتعبير عن الذات والهوية في وجه التسلط السياسي .

اثار التحدي الشعبي لقرار المنع قلقاً شديداً لدى سلطات حزب البعث مما قد تؤول اليه الامور لاسيما بعد توزيع منشورات مكتوبة بخط اليد تدعو الناس الى احياء ذكرى اربعينية الامام الحسين ﷺ من خلال المشاركة في المسيرة الراجلة الى مرقده الشريف في كربلاء المقدسة، وقد تم إلصاق بعض تلك المنشورات على جدران الصحن الحيدري الشريف و السوق الكبير (فالح عبد الجبار. (٢٠١٠.، وكان من بين ما كُتب عليها : « يا شباب النجف تهيأوا لزيارة الامام الحسين ﷺ مشياً على الاقدام »، وبجانب تلك المنشورات جرى التبليغ بموعد خروج المسيرة شفهياً عن طريق بعض الشباب الناشطين في تنظيم تلك المناسبات، حيث اضطلعوا بدورٍ فاعل في قيادة المسيرة نحو كربلاء المقدسة وتحفيز الناس على الانخراط فيها، وبالفعل تحولت مسيرة العزاء الحسينية من كونها شعيرة دينية الى شكل من اشكال التظاهر الجماهيري المفتوح تحدت به الجموع إرادة السلطة البعثية، لاسيما بعدما حاولت أجهزة الامن التدخل لمنعها وتفريق المشاركين بالقوة (مجموعة باحثين. (٢٠١١) .

استمرت الحشود الجماهيرية في التقدم نحو كربلاء المقدسة مروراً بمنطقة خان النص حيث كانت اعداد المشاركين في ازدياد مستمر كلما تقدمت المسيرة، اذ اشارت التقديرات ان عدد المشاركين بلغ مابين ٢٠٠ الى ٢٥٠ الف شخص) المؤمن، علي.

(٢٠٠٤، ووصلت المسيرة الى خان النص مساء يوم السادس من شباط ١٩٧٧ الموافق السادس عشر من صفر ١٣٩٧ هـ حيث تمكن المشاركون من فرض سيطرتهم الكاملة على المنطقة، وفي ذلك الوقت كانت سلطات النظام قد كثفت إجراءات المراقبة على المسيرة وكانت تخطط لتنفيذ هجوم مباغت، غير ان قادة المسيرة كانوا في حالة من التأهب الشديد واتخذوا تدابير امنية دقيقة للحيلولة دون أي تسلل او استهداف مفاجئ، اذ نصبوا نقاط حراسة عند مدخل الخان و على سطحه، فضلاً عن تسيير دوريات داخلية لتفتيش المشبوهين ومطالبتهم بأبراز هوياتهم الشخصية، واستخدم المشاركون كلمات سر ومصطلحات خاصة للتعرف على بعضهم البعث، كما اتخذت إشارات محددة للتنبيه والتحرك) ناصر حسين الأسدي. (د.ت.).، وقد عكست تلك الأجواء مشهداً نادراً من التضامن الشعبي والتنظيم الذاتي في مواجهة نظام سياسي قمعي من حيث الحجم الجماهيري والقيادة والتنظيم والتهيؤ لمواجهة السلطات القمعية .

مرت ساعات الليل بصعوبة على الزائرين في الخان، وفي صباح اليوم التالي السابع من شباط / ١٨ صفر) ومع انطلاق صوت (البارزان) حاول احد عناصر اجهزة الامن التسلل بين المتظاهرين المجتمعين في الخان الا ان امره قد انكشف بسرعة وبدا عليه الارتباك فور ان طلب منه احد المكلفين بالحراسة تعريف نفسه ببطاقته الشخصية فتم إلقاء القبض عليه بعد ان اكتشف الحراس انه يحمل قائمة تضم اسماء بعض المشاركين في المسيرة وارقام مركبات كانت تقوم بإمداد مسيرة المنتفضين بالمواد الغذائية والمياه، وأثارت تلك الحادثة غضب الجماهير فأنطلقت تظاهرة حاشدة من داخل خان النص جابت ارجاء ناحية الحيدرية ونددت بالحكومة وأجهزتها القمعية، وكان من بين الهتافات السياسية الجريئة التي رددها المتظاهرون : « يـجاسـم كَله للبكر الحسين ما ينسي « و « يجاسم كَله للبكر تره حسين منعوفه «،

وكذلك « يا صدام شيل ايدك شعب النجف مايريدك « و « هلله هلله حسين وينه بالسلاح مطوقينه «، وقد عبرت تلك الهتافات عن الرفض الشعبي العارم للتدخل الأمني وعن تمسك الجماهير بالشعائر الدينية كرمز لهويتهم ومقاومتهم (علي صالح عباس الحسناوي. (٢٠١٧).

بدأت التظاهرة تآخذ منحى مختلفاً بعدما اطلقت قوات الشرطة النار على المشاركين مما أدى الى اندلاع اشتباك وسقوط اربعة شهداء من المتظاهرين احدهم صبي صغير في العمر، فتحولت تلك المسيرة الى انتفاضة شعبية غاضبة رُفع خلالها ثوب ذلك الصبي وهو ملطخ بدمه وسط الجموع مع الهتاف بـ «بالتاريخ سجلها النجف ثورة حسينية شـــرطة النجف شـــرطة جبانية»، وكذلك « شلون ترضه يا علي بالرشاش يرمونه - قدم النجف اربع فدائيه يجاسم كَله للبكر كل اصبع بمية «، وقد ارعبت تلك الشعارات السلطات لما حملته من صراحة في التحدي وجرأة في التعبير عن الغضب الشعبي (علي صالح عباس الحسناوي, ١٣٣٢٠١٧)، وفي خضم تلك الاحداث بقيت راية المسيرة التي كتب عليها «يد الله فوق أيديهم» رمزاً للوحدة والعزم مما زاد من حماسة المشاركين وأعطى للمسيرة روحاً ثورية موحدة (أرشيف قناة النجف الاشرف الفضائية, يوتيوب(٢٠١٣،).

وصلت انباء الاشتباكات وسقوط الشهداء الى مدينة النجف الاشرف، فتفجر الغضب في صدور الاهالي، فأنطلقت مظاهرة نسوية غاضبة اتجهت نحو مبنى المحافظة وهي تهتف بشعارات مناوئة للحكومة، وسرعان ما التحق بها الرجال مهددين بالخروج في احتجاج اعنف اذا لم يفتح الطريق امامهم للالتحاق بالمسيرة في خان النص، وامام ذلك الضغط الجماهيري اضطرت السلطات الى السماح لهم

بالتوجه نحو خان النص) مؤسسة تراث الشهيد الحكيم. (٢٠٠٧)، وبذلك يمكن القول ان الحدث الذي بدأ بشعيرة دينية تحول الى انتفاضة شعبية مكتملة الأركان، وتظهر تلك المرحلة بوضوح ان الحشود الشعبية تمكنت من كسر حاجز الخوف والخروج الى المواجهة المباشرة في اعلان صريح بأن الشارع العراقي لم يعد ساكناً وان الدين عندما يقترن بالكرامة والدم يتحول الى قوة احتجاجية جبارة يصعب اسكاتها .

اثارت الاشتباكات العنيفة في خان النص قلقاً شديداً داخل أروقة الحكومة، اذ شعرت بتهديد حقيقي من تصاعد زخم الانتفاضة، اذ مثلت تحدياً كبيراً ومشهوداً لنظام حزب البعث) صبحي ناظم توفيق. ٢٠٢٠، ١ يوليو).، وفي محاولة لاحتواء الغضب الشعبي والحفاظ على هيبتها قررت السلطات التراجع عن قرارها السابق القاضي بمنع مسيرة الزائرين مشياً على الاقدام الى كربلاء المقدسة، وأعلنت السماح بها رسمياً وقد سعت الحكومة من خلال ذلك التراجع الى تحقيق مكاسب مزدوجة ؛ فاذا نجحت في إيقاف المسيرة لاحقاً تكون قد حققت هدفها، وان لم تتمكن فهي تحتفظ بإمكانية الادعاء بأنها كانت تراقب المسيرة عن كثب وسمحت بها من باب السيطرة لا العجز) مؤسسة تراث الشهيد الحكيم. (٢٠٠٧، الى جانب ذلك أقدمت السلطات على اعتقال المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ووجهت اليه اتهاماً مباشراً بالوقوف خلف تنظيم الانتفاضة، الا ان ذلك الاعتقال لم يدم طويلاً، اذ اضطرت الحكومة الى اطلاق سراحه في اليوم نفسه خشة تفجر الموقف اكثر بسبب مكانته الدينية والشعبية (١) .

(١) تحدث السيد محمد باقر الصدر بكلام شديد اللهجة مع مدير الامن العامة فاضل البراك عن سبب خشية الحكومة من هذه الشعائر الحسينية السلمية الامر الذي ادى الى تعرضه لتعذيب شديد . ينظر : صادق جعفر الروازق، المشروع السياسي للحوزة العلمية في العراق في مواجهة الاستكبار - عرض

أعلنت الحكومة حالة الإنذار القصوى في صفوف القوات المسلحة، وأصدرت أوامرها الصارمة بضرورة قمع الانتفاضة دون تهاون أو رحمة، وقد رُوج ضمن الأوساط العسكرية بأن ما يجري في مدينة النجف الأشرف يُعد تمرداً واسع النطاق يستهدف اسقاط النظام البعثي القائم في العراق وأن العناصر المتمردة تحظى بدعم الحكومة السورية، اذ اشارت احدى وثائق مديرية الامن العامة ان السلطات الحكومية استطاعت القبض على شخص كان ينوي تفجير عبوة ناسفة في صحن الامام الحسين ﷺ، لكن في حقيقة الامر ان حكومة حزب البعث ارادت ان توهم الرأي العـام بأن احداث خان النص لاتعدوا سوى مؤامرة خارجية يراد منها اشعال فتنة داخلية (و.و.د. ١٩٧٧، ١٤ فبراير)، وفي سياق تلك الأحداث بدأت حملة اعتقالات عشوائية واسعة النطاق طالت أعداداً كبيرة من الزائرين، حيث أُفيد بأن ما يقرب من ثلاثين ألف شخص قد تم احتجازهم وجرى توزيعهم على سجون المدن المجاورة مثل النجف والكوفة والحلة وكربلاء، وفي الوقت ذاته تمكن عدد من الأشخاص من الإفلات من حملات الاعتقال فتوجهوا عبر بساتين النخيل في محاولة للفرار نحو مدينة كربلاء، وعند بلوغهم حرم الإمام الحسين ﷺ، أُلقي القبض على بعضهم هناك في حين تم توقيف آخرين في الشوارع والأزقة الداخلية لمدينة كربلاء المقدسة (رحيم عبد الحسين عباس د.ت)، ومن الجدير بالذكر ان الانتفاضة حظيت بدعم مادي واسع من مختلف شرائح المجتمع، اذ سارع العديد من المواطنين الى تقديم الغذاء والماء للمشاركين على الرغم من القيود والإجراءات الامنية المشددة، وقد أدى ذلك الى تعرض عدد كبير من هؤلاء المتضامنين للاعتقال تحت ذريعة مشاركتهم في الانتفاضة او تقديم الدعم اللوجستي والمعنوي لها (علي صالح عباس الحسناوي. (٢٠١٧، ويبرز ذلك اتساع قاعدة التأييد الشعبي للانتفاضة والتي

عبرت عن حالة من التلاحم المجتمعي مقابل حالة من التصلب السياسي مما يعكس تعقيد العلاقة بين السلطة والشعب في ظل أزمات كبرى كالانتفاضات .

ثانياً : اثر انتفاضة صفر ١٩٧٧ على النظام السياسي .

١ . لانقسام الداخلي في حزب البعث حول مصير المنتفضين .

اصدر مجلس قيادة الثورة في الثالث عشر والرابع عشر من شباط ١٩٧٧ القرارين المرقمين (١٦٦) و (١٧٣)، والذيّن تم بموجبهما تشكيل هيأة تحقيقية خاصة اطلق عليها «الهيئة التحقيقية الخاصة في سجن رقم واحد» ومقرها في معسكر الرشيد ببغداد، وقد كُلفت هذه الهيئة بالتحقيق في احداث انتفاضة صفر والتي وصفتها احدى وثائق الهيئة بـ «احداث الشغب في محافظتي النجف وكربلاء» (علي صالح عباس الحسناوي.(ص ١٣٨ , ٢٠١٧)، ومن خلال ما تقدم نرى ان حكومة حزب البعث قد اولت أهمية سياسية وامنية بالغة للانتفاضة، فأنشأت هيأة تحقيقية خاصة مما يظهر رغبتها في السيطرة الكاملة على الاحداث وتوثيقها وفق رؤيتها .

كشفت التحقيقات عن مشاركة عدد غير قليل من العسكريين و بعض البعثيين الذين تتراوح درجاتهم الحزبية ما بين المؤيد والمرشح للعضوية في الانتفاضة، إذ تم اعتقال بعضهم، مما يدلل على عدم ايمان كثير من المنتمين الى حزب البعث بمبادئ الحزب وتوجهاته، واثار ذلك قلق القيادات الحكومية وشكوكها في ولاء القوة العسكرية المكلفة بحراسة (سجن رقم واحد) ونتيجة ذلك تم ارسال رتل من اللواء المدرع العاشر المعروف بولائه المطلق للنظام وذلك لتولي مهمة تعزيز الحراسة على السجن (رحيم عبد الحسين عباس)، وتجدر الاشارة الى ان العديد افراد الجيش العراقي اظهروا تعاطفاً كبيراً مع المتظاهرين (Charles Tripp , n.d.)، لاسيما بعدما

انكشف لهم زيف ادعاءات الحكومة، وما هؤلاء الا زائرين جاءوا لأحياء زيارة اربعينية الامام الحسين ﷺ، فعند تفتيشهم قسماً من الزائرين لم يجدوا عندهم سوى بعض الطعام على عكس ما ادعته السلطات بأنهم متمردين مدعومين من دول اجنبية، وذلك ما جعل كثير من الضباط والجنود لا يأخذون بجدية الاوامر الصادرة اليهم والقاضية بمعاملة المنتفضين بقسوة، بل على عكس ذلك فقد كانوا يسمحون للمنتفضين بالهروب عند اعتقالهم، فضلاً عن غض النظر عن هروب بعض المعتقلين الذين يتم نقلهم عن طريق سيارات الجيش، إذ كان سواق تلك السيارات يسمحون للمعتقلين بالنزول قبل وصولهم الى المعتقلات، كما شوهد اشتراك بعض العسكريين بالمسيرة بزيهم الرسمي الى جانب الزائرين) رعد الموسوي. (١٩٨٣).

اصدر مجلس قيادة الثورة قراراً في الثالث والعشرين من شباط ١٩٧٧ قراراً بتشكيل محكمة خاصة لمحاكمة المعتقلين بتهمة المشاركة في الانتفاضة، وقد ضمت المحكمة ثلاثة أعضاء من القيادة القطرية لحزب البعث، وهم عزت مصطفى رئيساً وفليح حسن الجاسم وحسن علي العامري كعضوين، وكان عزت مصطفى يشغل منصب وزير البلديات في حين كان فليح حسن الجاسم يشغل منصب وزير الدولة، وفي اليوم نفسه باشرت المحكمة اعمالها وأصدرت احكامها التي قضت بإعدام ثمانية اشخاص والحكم بالسجن المؤبد على خمسة عشر آخرين) رحيم عبد الحسين عباس .د.ت)، ويبدو أن الأحكام الصادرة بحق المنتفضين لم تكن نتاجاً لقرار قضائي مستقل، بل جاءت بأوامر مفروضة من خارج المحكمة ويُرجح بقوة أنها كانت بتوجيه مباشر من صدام حسين نائب رئيس الجمهورية آنذاك .

كان اتخاذ قرار تشكيل محكمة خاصة بعد أن صنف النظام البعثي الحاكم، ولا سيما صدام حسين نائب رئيس الجمهورية آنذاك، ان أحداث (خان النص) ماهي الا محاولة انقلابية تمس أمن الدولة وليس مجرد اضطراب شعبي ذو بعد ديني (كريم وحيد صالح الخفاجي. (٢٠٢١)، ولعل ذلك ما يؤكده تايه عبد الكريم القيادي في حزب البعث في أحد البرامج التلفزيونية، اذ أشار الى ان ذلك التصنيف هو الذي برر أمام القيادة البعثية اللجوء إلى محكمة الثورة بدلاً من المحاكم الأخرى وهو ما يعكس توظيف القضاء كأداة أمنية لضبط الحراك السياسي والمجتمعي، فضلاً عن أن مسار المحاكمات لم يخلوا من تباين داخلي في الرؤية داخل الحزب نفسه، إذ عارض بعض أعضاء المحكمة الأحكام الصادرة بحق المنتفضين، لكن المثير أن اعتراضهم لم يقابل بمراجعة داخلية أو حوار حزبي، بل قوبل بقرارات إقصائية فردية اتخذها صدام حسين لوحده من دون الرجوع إلى المؤتمر القطري وهو الجهة التنظيمية المخولة بمثل تلك القرارات داخل هيكل الحزب، وقد وصف تايه عبد الكريم ذلك الإجراء بأنه «القرار الذي كسر ظهر الحزب» في إشارة إلى تمادي السلطة الفـردية على المؤسسـات الحزبية (برنامج شهادات خاصة مع د. حميد عبد الله)، ومن جانب آخر بدأ صدام حسين آنذاك يسعى للظهور بمظهر أكثر جدية وحزم، اذ كـــان يخطط للهيمنة على السلـطة باستخـدام العنف والإرهاب مع تركيز صنع القــرار بيده وحده (فخري قدوري ٢٠٠٦) .

وتكشف لنا تلك الواقعة عن لحظة مفصلية في تاريخ حزب البعث حيث بدأ يتآكل الطابع المؤسسي للحزب لصالح النزعة التسلطية المتمركزة في شخص صدام حسين وهو ما عُد مؤشراً مبكراً على تحول الحزب من بنية سياسية جماعية إلى أداة تنفيذية في يد القائد الفرد، وبذلك لم يكن النظام البعثي يواجه مجرد انتفاضة شعبية بل كان يعاني من تصدعات داخلية أخذت تتسع مع تصاعد نفوذ صدام وتراجع دور المؤسسات الحزبية التقليدية .

ابدى اثنان من اعضاء المحكمة الخاصة التي شكلت للنظر في احداث انتفاضة صفر ١٩٧٧، وهما رئيسها عزت مصطفى والعضو فليح حسن الجاسم، عدم رضاهما عن الاحكام التي صدرت بحق المنتفضين معتبرين إياها جائرة ومجحفة (Bengio, O. (1985)وتشير الدلائل الى انهما ربما ابديا هذا الاعتراض حتى قبل انعقاد جلسات المحكمة، وقد ظهر رفضهما جلياً اثناء جلسة النطق بالاحكام، حيث خالفا الأعراف القضائية المعمول بها، اذ لم يتولَ رئيس المحكمة تلاوة الاحكام كما هو معتاد، بل قام بذلك العضو الثالث حسن علي العامري، بينما جلس الرئيس مطأطئ الرأس في مشهد عكس تردده او اعتراضه، اما فليح حسن الجاسم فقد بدا عليه التوتر والانزعاج وكان يعبث بشعره وينظر الى احد الجدران في إشارة الى رفضه الضمني لما يجري (رعد الموسوي. ١٩٨٣)، وقد اثار ذلك السلوك استياء قادة حزب البعث التي رأت فيه تمرداً داخلياً على ارادتها فقرروا اعتقال الاثنين بتهمة الاعتراض على قرارات المحكمة، وبعد شهر من احتجازهما اصدر مجلس قيادة الثورة القرار رقم (٣٤٩) في الثالث والعشرين من آذار ١٩٧٧ بعد اجتماع القيادتان القومية والقطرية للمؤتمر القطري، قرارها القاضي بطردهما من القيادة القطرية للحزب وفصلهما من مناصبهما الرسمية لثبوت تخاذلهما عند أداء واجباتهم الحزبية وعجزهما عن الاضطلاع بمسؤوليات القيادة الثورية وعدم ايمانهما بمبادئ الثورة وقيمها الاشتراكية على حد تعبيرها (صحيفة الجمهورية، (بغداد)، ١٩٧٧، وقد لحق ذلك اعفاء عزت مصطفى من منصب وزير البلديات وتعيينه طبيباً في قضاء الشرقاط، كما تم اعفاء فليح حسن الجاسم وتعيينه معلماً في مدينة تكريت، وبعد فترة وجيزة تم اغتيال فليح حسن الجاسم على يد الأجهزة الأمنية السرية عام ١٩٨٢، كما حاولت السلطات البعثية اغتيال عزت مصطفى الا ان عملية الاغتيال لم تنجح (العاني، ٢٠١٥)، ويبدو أن

اختيار عزت مصطفى لرئاسة المحكمة لم يكن اختياراً عشوائياً، اذ كان معروفاً بعدم تورطه في أعمال القتل والتصفيات، خلافاً لمعظم أعضاء مجلس قيادة الثورة وكوادر حزب البعث، ومن خلال ذلك التعيين أراد صدام حسين إحراجه أو ربما التخلص منه فاقترح على مجلس قيادة الثورة تعيينه في ذلك المنصب (الحسيني، ٢٠١٥).

مما سبق تكشف الأحداث عن وجود انقسام خفي داخل مؤسسة الحكم وبشكل خاص في صفوف بعض أعضاء حزب البعث الذين أوكلت إليهم مهام قضائية في تلك المحاكمات، فضلاً عن ذلك تعكس لنا تلك الواقعة الطابع الاستبدادي الصارم للنظام البعثي في العراق خلال سبعينيات القرن الماضي حيث لم يكن يُسمح بأي شكل من أشكال الخروج عن الإجماع الحزبي حتى وإن اقتصر على التلميح أو الصمت، إذ كان يُواجه بالقمع الشديد والإقصاء أو التصفية حتى داخل أعلى مستويات السلطة، ويتضح ايضاً أن النظام لم يكن يواجه انتفاضة جماهيرية فحسب بل كان يواجه أيضاً خطر التصدع الداخلي في بنية سلطته ما دفعه إلى التصرف بعنف لا لضبط الشارع فقط بل لضمان الولاء المطلق داخل أجهزته الحزبية والحكومية .

٢. موقف الحزب الشيوعي العراقي وبعض الدول الإسلامية من انتفاضة صفر ١٩٧٧

كان الحزب الشيوعي العراقي (١) الحليف الشكلي لحزب البعث ضمن

(١)الحزب الشيوعي العراقي : تأسس الحزب الشيوعي العراقي نتيجة لاندماج الخلايا الماركسية في بغداد والبصرة والناصرية في تنظيم واحد مشترك في ٣١ آذار ١٩٣٤ على يد كل من عاصم فليح و قاسم حسن و مهدي هاشم وآخرين، وقد ابتدأ الحزب عمله السري تحت مسمى (جمعية مكافحة الاستعمار والاستثمار) وبعد مدة غُيِّرَ اسمه إلى (الحزب الشيوعي العراقي) وقد قدم نفسه على انه حزب الطبقة العاملة، و اتخذ من المبادئ الماركسية اللينينية اساساً نظرياً له، وقد مارس دوراً بارزاً في الساحة السياسية العراقية، إذ كان له مواقفه الخاصة من الاحداث السياسية وقد تعرض الحزب

اطار (الجبهة الوطنية والقومية التقدمية) قد اعلن تأييده للإجراءات التي اتخذتها الحكومة البعثية تجاه المشاركين في انتفـاضة صفر ١٩٧٧، إذ وصـف تلك الانتفاضة بأنها « نشـاطاً رجعياً تآمرياً « ضـد الحكومة (منشورات صحيفة طريق الشعب، ١٩٧٧)، كما اصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي توجيهاً داخلياً الى جميع منظمات الحزب وصف فيها المشاركين في الانتفاضة باستغلال المشاعر الدينية والطائفية والقيام بأعمال استفزازية معادية للسلطة، وان تلك النشاطات هي من صنع « الدوائر الاستعمارية والرجعية الحاقدة « (الخرسان , ٢٠٠١)غير ان ذلك الموقف الرسمي لم يكن محل اجماع داخل الحزب، بل عبر عن رأي قيادته فقط، إذ ذكر عدنان عباس عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي في مذكراته بهذا الصدد ان تنظيمات الحزب الشيوعي في منطقة الفرات الاوسط لم تكن راضيةً عن تصريحات سكرتارية اللجنة المركزية ورفضت توصيف الانتفاضة كمؤامرة، كما اعترضت على دعم الحزب الشيوعي العراقي لإجراءات القمع التي مارستها السلطة ضد المتنفضين (عدنان عباس ,٢٠١٦)، وفي السياق نفسه ذكر احد القيادات الشيوعية وهو صاحب جليل الحكيم ان موقف الحزب بدا مهادناً للسلطة، وهو ما اثار استغراب وتساؤلات بعض الكوادر الحزبية التي لم تجد تفسيراً مقنعاً لدعم القيادة للإجراءات القمعية (لقيسي، س. أ. أ. (٢٠١٩).ومن جانبه اوضح عزيز محمد، سكرتير اللجنة

الشيوعي إلى انشقاقات عدة وتصدعات كان اهمها انشقاق ايلول ١٩٦٧ الذي شق الحزب الشيوعي إلى جناحين وهما اللجنة المركزية والقيادة المـركزية . ينظر : مؤيد شاكر كاظم الطائي، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥ - ١٩٤٩ (دراسة تاريخية)، تموز للطـباعة والنشر، دمـشق، ٢٠١٣ ؛ سيف عدنان أرحيم القيسي، الحزب الشيوعي العراقي ودوره في الحركة الوطنية العراقية ١٩٤٩ - ١٩٥٨، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص ص ٨-١٨ .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

المركزية للحزب الشيوعي العراقي آنذاك، ان تأييد حزبه لتلك الاجراءات القمعية لم يكن نابعاً من قناعة تامة، بل جاء نتيجة لضغوط مباشرة مارسها حزب البعث الذي كان يطالب حلفاءه داخل الجبهة الوطنية والقومية التقدمية بموقف علني يدين الانتفاضة، كما اكد عزيز محمد ان قيادة الحزب لم تكن راضية عن الاجراءات القمعية التي اتخذتها السلطة ضد المنتفضين لكنها لم تتجرأ على اعلان اعراضها بشكل صريح (عزيز محمد، مقابلة شخصية، ٢٠١٦).

ويتضح هنا وجود انقسام جلي بين موقف القيادة العليا للحزب الشيوعي العراقي ومواقف التنظيمات الحزبية المحلية لاسيما في منطقة الفرات الأوسط، حيث لم يكن الخطاب الرسمي يعكس بالضرورة قناعات الكوادر الحزبية، ويُعزى ذلك التباين في جانب منه إلى التعتيم الإعلامي الذي رافق الانتفاضة وقيام السلطة بتصوير المشاركين فيها على أنهم مخربون مما ساهم في تزييف الواقع وإرباك المواقف، وقد أسفر ذلك الوضع عن قلة ثقة بعض القواعد الشعبية بالحزب الشيوعي العراقي وأدى إلى خسارته جزءاً من رصيده السياسي فضلاً عن تعميق حالة الانقسام والاضطراب داخل صفوفه التنظيمية.

اكد وزير النقل مكرم الطالباني خلال اجتماع اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية على ضرورة توخي الحذر في التعامل مع احداث الانتفاضة لكونها متصلة بجانب من العقيدة لدى المسلمين الشيعة، محذراً في الوقت نفسه من مغبة المساس بمشاعرهم الدينية، واستناداً الى علاقته الوثيقة مع رئيس الجمهورية احمد حسن البكر ونائبه صدام حسين، سعى مكرم الطالباني الى التدخل السريع لاحتواء الموقف، حيث تلقى وعوداً منهما بعدم تنفيذ احكام الاعدام، غير ان تلك الوعود لم تُنفذ بالكامل ؛ اذ تم تخفيض عدد المحكومين بالاعدام من ٤٥ الى ١٠ فقط، الامر الذي اثار استياء مكرم الطالباني الربيعي، ٢٠١٥، ص. ١٦٩-١٧٠)

ومن خلال تتبع موقف الحزب الشيوعي العراقي من انتفاضة صفر ١٩٧٧، يتبين بوضوح محدودية تأثيره الحقيقي داخل إطار الجبهة الوطنية والقومية التقدمية التي شكلها حزب البعث لتأطير المعارضة السياسية ضمن مشروع شكلي للوحدة الوطنية، فعلى الرغم من ان الحزب الشيوعي العراقي أحد أبرز الأطراف المكونة للجبهة، إلا أن مواقفه ظلت خاضعة بشكل شبه كلي لإرادة القيادة البعثية مما جعله أقرب إلى تابع سياسي منه إلى شريك فعلي في صنع القرار، كما تُظهر تلك الحالة اختلال موازين القوى داخل الجبهة حيث احتكر حزب البعث السلطة الفعلية ومارس ضغوطاً مباشرة لإجبار حلفائه على تبني مواقفه، حتى وإن تعارضت مع مبادئهم أو قواعدهم الشعبية، وهو ما ظهر جلياً في موقف الحزب الشيوعي من الانتفاضة، حيث لم يكن له القدرة على الاعتراض العلني أو حتى تبني موقف مستقل، خشية من تداعيات سياسية وأمنية محتملة، فضلاً عن ذلك يبرز من خلال ذلك الموقف تصاعد النزعة الاستبدادية لدى حزب البعث خلال تلك المرحلة، إذ لم يكتفِ بإقصاء المعارضين من خارج الجبهة، بل عمل على تحجيم وتهميش الأصوات المختلفة حتى من داخل التحالفات الشكلية التي أنشأها، وفرض عليها اصطفافاً سياسياً صارماً يتنافى مع مبدأ التعددية الذي كانت الجبهة تُسوق على أساسه، ولم يقتصر الامر على ذلك، بل عمد حزب البعث الى ابعاد وتصفية الشيوعيين في الجيش العراقي والمناصب الحكومية. (باقر إبراهيم، ٢٠٠٢).

مارست حكومة حزب البعث في اعقاب انتفاضة صفر ١٩٧٧ سياسة تعتيم اعلامي مشددة متعمدة إخفاء تفاصيل ما جرى وتقديم سردية رسمية منافية للوقائع، بهدف منع انتشار اخبار الانتفاضة وما تبعها من قمع دموي الى خارج حدود العراق، لاسيما الى الدول الإسلامية التي كان من شأنها ان تتأثر دينياً وسياسياً

بمثل تلك الاحداث نظراً للطابع الديني والمذهبي للانتفاضة، فعلى الرغم من ذلك التعتيم الا ان أصداء الانتفاضة وصلت الى الخارج، حيث صدرت بيانات ونداءات احتجاج من عدد من الدول والمؤسسات الإسلامية والدولية بما في ذلك لبنان وايران وباكستان والهند وبعض دول الخليج و.و.د، مديرية الأمن العامة، ١٩٧٧)، فضلاً عن منظمات حقوقية اوربية، وقد شجبت تلك البيانات بشدة ممارسات السلطة البعثية واساليبها القمعية في التعامل مع المنتفضين ووصفتها بأنها انتهاك صارخ لحقوق الانسان والمبادئ الأساسية للعدالة (المؤمن، ٢٠٠٤).

كان ابرز تلك الادانات ما ورد في تقرير منظمة العفو الدولية ((١)) الذي اكد ان المعتقلين قد تم اعدامهم دون محاكمة قانونية عادلة، بل وتحت وطأة التعذيب، في حين وصفت المنظمة الاتهامات الموجهة اليهم بأنها « غير مقنعة » على حد تعبيرها (Amnesty International, 1979, p. 175)، وقد حاولت الحكومة تبرير افعالها للمنظمة المذكورة، بأن ذلك النوع من المحاكم ضروري للقضاء على الطائفية التي يغذيها اعداء الشعب على حد تعبيرها (هاشم، ٢٠٠٣، ص. ٨٣)، ومن جانب آخر لم تقتصر انتهاكات

(١) منظمة العفو الدولية : هي منظمة انسانية دولية مستقلة وغير حكومية، اسسها المحامي البريطاني (بيتر بننسون) عام ١٩٦١ وتهدف الى تأمين احترام الاعلان العالمي لحقوق الانسان، ومساعدة واطلاق سراح الاشخاص المعتقلين بداعي قناعاتهم الدينية والسياسية والفلسفية او بداعي اصلهم ولونهم، ومتابعة اجراءات القضايا المتعلقة بالمعتقلين السياسيين واصحاب الرأي ومراقبة مدى قانونية الاحكام الصادرة ضدهم، كما تسعى المنظمة الى ايقاف العمل بعقوبة الاعدام وعمليات التعذيب التي يتعرض لها السجناء . تتمتع المنظمة بهيأة استشارية في منظمة الامم المتحدة واليونسكو و مجلس اوروبا و منظمة الدول الامريكية واللجنة الامريكية لحقوق الانسان، وهي تمول بمساهمات خاصة ومقر امانتها العامة في لندن . ينظر : احمد سعيفان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

السلطة على الاعدامات فقط، بل امتدت لتشمل أي شكل من اشكال الحداد او التعبير عن الحزن، اذ اشارت احدى وثائق مديرية الامن العامة ان السلطات الحكومية منعت إقامة المآتم والمراثي العزائية على أرواح الشهداء وقامت باعتقال كل من حاول زيارة قبورهم، كما فرضت رقابة امنية صارمة على الطرق المؤدية الى تلك المقابر في محاولة لمحاصرة رمزية الشهادة ومنع تحولها الى وقود سياسي او ديني لاي حركة احتجاج مستقبلية (و.و.د، مديرية الأمن العامة، ١٢ أبريل ١٩٧٧، ص. ٢

ثالثاً : اثر انتفاضة صفر على الزيارة الاربعينة ودورها في مسار الانتفاضات العراقية اللاحقة (١٩٧٩-١٩٩١):

اصدر وزير الداخلية عزت الدوري في السابع والعشرين من حزيران ١٩٧٧ تقريراً رفعه الى امين سر القطر احمد حسن البكر، تضمن جملة من التوصيات والإجراءات التي تهدف بشكل واضح وممنهج الى تقليص تأثير الشعائر الحسينية والتدرج في تحجيمها وصولاً الى السيطرة عليها وافراغها من محتواها الرمزي والديني، كما تضمن التقرير عدداً من النقاط التي تعكس بوضوح استراتيجية حكومة حزب البعث تجاه الممارسات الدينية الشيعية والتي تم تأطيرها بخطاب يدعي الإصلاح الديني لكن جوهره كان سياسياً وامنياً بأمتياز، ومن ابرز ما ورد في التقرير :

١. الاستمرار بتوعية الجماهير بحقيقة توجه الحزب الرامي الى تخليص الدين والمناسبات الدينية المقدسة من الممارسات والتعبيرات الخاطئة التي هي اصلاً طارئة على الدين الاسلامي.

٢. السماح للمواطنين بأقامة مجالس العزاء الحسينية في المحافظات مع المحافظة على محدوديتها دون تقليص عشوائي واتخاذ الاجراءات المناسبة بخصوص الموافقات والتعهدات .

٣. عدم التعرض لظاهرة المشي في الوقت الحاضر والاستمرار بالتثقيف على ان عادة المشي من الامور الضارة بالقياس الى المراسيم الحسينية الصحيحة...

٤. العمل مع الممارسين والرواديد والقراء والخطباء وتوجيه قسم منهم الى ان تكون قصائدهم وخطبهم موجهة لخدمة الحزب والثورة وتحذير المسيئين منهم ومساعدة المحتاجين منهم خاصة الذين يمارسون العمل بقصد العيش واعتماد ارزاقهم على المناسبات المذكورة .

٥. السيطرة على دخول الزوار خلال الفترات المذكورة وعدم اعطاء التأشيرات للأجانب بالدخول الى العراق ... كذلك منع العسكريين من التمتع في اجازاتهم وكذلك الموظفين وقد اثبتت الاحداث الماضية ان عدداً كبيراً من الجنود كانوا بين المتظاهرين .

٦. تشريع قانون خاص يقضي بمنع رفع اللافتات السياسية والدينية في الشوارع والطرقات والمحلات العامة والخاصة إلا بأذن من امانة العاصمة او البلدية وتقدم الجهة او المنظمة المخالفة الى الجهات المختصة لمحاسبتها كذلك تطبيق تعليمات امانة العاصمة بمنع الكتابات على الجدران ورسم الخطوط والصور الايرانية ومهما كانت انواعها في جميع المناسبات ...

٧. اعادة الاذهان الى القرارات السابقة بمنع جمع التبرعات والاعانات لأي جهة كانت الا بعد اخذ موافقة وزارة الداخلية والحصول على كتاب يؤيد ذلك .

٨. تطبيق قانون منع الضوضاء فيما يخص الفواتح واستعمال السماعات واجهزة التسجيل «(و.و.د، ٢٧ يونيو ١٩٧٧)، ومما ورد في التقرير اعلاه نرى جلياً خوف الحكومة من الشعائر الحسينية من خلال محاولة تشذيبها و العمل بمختلف الوسائل والاساليب للحد منها وتقليصها من خلال منع

المواكب و المسير على الاقدام ومنع رفع اللافتات والصور الحسينية ومنع التبرعات فضلاً عن تقييد الخطباء والرواديد بما يقرأون، وذلك خوفاً من ان تتحول تلك الشعائر من ممارسات دينية الى أنشطة تحمل ابعاداً رمزية وثقافية ومجتمعية يمكن ان تتحول بسهولة الى حراك احتجاجي او مظاهرة سياسية .

لم تنجح الإجراءات الصارمة التي اتخذتها حكومة حزب البعث في ثني الزائرين عن ممارسة شعائرهم الحسينية وعلى وجه الخصوص شعيرة المشي الى كربلاء المقدسة، ففي العام التالي لاحداث انتفاضة صفر وتحديداً في التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٨ انطلقت الجماهير الحسينية كعادتها لاحياء ذكرى اربعينية الامام الحسين عليه السلام ((الحيدري، ٢٠١٤، ؛ الجزائري، ٢٠١٧، وعلى الرغم من التشديدات الحكومية ومحاولات التضييق المستمرة على على حركة الزائرين، الا ان اجهزة السلطة لم تستطع منع الاعداد الكبيرة للزائرين في ذلك العام، إذ اشارت احدى وثائق وزارة الداخلية الى ذلك بما نصه : « لوحظ توافد الزوار على المحافظة بشكل طبيعي ومستمر حيث وصل قسم منهم سيراً على الاقدام وقد اكتضت المحافظة بالزوار « (و.و.د، وزارة الداخلية/ المخابرات السرية والسياسية، ١٣ فبراير ١٩٧٨)، كما شهدت المناسبة مشاركة واسعة من مواكب العزاء القادمة من مختلف المحافظات العراقية والتي اقتصرت على الشعارات والقصائد الحسينية، وذلك في مشهد يعكس تمسك الشعب بموروثه الديني وتحديه للإجراءات القمعية التي فرضتها حكومة حزب البعث (المصدر نفسه، ١٩٧٨)

شكلت انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ محطة مفصلية في مسار المعارضة الشعبية لنظام حزب البعث في العراق، إذ أسهمت في كسر حاجز الصمت والخوف الذي كان يخيم على الشارع العراقي بفعل القمع السياسي والاستبداد الأمني، فعلى الرغم

من القمع الدموي الذي جوبهت به تلك الانتفاضة إلا أنها أفرزت تحولات عميقة في الوعي الشعبي وفتحت الطريق أمام تحركات جماهيرية لاحقة، ففي السابع والعشرين من كانون الاول ١٩٧٩ وفي ذكرى وفاة النبي محمد ﷺ حدثت اعتقالات بين صفوف الزائرين نتيجة لرفضهم توجيهات السلطات الحكومية بمنع اقامة المسيرات الراجلة و المواكب الحسينية وترديد الاهازيج الحسينية (و.و.د، محافظة النجف/ الإدارة العامة، ١ فبراير ١٩٧٩)، وفي العام نفسه اندلعت انتفاضة رجب عقب اعتقال المرجع الديني البارز السيد محمد باقر الصدر الذي كان يُعد رمزاً دينياً وفكرياً كبيراً لدى الجماهير فهبت جموع من مختلف المدن العراقية، لا سيما في النجف الاشرف والكوفة المقدسة والبصرة، مطالبة بإطلاق سراحه ما شكل امتداداً مباشراً للحراك الذي بدأ في انتفاضة صفر ١٩٧٧ ((الأسدي، المصدر الساب،وقد بلغت تلك التراكمات ذروتها بعد أكثر من عقد في أعقاب حرب الخليج الثانية حينما اندلعت الانتفاضة الشعبانية في عام ١٩٩١ وهي واحدة من أوسع الانتفاضات الشعبية التي شهدها العراق حيث شملت معظم محافظات الجنوب والوسط وجاءت كرد فعل مباشر على سنوات القمع والحروب والمآسي التي خلفها النظام الأسدي، المصدر السابق، ومهما يكن من امر يمكن القول إن تلك الانتفاضات بدءاً من انتفاضة صفر، مروراً بانتفاضة رجب، وصولاً إلى الانتفاضة الشعبانية لم تكن أحداثاً معزولة بل جسدت مساراً تصاعدياً من الرفض الشعبي المتنامي وأكدت أن إرادة الجماهير قادرة على كسر جدار الخوف الذي بناه النظام عبر سنوات من البطش والاستبداد، كما أظهرت بوضوح أن الشعائر الدينية والرموز العقائدية لم تكن مجرد ممارسات تقليدية بل كانت تمثل في كثير من الأحيان نقطة انطلاق للحراك الشعبي والسياسي .

الخاتمة

شكلت انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ محطة مفصلية في التاريخ السياسي للعراق، وأسفرت عن نتائج وتأثيرات متعددة الأبعاد يمكن إيجازها في النقاط الآتية :

١. كسر حاجز الخوف والتحول نحو المواجهة المباشرة، اذ كان الخوف يهيمن على الشارع العراقي بفعل سياسات القمع والاستبداد الأمني، مما شجع الجماهير على تحدي حكومة حزب البعث والمطالبة بحقوقها وحرياتها، اذ تحولت الحشود الشعبية إلى المواجهة المباشرة، معلنة بذلك أن الشارع العراقي لم يعد ساكناً وأن الدين عندما يقترن بالكرامة والدم يتحول إلى قوة احتجاجية يصعب إخمادها.

٢. كشف الوجه الزائف لحزب البعث، اذ أظهرت الانتفاضة زيف الادعاءات الإسلامية لحزب البعث الذي سعى في البداية لكسب دعم الحركة الإسلامية بعد وصوله إلى الحكم عام ١٩٦٨، لكن سرعان ما انكشفت نواياه الحقيقية من خلال فرض قيود مشددة على الشعائر الدينية، مما عكس نهجاً مراوغاً اعتمدته السلطة لتعزيز هيمنتها قبل الانتقال إلى تطبيق سياستها القمعية بشكل صريح.

٣. إحداث انقسامات داخلية في حزب البعث، اذ كشفت الانتفاضة عن وجود تصدعات وانقسامات داخل بنية حزب البعث نفسه، حيث ظهرت خلافات بين أعضائه حول كيفية التعامل مع المنتفضين وقد تجلى ذلك في اعتراض رئيس وأحد أعضاء المحكمة الخاصة التي شكلت لمحاكمة المعتقلين على الأحكام الصادرة بحق المنتفضين، مما أدى إلى إقصائهم وفصلهم من مناصبهم الحزبية والرسمية، وتعكس تلك الواقعة الطابع الاستبدادي للنظام البعثي، حيث لم يُسمح بأي شكل من أشكال الخروج عن الإجماع الحزبي.

٤. لم تكن انتفاضة صفر حدثاً معزولاً، بل شكلت محطة تأسيسية في مسار الانتفاضات العراقية اللاحقة، مثل انتفاضة رجب عام ١٩٧٩ والانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، اذ رسخت الانتفاضة الطابع الاحتجاجي لزيارة الأربعين وحولتها إلى فعل جماهيري ديني-سياسي، مما مهد الطريق لتصاعد الرفض الشعبي المتنامي ضد النظام .

٥. ساهمت الانتفاضة بشكل كبير في ترسيخ الطابع الاحتجاجي لزيارة الأربعين وتحويلها من مجرد شعيرة دينية إلى فعل جماهيري على الرغم من الإجراءات الحكومية الصارمة، أصرت الجماهير على ممارسة شعيرة المشي إلى كربلاء المقدسة، مما عكس تمسك الشعب بموروثه الديني وتحديه للإجراءات القمعية.

٦. أظهرت أحداث الانتفاضة وما تلاها من قمع تصاعد النزعة الاستبدادية لدى حزب البعث، حيث لم يكتف بإقصاء المعارضين من خارج الجبهة، بل عمل على تحجيم وتهميش الأصوات المختلفة حتى من داخل التحالفات الشكلية التي أنشأها، وفرض عليها اصطفافاً سياسياً صارماً يتنافى مع مبدأ التعددية.

٧. بينت الانتفاضة بوضوح محدودية التأثير الحقيقي للحزب الشيوعي العراقي داخل إطار الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، فعلى الرغم من كونه أحد أبرز الأطراف المكونة للجبهة، إلا أن مواقفه ظلت خاضعة بشكل شبه كلي لإرادة القيادة البعثية، مما جعله أقرب إلى تابع سياسي منه إلى شريك فعلي في صنع القرار .

٨. حظيت الانتفاضة بدعم مادي ومعنوي واسع من مختلف شرائح المجتمع على الرغم من القيود الأمنية المشددة، وقد عكس ذلك زيادة في الوعي السياسي للجماهير، فضلاً عن اتساع قاعدة التأييد الشعبي للانتفاضة وحالة من التلاحم المجتمعي في مقابل حالة من التصلب السياسي .

الملحق رقم (١) (و.و.د، ١٩٧٧)

الملحق رقم (1) (و.و.د، 1977)

وزارة الداخلية
الأمن العامة
الشؤون السياسية

// سري للغاية وشخصي //

ع/ ٦ / ٢٨ - ٢٧٢٨
١٩٧٧/٦/١٢

الى / وزارة الداخلية - المكتب الخاص
م/ الاذاعات والرأي العام

اثارت الحوادث الاخيرة في يومي ٥ و ٦ من الشهر الجاري في محافظتي النجف وكربلاء بمناسبة زيارة الاربعين لاستشهاد سيدنا الحسين والمحاولة الاجرامية لنظام حكم السوري في دمشق موخرا بتفجير عبوة ناسفة في صحن الحسين لتخريب الاماكن المقدسة وخلق الفتنة بما رافق ذلك من شجب لهذه الاعمال والمخططات المشبوهة من قبل كافة الاوساط الشعبية والدينية ، اثارت هذه الحوادث باهتمام الرأي العام في القطر ولايزال يتظر بحذر القلق والارتياب ، ويتناقل الحديث وتدور الاذاعات بهذا الصدد وعلى مستويات مختلفة ندرج فيما يلي اهمها :-

١- يعتقد كثير من المواطنين واغلبهم من السذج بان حوادث الشغب التي حدثت في محافظتي النجف وكربلاء في المناسبة اعلاه هي بنتيجة مقاومة ابناء الشيعة المستمرة لاجراءات السلطة باساليب مختلفة من اكراه واقناع ووعيد لمنعهم من ممارسة الطقوس والتقاليد الدينية بما فيها اقامة المآتم الحسينية وسير المواكب العزائية وزيارة العتبات المقدسة ومنع توزيع الطعام او الماء على المواطنين في هذه المناسبات ويضيفون بان هذه الاجراءات السلبية ضدهم - وحسب تصورهم - بانها ستزيد من اصرارهم على ممارسة تقاليدهم الدينية في كل مناسباتها وستخلق السلطة لنفسها اعداء شرسين وقد يستهدفون المنشآت الحكومية وضمن هذا الاطار العام في حججهم يتمعدين من تفهم الجذور الحقيقية لهذه الظواهر وانماكاساتها السلبية وعدم ربطهم الموضوع بمنطق سياسي وتشخيصهم لصبة الاستعمار وريبته الرجعية والعناصر الدينية الموتورة ومحاولتها المستمرة في خلق الفتنة واحداث الفوضى مستهدفين الحزب والثورة .

٢- يتحدث بعض المواطنين باسلوب الهمس بان اللقاء التلفزيوني الاخير الذي اجرى لعميل المخابرات السوري حول كيفية القاء القبض عليه اثناء محاولته وضع عبوة ناسفة في صحن الحسين الشريف ما هو الا من تدبير السلطة وليس له نصيب من الصحة والقصد هو ابعاد اهتمام الناس عن حوادث (خان النص والنخيلة) في النجف وكربلاء والعنف الذي استعملته السلطة والذي ذهب ضحيته عدد من الابرياء واعتقال الالاف منهم .

٣- وتروج اشاعة ذات اهمية خاصة مفادها ان منتسبي القوات المسلحة وخاصة الجنود وضباط [illegible] في الجنوب بالاخص المناطق

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ، آذار - ٢٠٢٦ م

الملحق رقم (٢) (و.و.د، ١٩٧٧، ص. ٢)

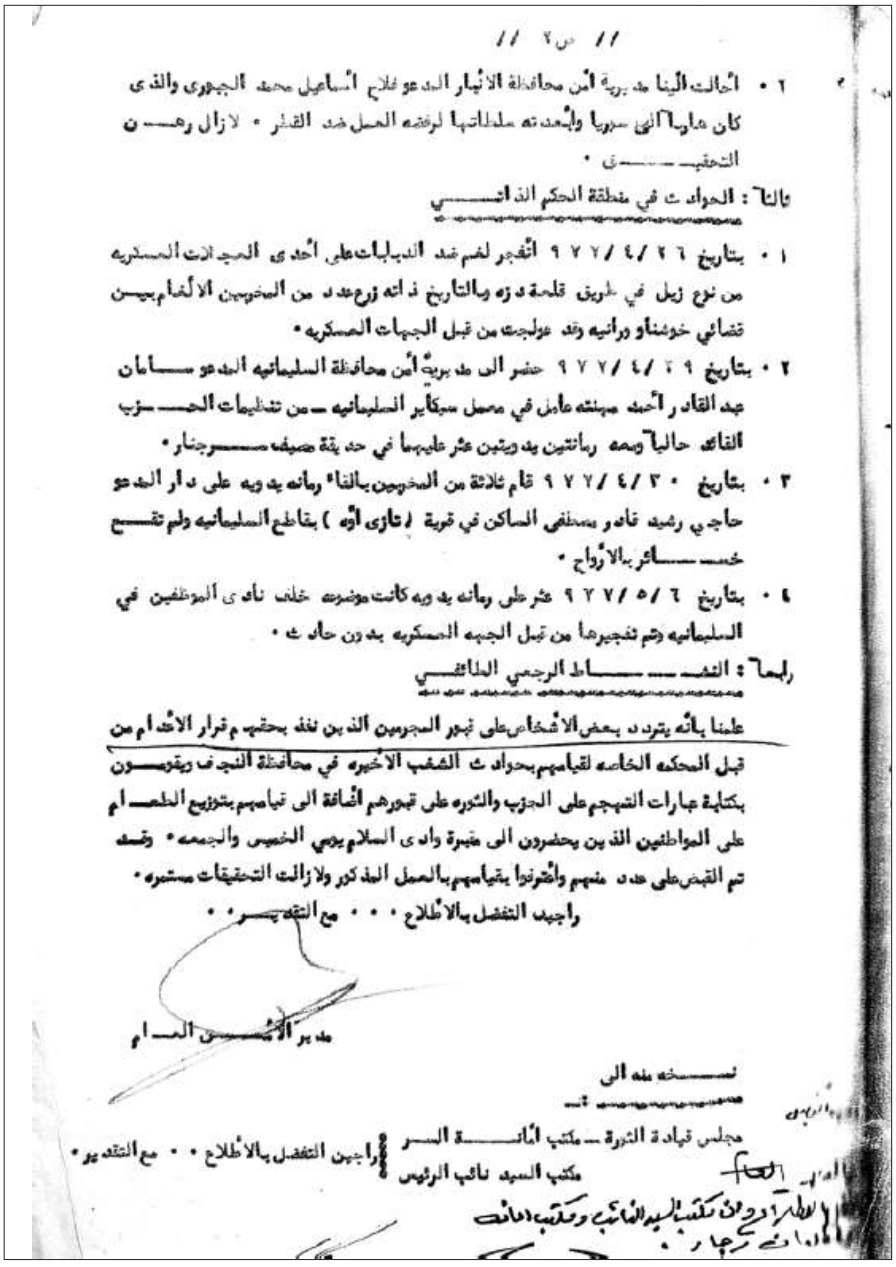

// ص ٢ //

٢ . أحالت الينا مديرية أمن محافظة الأنبار الدعوى ضابط إسماعيل محمد الجبوري والذي كان مايا الى سوريا وأبعدته سلطاتها لرفضه العمل ضد القطر . لازال رهن التحقيق .

ثالثاً : الحوادث في منطقة الحكم الذاتي

١ . بتاريخ ٢٦ / ٤ / ١٩٧٧ انفجر لغم ضد الدبابات على أحدى المجنزرات العسكرية من نوع زيل في طريق قلعة دزه وبالتاريخ ذاته وقع عدد من المخربين الأقدام بين قضائي خورمال ورانيه وقد عولجت من قبل الجهات العسكرية .

٢ . بتاريخ ٢٩ / ٤ / ١٩٧٧ حضر الى مديرية أمن محافظة السليمانية الدعو سامان عبد القادر أحمد مهندس عامل في معمل سكاير السليمانية - من تنظيمات الحزب الشيوعي حالياً وصحه رمانتين يدويتين عثر عليهما في حديقة منزله بسرجنار .

٣ . بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٧٧ قام ثلاثة من المخربين بالقاء رمانه يدويه على دار الدعو حاجي رشيد قادر بمصطفى الساكن في قرية (ئاڤزى أوه) بقاطع السليمانية ولم تنفجر خسائر بالأرواح .

٤ . بتاريخ ٦ / ٥ / ١٩٧٧ عثر على رمانه يدويه كانت موضوعه خلف نادي الموظفين في السليمانية وتم تفجيرها من قبل الجبهه العسكريه بدون حادث .

رابعاً : النشاط الرجعي الداخلي

علمنا بأنه يتردد بعض الأشخاص على قبور المجرمين الذين نفذ بحقهم قرار الأعدام من قبل المحكمه الخاصه لقيامهم بحوادث الشغب الأخيره في محافظة النجف ويقومون بكتابة عبارات التهجم على الحزب والثوره على قبورهم أضافة الى قيامهم بتوزيع الطعام على المواطنين الذين يحضرون الى مقبرة وادي السلام يوم الخميس والجمعه . وقد تم القبض على عدد منهم وأعترفوا بقيامهم بالعمل المذكور ولازالت التحقيقات مستمره .

راجين التفضل بالأطلاع . . . مع التقدير . .

مدير الأمن العام

نسخه منه الى

مجلس قيادة الثورة - مكتب أمانة السر

راجين التفضل بالأطلاع . . مع التقدير .

مكتب السيد نائب الرئيس

الطابو ومن مكتب السيد النائب ومكتب امانة

الملحق رقم (٢) (و.و.د، ١٩٧٧، ص. ٢)

الملحق رقم (٣) (١) (و.و.د، ١٩٧٧، ص. ١-٥)

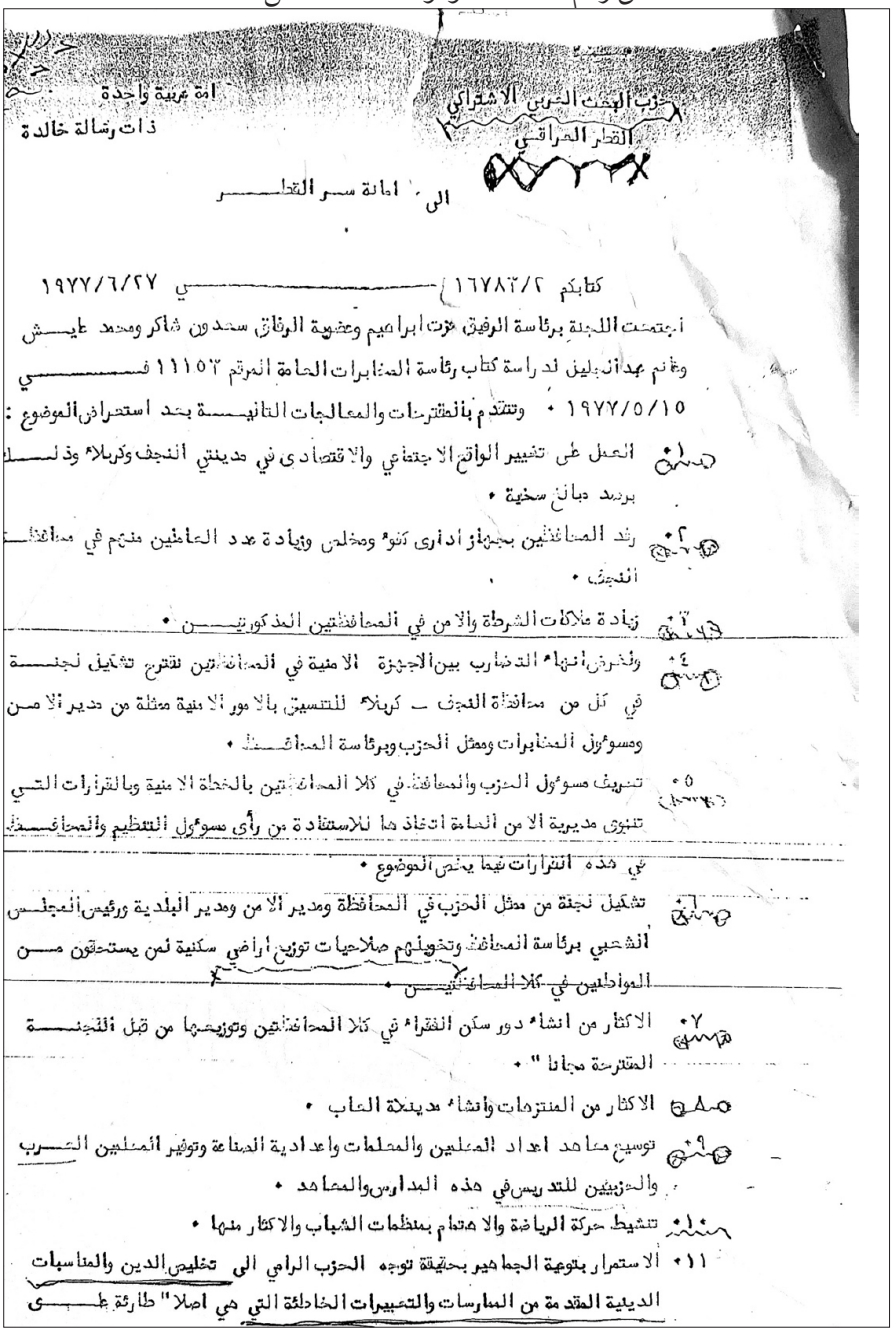

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

الى : امانة سر القطـــــر

كتابكم ١٦٧٨٢/٢ ـــــــــــــــــــ ١٩٧٧/٦/٢٧

اجتمعت اللجنة برئاسة الرفيق عزت ابراهيم وعضوية الرفاق سعدون شاكر ومحمد عايش وقائم عبد الخليفة لدراسة كتاب رئاسة المخابرات العامة المرقم ١١١٥٣ فـــــــي ١٩٧٧/٥/١٥ . وتتقدم بالمقترحات والمعالجات التاليـــة بعد استعراض الموضوع :

١. العمل على تغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي في مدينتي النجف وكربلاء وذلـــك برصد مبالغ سخية .

٢. رفد المحافظين بجهاز اداري كفوء ومخلص وزيادة عدد العاملين منهم في محافظـــة النجف .

٣. زيادة ملاكات الشرطة والامن في المحافظتين المذكورتيـــن .

٤. ولغرض انهاء التضارب بين الاجهزة الامنية في المحافظتين نقترح تشكيل لجنـــة في كل من محافظة النجف ـ كربلاء للتنسيق بالامور الامنية مثلة من مدير الامن ومسؤول المخابرات وممثل الحزب وبرئاسة المحافـــظ .

٥. تنبيه مسؤول الحزب والمحافظ في كلا المحافظتين بالخطة الامنية وبالقرارات التي تتبنى مديرية الامن العامة اتخاذها للاستفادة من رأي مسؤول التنظيم والمحافـــظ في هذه القرارات فيما يخص الموضوع .

٦. تشكيل لجنة من ممثل الحزب في المحافظة ومدير الامن ومدير البلدية ورئيس المجلس الشعبي برئاسة المحافظ وتخويلهم صلاحيات توزيع اراضي سكنية لمن يستحقون من المواطنين في كلا المحافظتيـــن .

٧. الاكثار من انشاء دور سكن الفقراء في كلا المحافظتين وتوزيعها من قبل اللجنـــة المقترحة مجانا " .

٨. الاكثار من المنتزهات وانشاء مدينة العاب .

٩. توسيع معاهد اعداد المعلمين والمعلمات واعادية الصناعة وتوفير المعلمين العـــرب والمدربين للتدريس في هذه المدارس والمعاهد .

١٠. تنشيط حركة الرياضة والاهتمام بمنظمات الشباب والاكثار منها .

١١. الاستمرار بتوعية الجماهير بحقيقة توجه الحزب الرامي الى تخليص الدين والمناسبات الدينية المقدسة من الممارسات والتعبيرات الخاطئة التي هي اصلا " طارئة علـــى

الملحق رقم (٤) (و.و.د، محافظة النجف/ الإدارة العامة، ١٩٧٩)

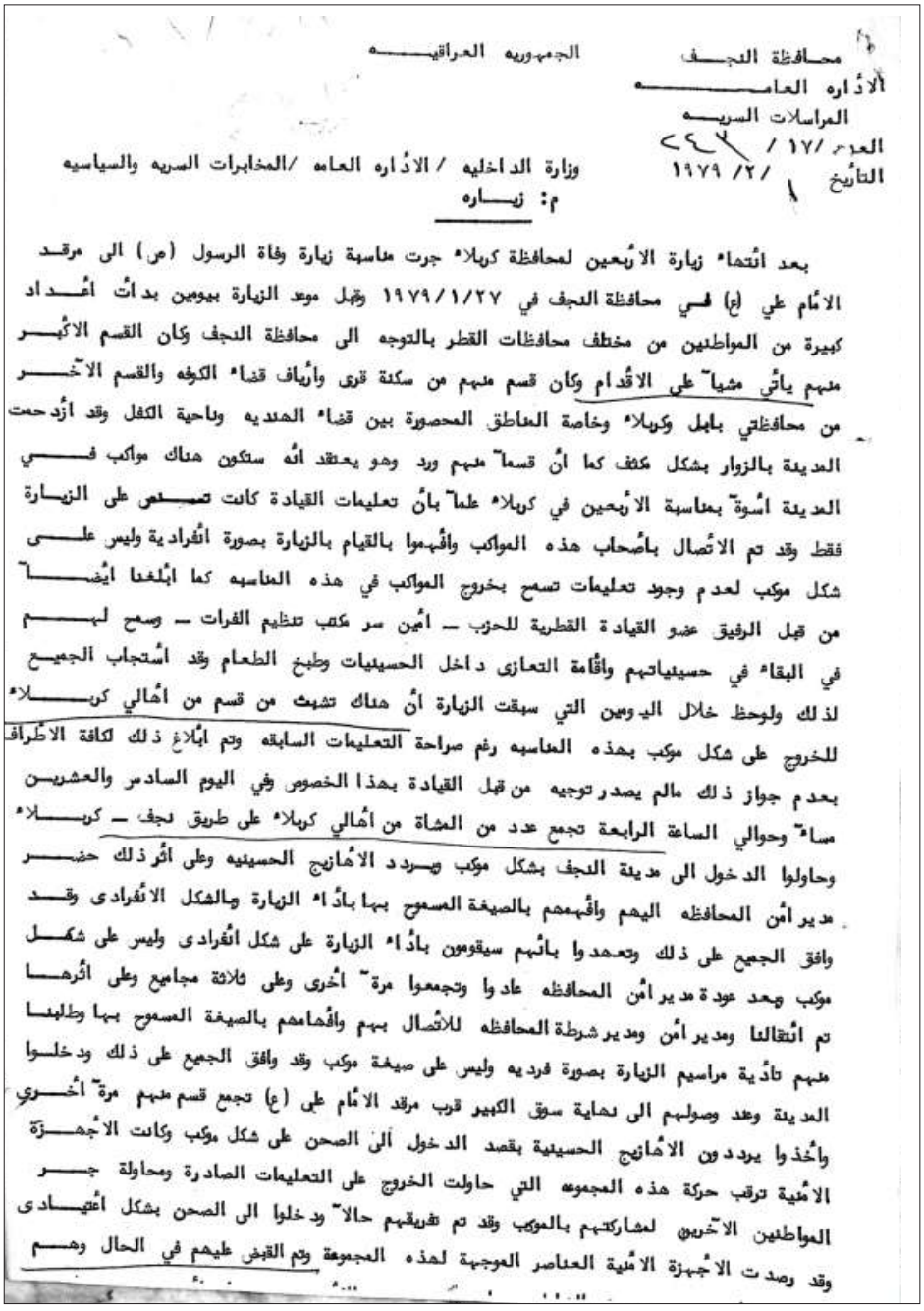

محافظة النجف
الأدارة العامة
المراسلات السرية
العدد / ١٧ / ٢٤٦
التأريخ / ٢٧ / ١٩٧٩

الجمهورية العراقية

وزارة الداخلية / الأدارة العامة /المخابرات السرية والسياسية

م: زيارة

بعد انتهاء زيارة الاربعين لمحافظة كربلاء جرت مناسبة زيارة وفاة الرسول (ص) الى مرقد الامام علي (ع) في محافظة النجف في ١٩٧٩/١/٢٧ وقبل موعد الزيارة بيومين بدأت أعداد كبيرة من المواطنين من مختلف محافظات القطر بالتوجه الى محافظة النجف وكان القسم الاكبر منهم ياتي مشياً على الاقدام وكان قسم منهم من سكنة قرى وأرياف قضاء الكوفه والقسم الآخر من محافظتي بابل وكربلاء وخاصة المناطق المحصورة بين قضاء الهنديه وناحية الكفل وقد ازدحمت المدينة بالزوار بشكل مكثف كما أن قسماً منهم ورد وهو يعتقد انه ستكون هناك مواكب في المدينة اسوة بمناسبة الاربعين في كربلاء علماً بأن تعليمات القيادة كانت تنص على الزيارة فقط وقد تم الاتصال باصحاب هذه المواكب وافهموا بالقيام بالزيارة بصورة انفرادية وليس على شكل موكب لعدم وجود تعليمات تسمح بخروج المواكب في هذه المناسبه كما ابلغنا ايضاً من قبل الرفيق عضو القيادة القطرية للحزب ـ امين سر مكتب تنظيم الفرات ـ وسمح لهم في البقاء في حسينياتهم واقامة التعازي داخل الحسينيات وطبخ الطعام وقد استجاب الجميع لذلك ولوحظ خلال اليومين التي سبقت الزيارة أن هناك تشبث من قسم من اهالي كربلاء للخروج على شكل موكب بهذه المناسبه رغم صراحة التعليمات السابقه وتم ابلاغ ذلك لكافة الاطراف بعدم جواز ذلك مالم يصدر توجيه من قبل القيادة بهذا الخصوص وفي اليوم السادس والعشرين مساءً وحوالي الساعة الرابعة تجمع عدد من المشاة من أهالي كربلاء على طريق نجف ـ كربلاء وحاولوا الدخول الى مدينة النجف بشكل موكب يردد الاهازيج الحسينيه وعلى اثر ذلك حضر مدير امن المحافظه اليهم وافهمهم بالصيغة المسموح بها بادأء الزيارة بالشكل الانفرادي وقد وافق الجميع على ذلك وتعهدوا بانهم سيقومون بادأء الزيارة على شكل انفرادي وليس على شكل موكب وبعد عودة مدير امن المحافظه عادوا وتجمعوا مرة اخرى وعلى ثلاثة مجاميع وعلى اثرها تم انتقالنا ومدير امن ومدير شرطة المحافظه للاتصال بهم وافهامهم بالصيغة المسموح بها وطلبنا منهم تادية مراسيم الزيارة بصورة فرديه وليس على صيغة موكب وقد وافق الجميع على ذلك ودخلوا المدينة وعند وصولهم الى نهاية سوق الكبير قرب مرقد الامام علي (ع) تجمع قسم منهم مرة اخرى واخذوا يرددون الاهازيج الحسينية بقصد الدخول الى الصحن على شكل موكب وكانت الاجهزة الامنية ترقب حركة هذه المجموعه التي حاولت الخروج على التعليمات الصادرة ومحاولة جر المواطنين الآخرين لمشاركتهم بالموكب وقد تم تفريقهم حالاً ودخلوا الى الصحن بشكل انفرادي وقد رصدت الاجهزة الامنية العناصر الموجهة لهذه المجموعة وتم القبض عليهم في الحال وهم

المصادر

أولا: الوثائق غير المنشورة (وثائق وزارة الداخلية)

١. و.و.د. (١٩٧٨، ١٣ فبراير). وزارة الداخلية / المخابرات السرية والسياسية، م/ زيارة الأربعين، العدد ق.س ١٥٤٨.

٢. و.و.د. (١٩٧٧، ٢٧ يونيو). الملفة المرقمة (٢٦١)، تقرير الرفيق عزة إبراهيم لدراسة كتاب رئاسة المخابرات العامة المرقم ١١١٥٣، ص ١-٥.

٣. و.و.د. (١٩٧٩، ١ فبراير). محافظة النجف / الإدارة العامة (المراسلات السرية)، م/ زيارة، العدد ١٧/ ٢٤٣.

٤. و.و.د. (١٩٧٧، ١٤ فبراير). مديرية الأمن العامة، م/ الإشاعات والرأي العام، (سري)، العدد ش٦/ ٦٤٣٨.

٥. و.و.د. (١٩٧٧، ٣ مايو). مديرية الأمن العامة، م/ التقرير الأسبوعي، (سري)، العدد ١٥٧٧.

٦. و.و.د. (١٩٧٧، ١٢ أبريل). مديرية الأمن العامة، م/ معلومات، (سري)، العدد ع/ ٣١٥، ص ٢.

ثانياً: المصادر العربية والمعربة

١. إبراهيم الحيدري. (١٩٩٩). تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشيعي. بيروت: دار الساقي.

٢. أحمد سعيفان. (٢٠٠٤). قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

٣. أحمد علي سبع الربيعي. (٢٠١٥). مكرم الطالباني ودوره السياسي والفكري في العراق ١٩٢٣-١٩٧٩ (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة بغداد، كلية الآداب.

٤. كوكبورن، أ. & كوكبورن، ب. (٢٠٠٠). صدام الخارج من تحت الرماد: ولادة

صدام حسين من جديد (ترجمة علي عباس). القاهرة: مكتبة مدبولي.
٥. جعفر الحسيني. (٢٠١٥). على حافة الهاوية - العراق ١٩٦٨-٢٠٠٢ (ط ٢). بغداد: دار الروسم للصحافة والنشر والتوزيع.
٦. جويس ويلي. (٢٠١١). الحركة الإسلامية الشيعية في العراق (ترجمة مصطفى نعمان أحمد وهناء خليف غني). بغداد: مطبعة الكتاب.
٧. حازم صاغية. (٢٠٠٣). بعث العراق: سلطة صدام قياماً وحطاماً. بيروت: دار الساقي.
٨. حسن السعيد. (٢٠١٥). نواطير الغرب - صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العراقي ١٩٤٨-١٩٦٨ (ط ٢). بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع.
٩. حنا بطاطو. (٢٠١١). العراق - الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الكتاب الثالث (ترجمة عفيف الرزاز). القاهرة: دار الحياة.
١٠. رعد الموسوي. (١٩٨٣). انتفاضة صفر الإسلامية في العراق ١٣٩٧ هـ (ط٢). قم: بلا مطبعة.
١١. سعد الحداد. (٢٠٠٩). الشعائر الحسينية: الأثر والأهمية. النجف الأشرف: دار الضياء للطباعة والتصميم.
١٢. سيف عدنان أرحيم القيسي. (٢٠١٩). أثر زيارة الأربعينية للإمام الحسين عليه السلام في مقاومة نظام البعث–أحداث صفر ١٩٧٧ أنموذجاً. مجلة السبط، ١(٥)، ٢.
١٣. سيف عدنان أرحيم القيسي. (٢٠١٠). الحزب الشيوعي العراقي ودوره في الحركة الوطنية العراقية ١٩٤٩–١٩٥٨ (رسالة ماجستير). جامعة بغداد، كلية الآداب.
١٤. صاحب الحكيم. (٢٠٠٩). موسوعة عن قتل واضطهاد مراجع الدين وعلماء

وطلاب الحوزة الدينية لشيعة بلد المقابر الجماعية (العراق) ١٩٦٨–٢٠٠٣ (ج ١، ط ٢). بغداد: منظمة حقوق الإنسان في العراق.

١٥. صادق جعفر الروازق. (٢٠١٢). المشروع السياسي للحوزة العلمية في العراق في مواجهة الاستكبار – عرض وتحليل ١٩١٤–١٩٨٠. بغداد: الساقي للطباعة والتوزيع.

١٦. صلاح الخرسان. (٢٠٠١). صفحات من تاريخ العراق السياسي الحديث– الحركات الماركسية ١٩٢٠–١٩٩٠. بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات.

١٧. طالب الحسن. (٢٠٠٢). حكومة القرية (ج ١). بيروت: دار أور للطباعة والنشر.

١٨. علي المؤمن. (٢٠٠٤). سنوات الجمر – مسيرة الحركة الإسلامية في العراق ١٩٥٧–١٩٨٦ (ط ٣). بيروت: المركز الإسلامي المعاصر.

١٩. علي صالح عباس الحسناوي. (٢٠١٧). التطورات السياسية الداخلية في العراق ١٩٧٣-١٩٧٩ (رسالة ماجستير). جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

٢٠. فالح عبد الجبار. (٢٠١٠). العمامة والأفندي: سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني (ترجمة أحمد حسين). بغداد: منشورات الجمل.

٢١. كريم وحيد صالح الخفاجي. (٢٠٢١). انتفاضة صفر الخالدة (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م). بيروت: هيئة الإمام الصادق.

٢٢. لين هانت. (٢٠١٣). نشأة حقوق الإنسان - لمحة تاريخية (ترجمة فايقة جرجس حنا). القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر.

٢٣. مؤسسة تراث الشهيد الحكيم. (٢٠٠٧). انتفاضة صفر وشهيد المحراب (ط ٢). النجف الأشرف: مطبعة شهيد المحراب.

٢٤. مؤيد شاكر كاظم الطائي. (٢٠١٣). الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥-١٩٤٩ (دراسة تاريخية). دمشق: تموز للطباعة والنشر.

٢٥. مجموعة باحثين. (٢٠١١). العراق وقائع وأحداث ١٩٦٨-١٩٧٩، القسم الثالث. بغداد: المركز العراقي للمعلومات والدراسات.

٢٦. مجيد خدوري. (١٩٩٧). العراق الجمهوري. قم: مطبعة أمير.

٢٧. محمد جواد جاسم محمد الجزائري. (٢٠١٧). السيد أبو القاسم الخوئي: رؤاه ومواقفه السياسية. بيروت: دار الرافدين.

٢٨. محمد علي يوسف الأشيقر. (٢٠١٠). خطيب المنبر الحسيني عبد الزهرة الكعبي على لسان معارفه ومحبيه ١٩١٤-١٩٧٤. كربلاء: مطبعة كربلاء.

٢٩. محمد محمد الحيدري. (٢٠١٤). تاريخ العراق السياسي المعاصر ١٩٦٨-١٩٧٩: دراسة وتحليل (ج ٣). بيروت: المركز العراقي للمعلومات والدراسات.

٣٠. ناصر حسين الأسدي. (د.ت.). شيعة العراق: دولهم وثوراتهم. كربلاء: مكتبة العلامة ابن فهد الحلي.

٣١. هادي حسن. (١٩٨٤). دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى عام ١٩٥٨ (ط ٢). بغداد: مطبعة معهد الثقافة العمالية.

ثالثاً: المصادر الأجنبية

1. Tripp ,C .(2013) .The power and the people :Paths of resistance in the Middle East. New York :Cambridge University Press.
2. Bengio, O. (1985). Shi'is and politics in Ba'thi Iraq. Middle Eastern Studies, 21. London.
3. Amnesty International. (1979, September 26). The death penalty (No. ACT 501979/003/). New York: Amnesty International.

رابعاً: المذكرات الشخصية

١. باقر إبراهيم. (٢٠٠٢). مذكرات باقر إبراهيم. بيروت: دار الطليعة.

٢. جواد هاشم. (٢٠٠٣). مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام - ذكريات في السياسة العراقية ١٩٦٧-٢٠٠٠. لندن: دار الساقي.
٣. طاهر توفيق العاني. (٢٠١٥). انهيار العراق المفاجئ وتداعياته. لندن: دار الحكمة.
٤. عدنان عباس. (٢٠١٦). هذا ما حدث (ج ٢). بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع.
٥. فخري قدوري. (٢٠٠٦). هكذا عرفت البكر وصدام: رحلة ١٥ عاماً في حزب البعث. لندن: دار الحكمة.
٦. خامساً: الصحف
٧. صحيفة الوقائع العراقية. (١٩٧٠، ٧ أكتوبر). العدد ١٩٢٧. بغداد.
٨. صحيفة الجمهورية. (١٩٧٧، ٢٤ مارس). العدد ٢٩١٣. بغداد.
٩. صحيفة الثورة. (١٩٧٧، ٢٤ مارس). العدد ١٣٩٧. بغداد.
١٠. سادساً: مصادر متفرقة
١١. مقابلة شخصية مع عزيز محمد. (٢٠١٦، ٣٠ نوفمبر). أربيل، العراق.
١٢. برنامج شهادات خاصة مع د. حميد عبد الله: تايه عبدالكريم القيادي في حزب البعث يروي ذكرياته. (٢٠٢٥، ٣ أبريل). [YouTube].
١٣. أرشيف قناة النجف الأشرف الفضائية: برنامج وثائقي عن انتفاضة صفر عام ١٩٧٧. (٢٠١٣، ٨ مارس). [YouTube].
١٤. صبحي ناظم توفيق. (٢٠٢٠، ١ يوليو). واقعة خان النص في شباط ١٩٧٧. مجلة الكاردينيا. تم الاسترجاع من https://www.algardenia.com/maqal at/٤٥٠٠٥-٢٠٢٠-٠٦-٢٨-١٥-٠٥-٤٨.html
١٥. منشورات صحيفة طريق الشعب. (١٩٧٧، ١٨ فبراير). بيان الاجتماع الاعتيادي الكامل الثاني للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي: في سبيل مزيد من التلاحم بين قوى شعبنا لإحباط التآمر الرجعي ومواصلة مسيرتنا التقدمية.

ماهية الشعائر انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م
التي انطلقت من النجف الاشرف مثالا

م. هاشم محمد محمد باقر الباججي
مدير مركز الامام امير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية
في النجف الاشرف
info@imamali-cfssar.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ / آذار - ٢٠٢٦ م

الملخص

من المدينة التي كان يخرج الامام أمير المؤمنين ﷺ اليها كلما ضاق صدره ، مخاطبا إياها (والله ما أجمل منظرك وأطيب قعرك ، اللهم اجعل قبري فيها) ، من مدينة العلم والعلماء ، من المدينة التي كانت وما زالت منطلق الثورات .. ثورة الحق ضد الباطل ، مدينة النجف الاشرف .. انطلقت انتفاضة صفر عام ١٣٩٧ هـ - عام ١٩٧٧م بوجه أعتى الطغاة وأكثرهم دموية ووحشية ، متحدية كل القرارات التي أصدرتها حكومة البعث آنذاك لمنع الزائرين والمسيرات الراجلة التي كان يخرج فيها أهالي مدينة النجف الاشرف حصرا الى كربلاء مشيا على الاقدام لزيارة سبط رسول الله صلى الله عليه واله الامام الحسين ﷺ، فبعدما أصدرت الجهات الأمنية قراراتها بمنع المسيرة الاربعينية التي كان يتعاهدها أهالي النجف الاشرف الكرام من قرون عدة في ذلك العام (١٩٧٧م) ، انتفضت النجف عن بكرة أبيها بعلمائها وشيوخها ورجالها ونسائها وأطفالها متحدية الطغمة الحاكمة بالمسير الى كربلاء مشيا على الاقدام وزيارة أبيّ الضيم والفداء الامام الحسين ﷺ ، فكانت انطلاقة المسير يوم الجمعة الخامس عشر من شهر صفر الخير عام ١٣٩٧هـ الموافق الرابع من شهر شباط عام ١٩٧٧م ، حيث تجمع أهالي النجف الاشرف وفي مقدمتهم المواكب الحسينية في شارع الامام علي ﷺ وانطلق الجميع صوب كربلاء ، تتقدمهم راية خضراء كبيرة مكتوب عليها (يد الله فوق أيديهم) وهم يرددون شعار (لو قطّعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيدي يا حسين) ، متحدين بذلك قرارات السلطة الحاكمة لمنع الزيارة.وزيارة الأربعين كما هو معروف لدى الشيعة هي من الشعائر الحسينية المهمة لديهم ، حيث يحضر الكثير من المؤمنين لزيارة الامام الحسين ﷺ في العشرين من شهر صفر الخير الى كربلاء ، وفي هذا البحث المتواضع سنبحث معنى الشعائر بصورة عامة والشعائر الحسينية بصورة خاصة ، وبعد

ذلك مبحث خاص لشعيرة الأربعين وانتفاضة صفر الكبرى التي سطّرها أبناء النجف الاشرف الغيارى في سنة ١٩٧٧م، وقد حضرتُ مطلع الانتفاضة ووصلتُ الى أطراف مدينة النجف الاشرف عند ملعب نادي النجف الاشرف القديم وشاهدتُ بأم عيني سيارات الشرطة والامن وهي تحاول منع الزائرين حيث لم أبلغ الحلم بعد – وقد قسّمت البحث الى مقدمة ومطلبين ، الأول ماهية الشعائر ؟ ، والثاني توثيق انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م التي انطلقت من النجف الاشرف ، ثم الخاتمة ، ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية:النهضة الحسينية، الزيارة الأربعينية، التنمية المستدامة، الإمام الحسين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ , آذار - ٢٠٢٦ م

The Nature of Rituals...The Safar Uprising of 1977 CE which began in Najaf al-Ashraf...An Example

Lect.Hashem Muhammad Muhammad Baqir Al-Bajji
The Holy Al-'Alawi Shrine-Imam Amir al-Mu'minin Center for Specialized Studies and Research

Abstract

Imam Hussein's (peace be upon him) biography represents one of the most important reformist models in Islamic history, embodying unique human values of justice, dignity, sacrifice, and reform. The Arbaeen pilgrimage represents a unique socio-religious experience, where pilgrims' behavior manifests the finest forms of solidarity, cooperation, and volunteerism. The research hypothesis suggests that these values and behaviors form fertile ground for building a just and sustainable societal model that aligns with sustainable development concepts and goals. Despite global development theories' evolution, many societies still suffer from gaps in social justice and sustainable development. In this context, there is a need to reexamine religious and social values as alternative or complementary sources for modern development models. This research seeks to answer the main question: To what extent can Imam Hussein's biography and his pilgrims' behavior during Arbaeen contribute to building a just and sustainable society according to modern development concepts?

The research adopted a descriptive-analytical approach through: (analyzing Hussaini biography content, monitoring and analyzing behaviors during Arbaeen pilgrimage, then comparing these data with sustainable development goals). The research includes two sections: first, a conceptual introduction to sustainable development, and second, practical aspects of sustainable development from Imam Hussein's biography and his pilgrims' behaviors during Arbaeen. The research concluded several findings, including: (sustainable development is a conscious societal process that matches the characteristics of Hussein's renaissance objectives, despite temporal and spatial differences, but they share similarities in eliminating poverty and hunger, achieving quality education and good health, combating injustice, deviation and corruption, energy investment, and achieving other sustainable development goals).

Keywords:Hussaini Renaissance, Arbaeen Pilgrimage, Sustainable Development, Imam Hussein.

المبحث الاول - ماهية الشعائر

أولاً: الشعائر لغة واصطلاحا :

لغة : شعائر: جمع شَعيرة ، وهي ما ندب الشرع إليه وأمر بالقيام به، والشَّعَائِر الدِّينِيَّة: مَظَاهِرُ العِبَادَةِ وَتَقَالِيدُهَا وَمُمَارَسَتُهَا ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهَّ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ﴾ (الحج :٣٢)، فشَعَائِرُ الْحَجِّ : أَعْمَالُهُ، مَنَاسِكُهُ لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهَّ﴾(المائدة: ٢): أَيْ مَا يُقَدَّم مِنْ حَيوانٍ أُضْحِيَةً لِبَيْتِ اللهَّ.

والشعيرة من شعائر الحج: وهي البُدن، واشعرتُ هذه البُدن نسكا ـ اي جعلتها شعيرة تهدى، وشعارها ان يوجأ سنامها بسكين فيسيل الدم على جانبها فَتُعرف انها (بدنةُ هديٍّ)، وسبب تسمية البُدن بالشعيرة او بالشعار ؛ هو انها تُشعر ـ اي تُعلم حتى يُعلم انها بُدن للهدي(الفراهيدي١ / ٢٥١.).

واشعَرَه الامر ـ اي اعلمه –، واشعرها: جعل لها شعيره، وشعار الحج مناسكه وعلاماته، والشعيرة والمشعر موضعها، او شعائره: معالمه التي ندب الله اليها وامر بالقيام بها، فالإشعار: الإعلام، والشعار العلامة(الفيروز آبادي ٢ / ٦٠) والشعائر: اعمال الحج، وكل ما جُعِلَ علما لطاعة الله تعالى.

والشعيرة او الشعائر، وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم ؛ ومنه شعار القوم في الحرب ؛ أي علامتهم التي يتعارفون بها ، ومنه إشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم فيكون علامة ، فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة ، فشعائر الله أعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك .(ابن منظور ٤/ ٤١٣.)

الشعار: يقال للرجل انت الشعار دون الدثار، تصفه بالقرب والمودة، وأَشعَرَ فلان قلبي هماً ـ اي البسه بالهم حتى جعله شعارا ـ ويقال: ليت شعري ـ اي علمي ـ ويقال: ما يشعرك ـ اي ما يدريك ـ وشعرتُه: عقلته وفهمته.

شعاره والاشعار: الاعلام من طريق الحس ومنه المشاعر ـ اي المعالم ـ واحدها مشعر: وهو المواضع التي قد اشعرت بعلاماته، ومنه الشعر ؛ لأنه يقع في الشعور ـ اي التحسس ، ومنه الشاعر ؛ لأنه يشعر بفطنته بما لا يفطن له غيره(ابن فارس٣ / ١٩٣-١٩٤).

يتحصل مما تقدم ان اللغويين متفقون على ان الشعائر والشعار والشعارة: هو كل ما له اعلام حسي.

اصطلاحاً -

ذكر الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ) في كتابه (التبيان) اقوى الآراء في قوله تعالى﴿ لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ﴾ قائلاً: (معناه: لا تحلوا حرمات الله، ولا تضيعوا فرائضه، لان الشعائر جمع شعيرة وهي على وزن فعيلة، واشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر: اذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، واذا كان كذلك وجب حمل الآية على العموم اولى)(الطوسي٣ / ٤١٩).

وجاء عن المحقق الاردبيلي المتوفى (٩٩٣هـ) في كتابه (زبدة البيان) البدن قائلاً: (البدن جمع بدنه وهي الابل جعلناها لكم من شعائر الله اعلام الشريعة التي شرعها الله، واضافتها الى اسم الله تعظيم لها) ، وقال في تفسير قوله تعالى﴿ لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ﴾ لا تجعلوا محرمات الله حلالا مباحا ولا العكس، يعني لا تتعدوا حدود الله، فعلى هذا يحمل الشعائر على المعالم اي حدود الله واوامره ونواهيه وقيل هي فرائضه، وقيل: هي جمع شعيرة، وهي اعلام الحج ومواقفه، اي لا تجعلوا ترك مناسك الله حلالا فتتركوها، وقيل المراد دين الله لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ﴾ اي دينه(الاردبيلي ص ٢٩٥، ٢٣٠).

وقال الطبري المتوفى (٣١٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾(المائدة:٢.) مستعرضا تأويلات عديدة في معنى (لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ) قائلاً: (اولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال: ان الله تعالى ذكره أخبر ان تعظيم شعائره وهي ما جعله اعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم من الاماكن التي امرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها، والاعمال التي الزمهم عملها في حجهم من تقوى القلوب، ولم يخصص من ذلك شيئاً، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه، وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك)(الطبري: ٦ / ٧٤).

وذكر السيد الطباطبائي المتوفى (١٤٠٢هـ) في تفسير الميزان: (الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وكأن المراد بها اعلام الحج ومناسكه)(الطباطبائي٥/ ١٥٦).

وقد اعتبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى (١٢٢٨هـ) بعض من مظاهر الحزن التي تقام على الإمام الحسين عليه السلام هي من الشعائر(- كاشف الغطاء١ / ٩٦.)، وقال البجنوردي المتوفى (١٣٩٥هـ) بَيَّنَ ان الشعيرة والشعائر: هي حقيقة لغوية تنطبق على كل ما يمكن ان يكون علامة على الدين، وما ورد من آيات قرآنية هي مجرد مصاديق لهذه الحقيقة، وقال: (ان المراد من حرمات الله، وشعائر الله: مطلق ما هو محترم في الدين وتطبيقها على مناسك الحج ومشاعره من باب تطبيق الكلي على بعض مصاديقه)(البجنوردي٥ / ٢٩٧).

فالشعائر عنوان عام يمكن انطباقه على كل ما يمكن ان يكون علامة، او اعلام دين الله، ولا تعني الدين نفسه، وانطباق مفهوم الشعائر على مفهوم الحج هو من باب انطباق العام على افراده.

ثانياً: أنواع شعائر الله:

لقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بتعظيم شعائره، وهي أَعْلاَمُ دِينِهِ ومظاهره الَّتِي شَرَعَهَا، وأمر عبادَه بها، مثل الصلاة، والحجِّ، والأذان، والإحسان للناس والمخلوقات، وغيرها من أمور الدين.(كتاب الموسوعة الفقهية الكويتية، ص ٩٧)

والشعائر تكون على عدّة أنواعٍ، منها:

١- الشعائر الزمانيّة:

ويُقصد بها الشعائر التي ترتبط بزمانٍ مُعيّنٍ، فمثلا قد شرَّف الله تعالى بعض الأزمنة على بعض؛ لما يكون فيها من الهداية والخير، ومن هذه الأزمنة التي شرَّفها الله تعالى : شهر رمضان فقد أنزل الله تعالى فيه القرآن، لقوله جلّ ذكره: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾(البقرة: ١٨٥) ، وأيضا ليالي القدر ، وأيّام العشر الأوائل من ذي الحجّة حيث أقسم الله- عزَّ وجلَّ- بليالٍ عشر تعظيماً لها حين قال: ﴿ولَيَالٍ عَشرٍ﴾(الفجر) وبيّن النبي ﷺ أنّ هذه الأيّام هي أفضل الأيّام التي يُتقرّب بها إلى الله، وحثَّ على العمل بها واغتنامها بالأعمال الصالحة، وأفضل أيام العشر هو يوم عرفة، وكذلك يوم الجمعة فهو خيرُ أيام الأسبوع، وفيه تقوم الساعة، وقد جعل الله فيه ساعةً يُستجاب فيها الدعاء، قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وفيهِ أُخْرِجَ مِنْها، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا في يَومِ الجُمُعَةِ).(صحيح مسلم، ١٣٩) وقد فرض الله سبحانه وتعالى فيه صلاة الجمعة حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾(الجمعة:٩).

٢- الشعائر المكانيّة :

وهي الأماكن التي فضّلها الله سبحانه وتعالى على غيرها من الأماكن ، مثل: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبويّ، وبيوت اذن الله ان ترفع ، ومراقد الائمة المعصومين .. فهذه أعظم بيوت الله تعالى، وقد جعل الله أجرَ الصلاة فيها أعظم مما في سواها، وحرَّم على المسلمين أن يعصوا ربهم فيها، فكما تتضاعف فيها الحسنات تتضاعف فيها السيئات، ومن أبرز شعائر الله هو دينه الحنيف وخاتمة الأديان هو الدين الإسلاميّ ، وهو الدين الباقي إلى قيام الساعة؛ لأنّ الله هيأ الأسباب الشرعيّة لحفظه وبقائه، ولهذا الدين العديد من الشعائر والمظاهر، ومن أعظمها الاتي :

أ.القرآن الكريم :

وهو كلام الله تقدست آلاؤه فهو أساس كُلّ الشعائر، وقد حثّ الله ورسوله على قراءته وحفظه والعمل بما فيه، فهو الأساس في حفظ لغة المسلمين، وقد تكفّل الله بحفظه ورعايته إلى قيام الساعة، لقوله سبحانه وتعالى﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.(الحجر: ٩).

ب-الصلاة :

وهي من أبرز شعائر الاسلام الظاهرة سيما انها تتكرر في كُلّ يومٍ خمس مرّات، فبها يصان المجتمع من الفحشاء والمنكر، وفيها تتآلفُ قلوب المسلمين وتتماسك وحدتهم.

جـ - لزكاة والخمس:

تُعتبر الزكاة والخمس من العبادات المالية ، وهي من الشعائر التي لها أثرٌ على تطهير النفس من الشحِّ والبخل، وأثرٌ للآخرين بإدخال السرور والسعادة عليهم سيما المعوزين والفقراء، فينعم المجتمع بالأمن والسلام.

د- حب محمد وال محمد عليهم السلام:

قال تعالى﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(الشورى: ٢٣.)، وقال الزمخشري في تفسير هذه الاية : إنها لما نزلت﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما... ، وقال رسول الله ﷺ من مات على حب آل محمد مات شهيدا. ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له. ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له. ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا. ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان. ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير. ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها. ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة. ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة. ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة. ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله. ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا. ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة(الكشاف ، ص ٤٦٧) لذا فإن حب محمد وآل محمد صلوات الله عليهم من أهم شعائر الإسلام للمؤمنين.

ان تعظيم شعائر الله لابد أن يكون أولا بفعل ما أمر الله به ، والابتعاد عمّا نهى الله تعالى عنه، وقد بيّن الله عزوجل أنّ تعظيم شعائره من أسباب صلاح القلب واستقامته، لقول الله –تعالى–:﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢) ومن تعدّى شعائر الله فقد توعّده الله بالخسران المبين، ويجب أن يكون هذا التعظيم كما أراده الله وليس بناءً على هوى النفس ، لان إظهَار شعائر الإسلام دليلٌ على التقوى، وامتثالٌ لأمر الله ورسوله، وتذكيرٌ للغافلين، وتثبيتٌ للمتقين.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

ثالثا - الشعائر الحسينية من شعائر الاسلام:

الشعائر كما هو في المفهوم العام عنوان عام يمكن انطباقه على كل ما يمكن ان يكون علامة، او اعلام دين الله، وهو بالضرورة لا يعني الدين نفسه، فمثلا انطباق مفهوم الشعائر على مفهوم الحج هو من باب انطباق العام على افراده.

فالله سبحانه وتعالى جعل حب محمد وال محمد ومودتهم أجرا لرسالته ، قال تعالى﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(الشورى :٢٣)لذا أصبح حبهم من شعائر الدين ، فلا يمكن للمؤمن أن يكون موصوفا بالإيمان والتدين وهو مبغض لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، لذا فإن الله تعالى شرّع ولاية الرسول ﷺ وحبه، وجعلها شرطاً على المؤمنين في الايمان بالله تعالى فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(آلعمران: ٣١)، فالإخلاص لله تعالى لا يتحقق إلا بحبه وحبه الحقيقي لا يتحقق الا في اتباع اوامر ونواهي رسول الله ﷺ والتسليم له والتأسي به لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(آل عمران: ١٣٢) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾(الاحزاب:٣٦)، وغيرها من الآيات التي تذكر ان طاعة الرسول الاكرم ﷺ مقرونة بطاعة الله سبحانه تعالى، وان هذه الطاعة لرسوله الكريم هي طاعة مطلقة غير مقترنة بشرط أو قيد وهذا دليل واضح على ان الرسول الاكرم ﷺ لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء يخالف حكم الله في أمر معين أو اية واقعة، وهذا يستلزم عصمته ﷺ، وهذا ينطبق على اولي الامر الذين أوصى الله تعالى بطاعتهم ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾(النساء : ٥٩.) ، وبذلك تكون مقدمة الى ولاية الله تعالى.

والشعائر الحسينية هي الآثار الظاهرة على أعمال المؤمن وجوارحه لإظهار الحب لقربى رسول الله ﷺ كما امر تعالى في قوله: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(سورة الشورى: الآية ٢٣)، وأداء واجب الولاية يتطلب المحبة للعترة الطاهرة، ومن ضروريات المحبة إظهار الحزن والأسى ونحوهما.

وقد تواترت الكثير من النصوص القرآنية والروائية الدالة على جواز احياء واقامة الشعائر الحسينية، فضلا عن دليل العقل ، فالإمام الحسين عليه السلام له محبة في قلب النبي ﷺ كان يوصي بها دائما ،إذ قال: (حسين مني وانا من حسين، احب الله من احب حسينا)، وقال ﷺ في محبة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: (من احب هذين الغلامين واباهما وامهما فهو معي في درجتي يوم القيامة)(مسند احمد، ٤ / ١٧٢ ، ص١١٧.) ، فأداء واجب الولاية يتطلب المحبة للعترة الطاهرة، ومن ضروريات المحبة إظهار الحزن والأسى ونحوهما، والحزن على شهادة الامام الحسين عليه السلام من اعظم الاحزان الماً ولوعةً في القلوب، فما من مؤمن ذَكره الا وبكى، قال ابو عبد الله عليه السلام: (نظر امير المؤمنين عليه السلام الى الحسين عليه السلام فقال: يا عبرة كل مؤمن، فقال: انا يا ابتاه، قال: نعم يا بني)، وقال الحسين عليه السلام: انا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن الا استعبر)(قولويه: ،ص٣١٥.) ، لذا فإن اقامة الشعائر الحسينية وبما تتضمنه من الوان الحزن والاسى كافة على العترة الطاهرة، وحبا فيهم ، تكون من ضروريات الولاية.

المبحث الثاني

شعيرة زيارة الأربعين وانتفاضة صفر عام ١٩٧٧ م التي انطلقت من النجف الاشرف

بعد أن أثبتنا ان الشعائر الحسينية هي من شعائر الدين القويم في المبحث الأول ، لابد من القول ان هذه الشعائر تمثل عند المسلمين الشيعة جانبا مهما في معتقدهم الديني سيما وان القران الكريم أشار الى هذا المعنى بقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(الحج :٣٢.) لذا كانت وما زالت وستبقى القضية الحسينية بمأساتها وأحداثها الجسام حاضرة في وجدان الفكر الشيعي وفكره ، فهذه الذكرى تمثل السمة الأبرز في ممارسة الشيعة لشعائرهم الدينية المقدسة من خلال المراسيم التي تؤدى في كل عام بمناسبة ذكرى استشهاد الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه في العاشر من محرم عام ٦١هـ تلك المأساة التي أصبحت يستلهم منها المؤمنون كل عوامل الخير والتقوى والاقدام والمحبة والتضحية في سبيل الحق وإعلاء كلمة لا إله إلا الله التي أرعبت الطغاة على مر التاريخ في كل مكان ، لذلك كانت السلطات الحاكمة في العراق تنظر الى أيام عاشوراء وصفر بعين الخشية والخوف لما تمثله سلطة البعث الكافر من ظلم واضطهاد بحق الشعب ، لذا وقفت السلطة العراقية آنذاك موقفا معاديا لهذه الشعائر ، فمنذ تسلم سلطة البعث عام ١٩٦٨م بدأت بالتضييق على هذه الشعائر ومحاربتها شيئا فشيئا للقضاء عليها نهائيا، وكانت ذروتها في بداية شهر شباط من عام ١٩٧٧م حينما أعلنت الحكومة العراقية وسلطاتها المحلية في محافظة النجف الاشرف منع المسير الى زيارة أربعينية الامام الحسين ﷺ، حيث كانت هذه الشعيرة تنطلق من النجف الاشرف الى كربلاء المقدسة خلال خمسة أيام مشيا على الاقدام حصرا ، لذا قام أبناء النجف الغيارى بهذه الانتفاضة بوجه السلطة الحاكمة.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

أولا : أسباب انطلاق الانتفاضة :

منذ وصول حزب البعث الى السلطة في العراق عمل على محاربة الفكر الإسلامي لأن حزب البعث ذو منهج علماني بعيد عن الدين والإسلام ، فعمل على مضايقة الحوزة العلمية في النجف الاشرف والحركات الإسلامية بصورة عامة ،عمل على ملاحقة العلماء وأبنائهم والمثقفين والناشطين بل ملاحقة المتدينين وأصحاب المواكب الحسينية وجميع الشباب المؤمن فعملوا جاهدين على محاربة الدين والإسلام والفكر والمنهج والصوت الحسيني سيما الشعائر الحسينية ، فبدأت السلطات الحاكمة في العراق أولا بتهجير طلبة العلوم الدينية في الحوزات العلمية في النجف وكربلاء ، وتسفير الكثير من أبناء الشعب العراقي في مدينتي النجف وكربلاء الى ايران بحجة ان اصولهم إيرانية بالرغم من الكثير منهم قد ولدوا في العراق ،وعملت السلطة الحاكمة على مضايقة المواكب الحسينية والشباب الحسيني والشعراء والمنشدين في قصائد الرثاء الحسيني واعتقال الكثير منهم وقد تم اعتقال الكثير منهم وتعذيبهم بصورة وحشية ، وخير مثال على ذلك عندما تم اغتيال الخطيب الحسيني المعروف الشيخ عبد الزهرة الكعبي في السادس من حزيران عام ١٩٧٤م عندما رفض مدح الحكومة العراقية خلال قراءته للمجالس الحسينية.(عبد الزهرة الكعبي على ١٩١٤ – ١٩٧٤، ، ص٧٨).

وفي عام ١٩٧٥م الموافق ١٠ محرم الحرام ١٣٩٥هـ منعت السلطات الحاكمة خروج المواكب الحسينية في مدينة النجف الاشرف لإحياء ذكرى عاشوراء وفرضت رقابة شديدة على جميع الشباب المواكب الحسينية ، وقد منعت السير الى كربلاء في زيارة الأربعين من ذلك العام الا أن أبناء النجف الغيارى بكل مسمياتهم من علماء وأدباء وشعراء وأصحاب المواكب والعوام من الناس قد تحدوا السلطات وخرجوا

لأداء شعيرة زيارة الأربعين مشيا على الاقدام من النجف الاشرف الى كربلاء المقدسة.(انتفاضة صفر الإسلامية في العراق ١٣٩٧هـ ، ١٩٨٣).

وفي شهر صفر عام ١٣٩٦ هـ - كانون الثاني/ يناير ١٩٧٦ م، قامت السلطة مرة أخرى بمنع العزاء الحسيني والمسيرات التي تتجه من مدينة النجف الاشرف إلى كربلاء مشياً على الأقدام واصطدم خلالها المشاة من الأجهزة البعثية والأمنية التي تحشدت لهذا الغرض، فحدثت أعمال العنف والاعتقالات، إلاّ أنها فشلت في الوقوف بوجه المشاة الذين تمكّنوا من الوصول إلى كربلاء بعد ثلاثة أيام من السير على الأقدام(المؤمن، ص ١٦٥).

ثانيا : انطلاق انتفاضة صفر في النجف الاشرف ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م:

بعد الثالث عشر من شهر صفر عام ١٣٩٧ هـ دعا محافظ النجف الاشرف جاسم الركابي ومدير أمن النجف جاسم خلف جميع أصحاب مواكب العزاء في مدينة النجف الاشرف لاجتماع خاص في مبنى المديرية وأبلغتهم بقرارات السلطة الحاكمة في بغداد بمنع خروج المواكب الحسينية في هذا العام (١٩٧٧م) بالمسير الى كربلاء مهددة إياهم بعقوبات صارمة وإجراءات شديدة (المركز الوطني للمعلومات والدراسات (١٩٦٨-١٩٧٩) ،ق٣،ص٤.) ، ولكن هذا الكلام أثار الحاضرين المجتمعين من أصحاب المواكب الحسينية وأكدوا لمحافظ النجف بأن المسيرة الى كربلاء ستخرج في اليوم الخامس عشر من صفر متجهة الى كربلاء ، وقد تم تحديد موعد انطلاقها في الساعة الحادية عشر صباحا ولنا هدف محدد هو المسير لزيارة الحسين عليه السلام ونتحدى أي جهة تمنعنا من الزيارة ، وقد تكلم (عباس عجينة) احد رؤساء المواكب الحسينية مخاطبا محافظ النجف والحاضرين (كلكم يا أهل النجف تسمعون ما يقوله المحافظ

بأنه ممنوع الذهاب الى زيارة الحسين عليه السلام مشيا على الاقدام فأنتم تعرفون ما تفعلونه ثم خاطب المحافظ قائلا (إذا الساعة الحادية عشرة الجميع متفقون على الذهاب لزيارة الامام الحسين مشيا على الاقدام واذا عندك شيء أخبرهم به) ، ثم قام السيد العذاري مخاطبا المحافظ (تقولون نريد أن نقضي على المستعمر وأذنابهم ، أعطونا حريتنا في إقامة الشعائر الحسينية وسترون بأعينكم كيف نقطع ذنب المستعمر كما فعلها أجدادنا في ثورة النجف عام ١٩١٨م في خان الحاج عطية أبو كلل حينما سكت العراق من أقصاه الى أقصاه الا أبناء مدينة النجف الاشرف التي قالت كلمتها ونفذت وعدها بمقتل الحاكم العسكري البريطاني وقطعت الذنب والرأس) فلم يحر جوابا المحافظ وأمر باعتقاله لكن الحاضرين استطاعوا تهريبه من الاجتماع ، وتحدث اخرون على شاكلته .. (انتفاضة صفر الخالدة النجفية ، كريم وحيد الخفاجي ، ص٥٦.)، فرد المحافظ بأن قرار المنع لا رجعة فيه من قبل الدولة وهددهم بإنزال أشد العقوبات ضد كل من يخالف أوامر الدولة وقراراتها ، وانتهى الاجتماع دون التوصل الى أي نتيجة ، وقد أصر أهالي النجف بالمسير الى كربلاء متحدين كل الظروف سيما انهم واجهوا السلطات الحاكمة المتمثلة بالمحافظ ولم يتمكن من اخافتهم او تثبيط عزمهم ، فعزموا على الانطلاق في الموعد المحدد لزيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين(تاريخ العراق السياسي المعاصر(١٩٦٨-١٩٧٩) ج٣، ط١ ، المركز).

كما وقامت السلطات الأمنية بتحذير جميع أهالي المدينة وبيوتاتها من تقديم الطعام والشراب لأصحاب المواكب والهيئات الحسينية ،وقامت باعتقال الكثير من الناس الذين خالفوا أوامرهم او حتى الذين لم يسمعوا بهذه الإجراءات.

في الرابع من شهر شباط عام ١٩٧٧م الموافق الخامس عشر من شهر صفر الخير تجمعت الهيئات والمواكب الحسينية وجم غفير من أهالي النجف متحدين قرارات السلطة الحاكمة بمنع المسير الى كربلاء لزيارة الامام الحسين ﷺ في اربعينيته في العشرين من صفر ، وحدثت تظاهرة شعبية طافت شوارع النجف القريبة من الصحن الحيدري الشريف وهي تهتف بشعارات ضد السلطة الحاكمة وتعلن ولائها المطلق في السير على منهج الامام الحسين ﷺ وطريقه في التضحية والفداء، وحاولت الأجهزة الأمنية تفريق المتظاهرين ، وحدثت اشتباكات وصدامات بين الطرفين وتم توزيع منشورات تحث الناس للمسير الى كربلاء وعدم الرضوخ لمنع السلطات لهذه الشعيرة التي كانت ترعب الطغاة على مر الأجيال ، وقام المتظاهرون بتمزيق صور الرئيس البكر ونائبه صدام ، ثم أغلق أهالي النجف محالهم وبيوتهم وتوجهوا جميعا مع المتظاهرين الذين تجمعوا قرب الصحن الحيدري الشريف وكان لخدام العترة الطاهرة في المواكب دور كبير ومهم في هذه الانتفاضة الشعبية الحسينية المباركة أمثال (صادق عجينة ، يوسف الاسدي ، عباس هادي عجينة ، ناجح كريم ، ومحمد صادق الايرواني) وكان المتظاهرون قد حملوا راية كبيرة خضراء قد كُتب عليها (يد الله فوق أيديهم) فاتجه المتظاهرون نحو طريق نجف – كربلاء وهم يهتفون بسقوط نظام البعث الكافر ، وحاولت السلطات الحاكمة آنذاك وقف هذا المد البشري من النجف بتجاه كربلاء إلا أنها باءت بالفشل، وهكذا انطلق أهالي النجف الكرام السائرون الى زيارة الامام الحسين ﷺ من النجف الاشرف نحو كربلاء من أمام مبنى محافظة النجف الاشرف وهم يهتفون (لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفا سيدي يا حسين).(انتفاضة النجف الاشرف الصفرية ، ، ص٦٥).

الوصول الى خان الربع (خان المصلى):

وعند أطراف مدينة النجف الاشرف بتجاه مدينة كربلاء التحمت الجماهير من جميع مناطق النجف الاشرف وهي تردد الشعارات الإسلامية الحماسية لتستقر كما هي عادة أهالي النجف والمواكب الحسينية في كل عام التوقف في خان الربع (خان المصلى) الذي يبعد ما يقارب (١٥ كم) عن النجف والمبيت في تلك المنطقة ، وكانت سيارات الامن والنجدة والشرطة قد وصلت الى تلك المنطقة لمضايقة المنتفضين(ينظر انتفاضة صفر الإسلامية ١٩٧٧م ، ص٧٦) لكن المنتفضين سيطروا على الطريق الرئيسي بين النجف وكربلاء وهاجموا سيارات الشرطة والأمن والمخابرات التي تعرضت لهم وحالوا دون مرورها على الطريق الرئيسي ، ثم باتوا ليلتهم في منطقة خان الربع وهي ليلة ١٦ صفر (٤ شباط – ١٩٧٧م)(المؤمن، علي ،.ص١٦٧).

الوصول الى خان النص (الحيدرية):

وفي صباح يوم السادس عشر من صفر الخير (٥ شباط ١٩٧٧م – ١٣٩٧هـ) واصل الزائرون مسيرتهم، وعند اقترابهم من الوصول الى منطقة خان النص (ناحية الحيدرية) والتي تقع تقريبا في منتصف الطريق ما بين النجف الاشرف وكربلاء المقدسة وتبعد (٤٠ كم عن النجف)، حيث حاول رؤساء المواكب والهيئات حث الزائرين على عدم التعرض للأجهزة الأمنية وعجلاتهم حتى لا يعطوا الذريعة للتدخل أو حدوث اشتباكات وزهق الأرواح في تلك المنطقة ومنعهم من المسير والذهاب الى الزيارة ،فخطب المرحوم صاحب رحيم أبو كلل الا ان قيام رجال الامن باعتقال عدد من الزائرين وحجزهم في مركز شرطة الحيدرية دفعهم الى الاشتباك بالسلاح الأبيض مع القوات الحكومية المحلّية المسلحة، فسيطروا بعزيمتهم على مركز الشرطة وأطلقوا

سراح المسجونين الذين تم اعتقالهم قبل ساعات بعد أن سقط العديد من الجرحى بين الزائرين ورجال الامن، وقد قتل من الزائرين امرأة والفتى الصغير علي الميالي الذي لم يبلغ الحلم (الأسدي، ص ١٠٢. انتفاضة النجف عام ١٩٧٧ ، مجلة العلوم الإنسانية ، المجلد الأول ، ص ١٦٧.)، ثم بدأت الهتافات ضد السلطة والنظام البعثي المجرم منها (شلون ترضى يا علي بالرشاش يرمونه) وهتاف اخر (يا صدام شيل ايدك شعب النجف ميريدك) (مجلة كامبريدج للبحوث العلمية ، م.م. عمار حسن ،ص٣٧).

الوصول الى خان النخيلة:

استمر الزائرون في مسيرهم على الاقدام لليوم الثالث حتى وصلوا في يوم السابع عشر من شهر صفر ١٣٩٧هـ الموافق ٦ شباط ١٩٧٧م إلى منطقة خان النخيلة والتي تبعد ما يقارب (١٥ كم عن كربلاء) ، وحدثت حينها تظاهرات في مدينة النجف الاشرف بسبب قطع طريق نجف – كربلاء ومنع الزيارة الاربعينية وساءت الأمور كثيرا فأعلن النظام النفير العام في الأجهزة الأمنية وصفوف حزب البعث، وظهرت حالة التأهب القصوى وحالة الطوارئ في القوات المسلحة العراقية.(انتفاضة صفر الإسلامية في العراق ١٩٧٧م ، ص٧٩ ، م.م. عمار حسن ،ص٣٧).

وبعد هذه الاحداث المتسارعة جاءت أوامر السلطة الحاكمة بسحق الانتفاضة بطريقة وحشية ، وأصدرت الاوامر للجيش بصنوفه كافة لسحق هذا التمرد الذي وصفوه بأنه: (من أجل الإطاحة بالنظام وأنّ المتمردين يتلقّون الدعم من جهات أجنبية).(سنوات الجمر، المؤمن، ص ١٦٧).

وقد استخدمت السلطات الحاكمة ارتال الدبابات والمدرعات وقوات المشاة، بالإضافة الى اشتراك الطائرات العمودية والمقاتلة وقد كانت تطير على مستوى

منخفض لإرعاب المنتفضين وقامت الطائرات بفتح حاجز الصوت الذي أدى الى تحطم زجاج السيارات والتأثير على الجماهير بالخوف والرعب ، الا ان الثوار أصروا على استمرار المسيرة وزيارة الحسين عليه السلام في كربلاء وهم يرددون (لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفا سيدي يا حسين) ، وحاولت الحكومة البعثية خداع المتظاهرين من خلال الضغط على علماء الحوزة العلمية بالتحدث الى المتظاهرين وتهدئتهم وقد أرسل محافظ النجف جاسم الركابي ووزير الداخلية عزة الدوري الى الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قد) للتدخل والتوسط في انهاء النزاع ، وبعد تردد من السيد الصدر لمعرفته بخبث النظام وأساليبه الملتوية ومن أجل تخفيف رد فعل الحكومة وتقليل عدد الضحايا والمعتقلين ، وافق السيد الصدر على ذلك وأرسل السيد الشهيد محمد باقر الحكيم الذي كان أحد طلبته المقربين والبارزين الى المنتفضين وقد وصل الى خان النخيلة في ليلة الثامن عشر من صفر الموافق السادس من شباط عام ١٩٧٧م واجتمع بوجوه الانتفاضة ورجالها في احدى غرف خان النخيلة وكان الثائر يوسف ستار المتحدث باسم جماهير الانتفاضة ، وقد أبلغ السيد الحكيم الجماهير بدعم المرجعية ووقوفها بجانبهم ،وكذلك أبلغهم بتعهد الحكومة على الغاء قرار منع الزيارة الاربعينية مقابل عدم ترديد شعارات ضد حكومة البعث والاكتفاء بالشعارات الحسينية (انتفاضة صفر الخالدة النجفية ، ص٦٦) وقد كانت هذه المحاولة مناورة من الدولة لكسب الوقت كما يبدو ، لأنه في صبيحة اليوم التالي الثامن عشر من صفر – السابع من شباط تمت محاصرة المتظاهرين من قبل عدة أرتال من الدبابات والمدرعات وقوات المشاة التي وصلت إلى منطقة خان النخيلة ، وقد اشتركت القوة الجوية بطائراتها العمودية والمقاتلة وقد سقطت إحداها في منطقة بحيرة الرزازة بمحافظة كربلاء المقدسة في التصدّي للمنتفضين، وجرت اشتباكات عنيفة بين الطرفين سقط خلالها العديد من

الجرحى واعتقل الآلاف من الزائرين السائرين على طريق نجف كربلاء، فيما استمر الذين استطاعوا الإفلات من الاعتقال بالوصول الى كربلاء لأداء زيارة الأربعين وقد اعتقل الكثير منهم او اغلبهم في كربلاء اثناء الزيارة وبعدها(موجز تاريخ العراق السياسي الحديث، الأسدي، مختار، ض١٠١ ومابعدها).

الوصول الى كربلاء:

بعد كل الظروف التي أحاطت بالزائرين في خان النخيلة ورغم الاعتقالات والترهيب الذي استخدمته القوات الأمنية وصل الكثير من الزائرين الى كربلاء عن طريق بعض الطرق الترابية لتأدية أعمال الزيارة الاربعينية ، لكن البعثيين بأساليبهم القذرة قاموا ببث إشاعة بين الناس بأن توجد قنبلة موقوتة وضعت داخل مرقد الامام الحسين ﷺ وضعها أحد عملاء سوريا ويدعى محمد نعناع لغرض اثارة الفتنة وقاموا بغلق صحن الامام الحسين وأخيه أبي الفضل لعباس ﷺ خوفا على أرواح الناس (كما يدعون) لذلك قاموا بغلق المرقدين وحينها تمكنوا من الهجوم على الزائرين وضربهم بوحشية واعتقالهم وزجهم في السجون التي امتلأت بالزائرين المنتفضين (مجلة كامبريدج للبحوث العلمية ، م.م. عمار حسن ،ص٣٨.)، وقد زُجّوا في سجون النجف والكوفة والحلة وكربلاء ومديرية الأمن العام في بغداد، ونقل بعض منهم إلى معسكرات الجيش سيما سجن رقم (١) الحربي في معسكر الرشيد(المؤمن، ص١٦٨)

ثالثا - محاكمة الزائرين في انتفاضة صفر (الزيارة الاربعينية):

بعد أن تم القضاء على الانتفاضة بصورة وحشية من قبل سلطات أمن النظام والجيش وأجهزته القمعية من السلطات البعثية، أصدر مجلس قيادة الثورة العراقي في يومي ١٣ و١٤ من شهر شباط عام ١٩٧٧م القرار رقم (١٦٦) والقرار رقم (١٧٣) حيث تم بموجبهما تشكيل هيأة تحقيقية خاصة (الهيأة التحقيقية الخاصة في سجن رقم واحد) وكان تشكيلها في معسكر الرشيد ببغداد ومهمتها التحقيق بأحداث انتفاضة النجف، وقد بلغ عدد المعتقلين في سجن رقم واحد فقط (٢٥٠٢) معتقل، حيث تم اطلاق سراح (٢٣٨١) معتقل خلال يومي التاسع عشر والعشرين من شهر شباط عام ١٩٧٧م، فبقي (١٢١) معتقل وتم أيضا القاء القبض على (١٦٢) متهم اخرين فأصبح مجموع المعتقلين في سجن رقم واحد (٢٣٨) معتقل، وبدأ جلاوزة النظام البعثي بانتزاع الاعترافات بالقوة والاكراه من المعتقلين، ثم بدأت المحاكمات الصورية يوم الثالث والعشرين من شهر شباط ١٩٧٧م حيث تكونت المحكمة من ثلاثة أعضاء من القيادة القطرية لحزب البعث (عزة مصطفى رئيسا، فليح حسن الجاسم عضوا، وحسن علي عضوا) وأصدرت الاحكام يوم ٢٥ شباط ١٩٧٧م ضد المعتقلين، حيث تم الحكم بالإعدام على ثمانية من منظمي المواكب الحسينية وقادة الانتفاضة وهم كل من (انتفاضة صفر الخالدة النجفية، كريم وحيد الخفاجي، ص١١٨ ومابعدها). يوسف ستار الأسدي، محمد سعيد البلاغي، ناجح محمد كريم، صاحب رحيم أبو كلل، عباس هادي عجينة، كامل ناجي مالو، غازي جودي خوير، محمد علي نعناع. ويضاف لهم الشهيد (جاسم صادق الايرواني) الذي أُعدم بعد مرور أكثر من سنتين على الانتفاضة لان النظام حينها لم يتمكن من القاء القبض عليه .كما حكمت على (١٦) معتقل بالسجن المؤبد، وهم كل من :

السيد محمد باقر الحكيم (قد) -أفرج عنه فيما بعد -، وديع فاهم وداعة ، بلاسم ناجي جواد ، جمال احمد سالم ، محسن جداوي جاسم، علي نصير جاسم ، كامل خضير سياب ، باسم عبد الأمير حسون ، أموري رزاق عبد رحيمي ، هادي مرزة زايد ، وعد سلطان أبو كلل ، راهي شاكر سماوي ، أسعد سلطان أبو كلل ، عباس كاظم فخر الدين ، حسين جبر حمزة .

وأطلق سراح (٨٧) معتقل ، بقائمة وهم كالاتي :

١. قصي غني حمزة
٢. نزار هاشم عبد المطلب
٣. قيس سعيد جواد
٤. ستار عبد الجليل جودي
٥. حسين منعم حسين
٦. سليم محسن علي مديد
٧. قاسم رشيد حسين
٨. محمود حسون خنفور
٩. حسن سعودي كاظم
١٠. احسان عيدان موسى
١١. احسان شكر عبد الرضا
١٢. ستار كاظم شاني
١٣. نصير محمد علي عبد الله
١٤. محمد سالم حسون

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع ، السنة الرابعة ، الملحق (٧)

١٥. علي صالح نصيف
١٦. حسن ناجي هاشم شير
١٧. كاظم محمد مطرود علي
١٨. رشاد كاظم عبد الرسول
١٩. رزاق عبد الله نجم
٢٠. عبد الامير مهدي حبيب
٢١. محمد جواد كاظم
٢٢. عبد الامير حسين اسد الله
٢٣. عباس فاضل جياد
٢٤. زهير عبد الجليل جودي
٢٥. توفيق عبد الرضا هاشم
٢٦. علي طاهر محسن
٢٧. اموري كاظم جعفر
٢٨. فاضل عباس علي
٢٩. حاكم رهيف سلطان
٣٠. محمد احمد محمد
٣١. علي محمد حسين علي
٣٢. مالك محمد هادي
٣٣. جبار عليوي ناصر
٣٤. علي ناجي حسين
٣٥. جواد منعم هادي

٣٦. امير علاوي حسين

٣٧. حاكم حسن عبد دوش

٣٨. شوقي حسن سالم

٣٩. رزاق طالب محمد

٤٠. عبد الزهرة ناجي شبر

٤١. قاسم محمد صالح

٤٢. سعيد جواد عبود

٤٣. جواد بصل حسين

٤٤. هاتف عبد الحسين سلطان

٤٥. حيدر معتوك عراك

٤٦. لؤي موسى جابر

٤٧. زعيم ستار حسون

٤٨. كاظم عبد الحسين كافي

٤٩. نجاح محمد عبود

٥٠. . علي عبد الله علي

٥١. صادق علي حسين

٥٢. كريم زبالة مهدي

٥٣. صالح مهدي حسن

٥٤. عباس مهدي احمد

٥٥. رعد عبد الجليل جودي

٥٦. كريم مهدي صالح

٥٧. عبد الرضا كاظم جعفر

٥٨. علي حسين سعد

٥٩. طالب عبد الرضا فرمان

٦٠. علي عباس جواد

٦١. علي جبار إبراهيم

٦٢. محمد عيدان حسين دوش

٦٣. علي صادق حسين صفر

٦٤. مقداد كاظم عبد الرسول

٦٥. جمال نوكر علي مطلك

٦٦. فلاح عبد الصاحب محمد

٦٧. جاسم محمد غلام

٦٨. كامل عبد الامير خضير

٦٩. عبد الزهرة صالح حلبوص

٧٠. يوسف محمد عبود كلا

٧١. جابر صالح حلبوص

٧٢. ناجي كاظم عبد العباس

٧٣. عادل كاظم جاسم

٧٤. حسين عبد الله حسون

٧٥. علاء جابر محمود

٧٦. محمد كاظم عبد الله

٧٧. باقر حسن محمد

٧٨. فريد حسين رمثان

٧٩. عبد الامير عبد الرضا هاشم

٨٠. سليم شاكر نجم

٨١. هادي خنجر عواد

٨٢. عبد روكان حمزة

٨٣. محمد علي وعد عبد الحسين

٨٤. سعد حسن محمود

٨٥. صبار جبار عباس عبد الحسين

٨٦. جواد كاظم حميد.

وقد قتل بعض المعتقلين تحت التعذيب داخل الزنزانات، وكانت الأحكام معدّة سلفاً في مجلس قيادة الثورة الحاكم، من قبل نائب الرئيس صدام حسين آنذاك. (كريم وحيد الخفاجي، ص١١٨٥).

الخاتمة والنتائج

الشعائر عنوان عام يمكن انطباقه على كل ما يمكن ان يكون علامة، او اعلام لدين الله، ومن أبرز مصاديقه حب محمد وال محمد ومودتهم الذي جعله الله تعالى أجرا لرسالته ، قال تعالى ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ لذا أصبح حبهم من شعائر الدين ، فلا يمكن للمؤمن أن يكون موصوفا بالإيمان والتدين وهو مبغض لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، لذا فإن الله تعالى شرّع ولاية الرسول ﷺ وحبه، وجعلها شرطاً على المؤمنين في الايمان به.

والشعائر الحسينية هي المصاديق والآثار الظاهرة على أعمال المؤمن وجوارحه لإظهار الحب لقربى رسول الله ﷺ لذا فإن اقامة الشعائر الحسينية وبما تتضمنه من ألوان الحزن والاسى كافة على العترة الطاهرة، وحبا فيهم ، تكون من ضروريات الولاية لهم.

فكانت وما زالت وستبقى القضية الحسينية بمأساتها وأحداثها الجسام حاضرة في وجدان الفكر الشيعي وفكره ، فهذه الذكرى تمثل السمة الأبرز في ممارسة الشيعة لشعائرهم الدينية المقدسة من خلال المراسيم التي تؤدى في كل عام بمناسبة ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في العاشر من محرم عام ٦١ هـ ، سيما زيارته يوم الأربعين ، فتلك المأساة التي أصبحت يستلهم منها المؤمنون كل عوامل الخير والتقوى والاقدام والمحبة والتضحية في سبيل الحق وإعلاء كلمة لا إله إلا الله التي أرعبت الطغاة على مر التاريخ في كل مكان ، وكانت انتفاضة صفر التي انطلقت من مدينة النجف الأكبر ضد الزمرة البعثية الظالمة التي حاولت الغاء الشعائر الحسينية ومنعها ولكن شاء الله تعالى أن يذهب الطغاة ويبقى دين الله وشعائره خالدة الى يوم يبعثون.

المصادر

- القران الكريم

١. الفراهيدي: الخليل بن احمد ١٧٥هـ، العين، تـ: د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ط٢، ١٤٠٩هـ، م: الصدر، ن: مؤسسة دار الهجرة.

٢. الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب الشيرازي ٨٧١هـ، القاموس المحيط، ط، ن: دار العلم للجميع ـ بيروت ـ لبنان.

٣. ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (٧١١هـ)، لسان العرب: ط.ن. أدب الحوزة، قم، ١٥٠٤هـ.

٤. ابن فارس: احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، تـ: عبد السلام محمد هارون، ط، ن: مكتبة الاعلام الاسلامي، ١٤٠٤هـ.

٥. الطوسي: محمد بن الحسن، التبيان، تـ: احمد حبيب قصير العاملي، ط١، ١٤٠٩هـ، م: الاعلام الاسلامي.

٦. الاردبيلي: احمد بن محمد: زبدة البيان، تـ: محمد باقر البهبودي، ن / المرتضوية لإحياء التراث الجعفري.

٧. الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان، تـ: خليل الميس، ط، ن: دار الفكر، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥م.

٨. الطباطبائي: محمد حسين، تفسير الميزان، تـ، ن: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

٩. كاشف الغطاء: جعفر، كشف الغطاء، ن: مهدوي، اصفهان.

١٠. البجنوردي: محمد حسن: القواعد الفقهية، تح: مهدي المهريزي ومحمد حسين درايتي، ط، ن: الهادي، قم، ايران، ١٤١٩هـ.

١١. مجموعة من المؤلفين، كتاب الموسوعة الفقهية الكويتية.
١٢. خطيب المنبر الحسيني عبد الزهرة الكعبي على لسان معارفه ومحبيه ١٩١٤ ١٩٧٤، محمد علي الاشيقر ، كربلاء ٢٠١٠م.
١٣. انتفاضة صفر الإسلامية في العراق ١٣٩٧هـ ، رعد الموسوي ،قم ، ١٩٨٣ .
١٤. المركز الوطني للمعلومات والدراسات ، العراق وقائع وأحداث (١٩٦٨-١٩٧٩).
١٥. انتفاضة صفر الخالدة النجفية ، كريم وحيد الخفاجي ، هيأة الامام الصادق ، النجف الاشرف ، ص٥٦.
١٦. المؤمن، علي، سنوات الجمر (مسيرة الحركة الإسلامية في العراق ١٩٥٧/ ١٩٨٦ م)، بيروت، المركز الإسلامي المعاصر، ٢٠٠٤ م.
١٧. الأسدي، موجز تاريخ العراق السياسي الحديث.
١٨. انتفاضة النجف عام ١٩٧٧ ، مجلة العلوم الإنسانية ، المجلد الأول . سنوات الجمر، المؤمن.
١٩. مجلة كامبريدج للبحوث العلمية ، العدد (٣٣) ، أيار ٢٠٢٤م ، بحث م.م. عمار حسن.

أثر التحولات السياسية والحراك الشعبي في الزيارة الأربعينية دراسة تاريخية

م.م بكر حازم إبراهيم مهدي الزبيدي
كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد
Bakr.Hazem@copolicy.uobaghdad.edu.iq

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء العلاقة الديناميكية بين التحولات السياسية والحراك الشعبي وتأثيرهما في تجسيد الزيارة الأربعينية في العراق، من خلال تحليل تطورها الرمزي وتفاعلها مع سياسات الحكومات العراقية المتعاقبة منذ تأسيسها عام ١٩٢١ وحتى مرحلة ما بعد ٢٠٠٣.

تُفصل الدراسة كيفية تعامل السلطات العراقية المتعاقبة مع الزيارة الأربعينية، مع تسليط الضوء على اعتبار الزيارة منبراً للتعبير عن الحراك الشعبي والرفض للإجراءات السلطوية القمعية، ويُبرز البحث أن هذا التطور السياسي والاجتماعي ساهم في إعادة صياغة معاني الزيارة واستخدامها كأداة تعبئة شعبية، وذلك من خلال تحليل البيانات المتوافرة ومراجعة المصادر الأولية والثانوية والدراسات أكاديمية. حيث تم التركيز على إبراز النقاط الرئيسية والأحداث الجوهرية التي تعكس تطور العلاقة بين الزيارة الأربعينية والتحولات السياسية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر.

الكلمات المفتاحية: الزيارة الاربعينية، الحراك الشعب، التحولات السياسية

The Impact of Political Transformations and Popular Movements on the Arbaeen Pilgrimage: A Historical Study

Asst. Lecturer Bakr Hazem Ibrahim Mahdi Al-Zubaidi
College of Political Science – University of Baghdad

Abstract:

This study aims to investigate the dynamic relationship between political transformations, popular movements، and their impact on shaping the Arbaeen pilgrimage in Iraq, by analyzing its symbolic evolution and interaction with the policies of successive Iraqi governments from the country's establishment in 1921 to the post-2003 period.

The study elaborates on how successive Iraqi authorities have dealt with the Arbaeen pilgrimage، highlighting its role as a platform for expressing popular mobilization and resistance against authoritarian and repressive measures.

The research emphasizes that these political and social developments have contributed to reshaping the meanings of the pilgrimage and utilizing it as a tool for popular mobilization, through the analysis of available data and a review of primary and secondary sources as well as academic studies.

The focus is placed on identifying key points and pivotal events that reflect the evolving relationship between the Arbaeen pilgrimage and political transformations throughout modern and contemporary Iraqi history.

Keywords:Arbaeen Pilgrimage, Popular Mobilization, Political Transformations

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ / آذار - ٢٠٢٦ م

المقدمة

تعد الزيارة الأربعينية ظاهرة دينية واجتماعية ذات أبعاد متعددة، إذ تجمع بين التعبير الشعائري والرمزية الدينية و الحراك الشعبي، وفي ظل التحولات السياسية العميقة التي شهدها تاريخ العراق على مدار العقود، أصبحت هذه الزيارة منصة لتعبئة الجماهير وتعبيرها عن المطالب الاجتماعية والسياسية.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل كيفية تأثير التحولات السياسية على طبيعة الزيارة الأربعينية، مع استقصاء مواقف الحكومات العراقية في فترات متباينة، وما كان لذلك من أثر في إعادة صياغة العلاقة بين الدولة والمجتمع.

إشكالية البحث:

يرتكز البحث على تساؤلات أساسية منها:

- كيف ساهمت التحولات السياسية في إعادة تشكيل طبيعة الزيارة الأربعينية واستخدامها كأداة للحراك الشعبي؟
- ما الدور الذي تلعبه الزيارة في تجسيد المطالب الشعبية ومواجهة السياسات الردعية؟
- كيف انعكست سياسات الحكومات المتعاقبة – منذ تأسيس الدولة عام ١٩٢١ مروراً بفترة النظام الملكي والحكم الجمهوري وصولاً إلى مرحلة ما بعد ٢٠٠٣ على العلاقة بين الدولة والمجتمع من خلال تعاملها مع هذه الظاهرة؟

أهداف البحث:

١. تحليل الجذور التاريخية للزيارة الأربعينية وتطور معانيها الرمزية عبر العصور.
٢. استقصاء أثر التحولات السياسية في استثمار الزيارة كأداة للحراك الشعبي خلال الفترات الرئيسية في التاريخ الحديث للعراق.
٣. تقييم سياسات الدولة في تعاملها مع الزيارة، مع إبراز الفروق بين السياسات الردعية التي سادت في الفترات السابقة والتحولات التي ظهرت بعد عام ٢٠٠٣.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٧)

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي والمقارن، من خلال مراجعة المصادر الأولية والثانوية والدراسات الاكاديمية بهدف استخلاص رؤية موضوعية حول تطور الزيارة الأربعينية وتفاعلها مع المتغيرات السياسية والاجتماعية في العراق.

المبحث الأول
الجذور التاريخيـــــة للزيارة الأربعينية وتطورها الرمــزي

المطلب الأول: نشأة الزيارة الأربعينية:

تُعدّ زيارة الأربعين من أبرز الشعائر الدينية في الإسلام الشيعي، وتحظى بمكانة متميزة لدى عموم المسلمين وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص، وتقام هذه الزيارة في ٢٠/ صفر من كل عام، إحياءً لذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام في واقعة الطفّ عام ٦١ هـ، تلك الواقعة التي مثلت ذروة الصراع بين الحق والباطل، ورسّخت قيم الثورة والكرامة والتضحية. الطوسي ، ١٩٨٧، ص٧٧٢ ؛ النوري، ٢٠٢٤، ص٤٤).

يعود أصل الزيارة الأربعينية إلى مجموعة من الروايات الموثوقة التي وردت في المصادر الشيعية، والتي تؤكد على أهمية زيارة الحسين في هذا اليوم تحديداً ومن أقدم هذه الروايات، ما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حديثه عن علامات المؤمن، حيث قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين...»، مما يدل على أن الزيارة كانت ممارسة دينية معروفة بين الشيعة منذ القرن الثالث الهجري على أقل تقدير. (شمس الدين، ٢٠٠٤، ص ١١٥؛ الخرسان، ٢٠١٨، ص٢٩).

وتاريخيًا، يرجع بعض الباحثين أول زيارة لأربعينية الإمام الحسين إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، إذ زار قبر الحسين ﷺ في كربلاء بعد أربعين يوماً من استشهاده، برفقة التابعي عطية العوفي، في سنة ٦١ هـ، حيث قرأ عند القبر الشريف وأبدى الحزن والعزاء. وتُعدّ هذه الزيارة الرمزية أول تعبير جماعي عن الحزن والتضامن مع نهضة الإمام الحسين ﷺ .(الخرسان، ٢٠١٨، ص٢٩).

كما حرص أئمة أهل البيت ﷺبعد كربلاء على تعظيم يوم عاشوراء، وبيان فضل زيارة الإمام الحسين في هذا اليوم، وربطوا بين إحياء هذه الشعيرة وبين الثواب الأخروي العظيم، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق ﷺ قوله: «من زار الحسين بن علي يوم عاشوراء وجبت له الجنة»، وفي رواية أخرى عنه: «من زار قبر الحسين بن علي، عارفًا بحقه، كان كمن زار الله في عرشه»، مما يعكس عظمة المقام الحسيني في وجدان المؤمنين. وعن الإمام الرضاﷺ جاء: «من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء، قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن جعله يوم مصيبته وبكائه، جعل الله له يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت عينه بنا في الجنان» (الطوسي، ١٩٨٧، ص٧٧٢).

وخلاصة القول، إن النشأة الروائية والتاريخية للزيارة الأربعينية، بما تحمله من دلالات دينية وروحية، أسّست لثقافة شعائرية متجذّرة لا تزال حيّة وفاعلة حتى يومنا هذا، وتُعدّ أحد أبرز مظاهر الارتباط الوجداني والرسائلي بالإمام الحسينﷺوقضيته.

المطلب الثاني: تطور المظاهر الرمزية للزيارة.

مرت زيارة الأربعين بتحولات عميقة في مظاهرها الرمزية عبر التاريخ، حيث لم تبق مجرد شعيرة دينية مرتبطة بذكرى استشهاد الإمام الحسين ﷺ، بل أصبحت رمزاً حياً لهوية مذهبية وثقافة نضالية واجتماعية تتجدد سنوياً، وقد انعكس هذا التطور على طبيعة الشعائر، وأشكال التعبير عنها، واتساع المشاركة الشعبية فيها. من خلال الابعاد التالية:

١. البعد الطقوسي والروحي:

في بداياتها، كانت الزيارة الأربعينية تُمارس بصورة فردية أو ضمن نطاقات مجتمعية ضيقة، وتركزت في زيارة قبر الحسين ﷺ وقراءة الأدعية والمراثي، ومع مرور الزمن، اتسعت مظاهرها لتشمل مجموعة من الممارسات العبادية والشعائرية التي يؤديها الزائرون بروح خاشعة، منها: المشي لمسافات طويلة باتجاه كربلاء، وإقامة المجالس الحسينية، وقراءة الزيارات الخاصة، والبكاء والعزاء على الإمام الحسين ﷺ، هذه الممارسات لا تُؤدى لمجرد العادة أو التقاليد، بل تحمل دلالات روحية عميقة تُعيد إحياء ذكرى كربلاء في وجدان الإنسان المؤمن (الكرباسي، ٢٠٠٣، ص٨٤-٩٠ ؛ زيدان، ٢٠٢٢، ص١٢١)، لذلك يُنظر إلى المشي إلى كربلاء كأحد أبرز شعائر الزيارة وكنوع من السير نحو الحقيقة والتحرر الداخلي، بما يعكس رمزية السلوك العرفاني القائم على تهذيب النفس، والتضحية، والتطهير الروحي، وقد ورد في الروايات عن الإمام الصادق ﷺ: «من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي ﷺ، «إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة»، مما يُدلّل على عِظم البعد الروحي لهذا السلوك. (جبر، ٢٠٢١، ص٥٧٦-٥٧٧؛ الخرسان، ٢٠١٨ ص٣٦). كما تُعد الزيارة أيضًا فرصةً للارتباط العميق بالإمام الحسين ﷺ كرمز للحق والتضحية، وبالتالي فهي وسيلة لتجديد العهد مع المبادئ والقيم التي ضحّى من أجلها، كالإصلاح، والعدالة، والوقوف في وجه الظلم. وتترك هذه الأبعاد أثرًا باطنيًا في نفوس الزائرين، يجعل من زيارة الأربعين طقسًا تربويًا، يُسهم في صقل الهوية الإيمانية وتعزيز الولاء العقائدي.

٢. البعد الاجتماعي والتكافلي:

تطورت الزيارة لتصبح ظاهرة مجتمعية تعبّر عن التضامن والتكافل، حيث برزت تقاليد خِدمة الزائرين، وخاصة من خلال «المواكب الحسينية»، وهي تجمعات شعبية تقدم الطعام، والمأوى، والرعاية الصحية للزائرين مجانًا، إذ بلغ عددها خلال

العقد الاخير(١٢٩,٦٨٨) مما ساهم في تحول هذا السلوك الجماعي إلى أحد أبرز ملامح الزيارة، بما يعكس روح التعاون والإيثار في المجتمع العراقي بشكل عام. (ابراهيم، ٢٠٢١، ص٢٤١-٢٤٤). كما في الشكل رقم (١).

الجدول قم (١) اعداد المواكب (٢٠١٤-٢٠٢٤)

الملاحظات	عدد المواكب المسجلة	السنة الميلادية	السنة الهجرية
تقديرات غير رسمية	١٠٠٠٠	٢٠١٤ م	١٤٣٦ هـ
تقديرات غير رسمية	١١٠٠٠	٢٠١٥ م	١٤٣٧ هـ
تقديرات غير رسمية	١١٥٠٠	٢٠١٦ م	١٤٣٨ هـ
تقديرات غير رسمية	١٢٠٠٠	٢٠١٧ م	١٤٣٩ هـ
تقديرات غير رسمية	١٢٥٠٠	٢٠١٨ م	١٤٤٠ هـ
تقديرات غير رسمية	١٣٠٠٠	٢٠١٩ م	١٤٤١ هـ
انخفاض بسبب جائحة كورونا	١٠٠٠٠	٢٠٢٠ م	١٤٤٢ هـ
شملت مواكب من داخل وخارج العراق	١١٣٥٦	٢٠٢١ م	١٤٤٣ هـ
منها ٣٠٠ موكب من دول أجنبية	١٢٥٠٠	٢٠٢٢ م	١٤٤٤ هـ
تم تسجيلها من قبل العتبتين	١٢٧٤٨	٢٠٢٣ م	١٤٤٥ هـ
شملت ٢,٣٠٠ موكب في مركز المدينة	١٣٠٨٤	٢٠٢٤ م	١٤٤٦ هـ

المصدر: (العتبة العباسية، ٢٠٢٤ ؛ شبكة الإعلام العراقي ، ٢٠٢٤) .

٣.البعد السياسي والنضالي:

لم تكن زيارة الأربعين بمنأى عن السياقات السياسية التي أحاطت بها، بل كانت كثيرًا ما تتحول إلى تعبير عن الرفض السياسي والاستمرار في مسار الثورة الحسينية، ففي فترات المنع، خاصة في عهد الدولة العثمانية ثم النظام البعثي، واجهت الزيارة تضييقًا شديدًا، ومع ذلك حافظ الناس على إحيائها، أحياناً في الخفاء، وأحياناً بتحدٍ علني، مما رسّخ البعد النضالي لهذه الشعيرة، كمظهر من مظاهر مقاومة الاستبداد والتأكيد على الهوية الدينية. (المخزومي، ٢٠١٨، ص٥٤-٦٣).

٤.التحول إلى ظاهرة عالمية:

بعد سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣، شهدت الزيارة نقلة نوعية في حجم المشاركة والتنظيم والشعارات. حيث تحوّلت إلى أكبر تجمّع ديني سنوي في العالم، يُشارك فيه ملايين الزوار من العراق وخارجه، أذ بلغت اعداد الزائرين خلال العقد الاخير (١٠٧,٩٩٩,٤٦٤) مليون زائر، وقد صاحب هذا التحول توسع في الرموز المستخدمة، كرفع الرايات، وترديد الشعارات، وتوثيق المسيرات، إضافة إلى التفاعل الإعلامي الرقمي الذي ساهم في نشر رسالة الزيارة عالمياً. (المخزومي، ٢٠١٨، ص٥٤-٦٣). كما في الشكل رقم (٢).

الجدول رقم (٢) أعداد الزائرين خلال زيارة الأربعين (٢٠١٤ - ٢٠٢٤)

الملاحظات	عدد الزائرين	السنة الميلادية	السنة الهجرية
لم تتوفر إحصاءات دقيقة	غير متوفر	٢٠١٤ م	١٤٣٦ هـ
لم تتوفر إحصاءات دقيقة	غير متوفر	٢٠١٥ م	١٤٣٧ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	١١,٢١٠,٣٦٧	٢٠١٦ م	١٤٣٨ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	١٣,٨٧٤,٨١٨	٢٠١٧ م	١٤٣٩ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	١٥,٣٢٢,٩٤٩	٢٠١٨ م	١٤٤٠ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	١٥,٢٢٩,٩٥٥	٢٠١٩ م	١٤٤١ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	١٤,٥٥٣,٣٠٨	٢٠٢٠ م	١٤٤٢ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	١٦,٣٢٧,٥٤٢	٢٠٢١ م	١٤٤٣ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	٢١,١٩٨,٦٤٠	٢٠٢٢ م	١٤٤٤ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	٢٢,٠١٩,١٤٦	٢٠٢٣ م	١٤٤٥ هـ
تم باستخدام كاميرات العتبة العباسية	٢١,٤٨٠,٥٢٥	٢٠٢٤ م	١٤٤٦ هـ

المصدر: (وثائق العتبة العباسية، ١٧-٩-٢٠٢٢؛ مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٢).

خلاصة القول إن تطور المظاهر الرمزية للزيارة الأربعينية لم يكن تطوراً شكلياً فحسب، بل عبّر عن ديناميكية ثقافية وروحية واجتماعية تعكس عمق حضور الإمام الحسين عليه السلام في الوجدان الجمعي، وتجسد هذه المظاهر امتداداً فعلياً لقيم الثورة الحسينية، كما تمثل انعكاساً للهوية الاسلامية الراسخة، ووسيلة مستمرة لتأكيد الانتماء والمقاومة.

المبحث الثاني

سياسات الدولة والحراك الشعبي في ظل الزيارة الأربعينيـــة

المطلب الأول - سياسات التعامل الحكومي مع الزيارة خلال الفترات التاريخية:

شهدت زيارة الأربعين تحوّلات متعددة في علاقتها بالسلطة السياسية العراقية منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ وحتى سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣، تأرجحت بين التهميش والتضييق، وأحيانًا الحظر، خصوصاً في ظل الأنظمة السياسية التي كانت نظرت إلى الشعائر الدينية، ومنها زيارة الأربعين، بوصفها تهديداً لوجودها السياسية، مما جعل من الزيارة ممارسة دينية محفوفة بأبعاد سياسية وأمنية خطيرة في بعض المراحل، ويمكن تقسيم تعامل الحكومات العراقية مع هذه الشعيرة إلى ثلاث مراحل رئيسة: العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)، ثم الجمهوريات المتعاقبة حتى سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣.

أولاً - العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨):

شهد العراق خلال العهد الملكي الممتد من عام ١٩٢١ إلى ١٩٥٨ نشوء دولة حديثة ذات طابع مركزي، تمحورت سياساتها حول بناء هوية وطنية موحدة في ظل التنوع الديني والمذهبي، ورغم أن الدستور الملكي لعام ١٩٢٥ نصّ على احترام الحريات الدينية، وعلى الرغم من اعلان العراق يوم عاشوراء عطلة رسمية إلا أن السلطة الملكية كانت تتعامل بحذر مع الفعاليات الدينية خاصةً تلك التي تتخذ طابعاً ثورياً ضد الظلم او تلك التي تعبّر عن هوية مذهبية واضحة، لما لها من طابع تعبوي ورمزي قد يتقاطع مع هاجس الدولة في فرض الاستقرار وضبط المجال العام. (الخزاعي، ٢٠١٨، ص١٤٣؛ المخزومي، ٢٠١٨، ص٥٥).

لم يصدر عن السلطة الملكية حظر صريح لزيارة الأربعين، لكن الرقابة كانت حاضرة بقوة في رصد التجمعات الدينية، ومتابعة النشاطات المرتبطة بالشعائر الحسينية، كما أن التغطية الرسمية لهذه الزيارة كانت شبه معدومة، ما يشير إلى موقف ضمني يتسم بالتجاهل أو الحذر، خاصة في ظل التوجه القومي الذي كان يسعى إلى تقليص المظاهر الدينية الطائفية في المجال العام (حسين، ٢٠١١، ص١٤؛ الهاشمي، ٢٠١١، ص ٨٩).

مع ذلك، لم تنقطع الزيارة الأربعينية في هذه المرحلة، بل استمرّت كطقس ديني شعبي تمارسه الجماهير الشيعية بصورة تقليدية، وكان الزائرون يفدون إلى كربلاء سيرًا على الأقدام من مختلف مناطق العراق، رغم غياب الدعم المؤسسي وصعوبة الطريق، ما يعكس تجذر هذه الشعيرة في الوعي الجمعي الشيعي، وقدرتها على الصمود أمام سياسات التهميش الرسمية (شمس الدين، ١٩٧١، ص٣٩؛ المخزومي، ٢٠١٨، ص٥٧).

تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة أسست لنمط من العلاقة المتوترة بين الدولة والمجتمع الشيعي، وهو نمط ظل يتكرّر لاحقًا بأشكال مختلفة، ويظهر أثره في طبيعة التعامل مع الشعائر الدينية، وفي مقدمتها زيارة الأربعين، التي استمرت تؤدى في إطار خاص بعيدًا عن الاعتراف الرسمي أو الدعم العلني.

ثانيًا: العهد الجمهوري المبكر (١٩٥٨-١٩٦٨):

شهدت فترة العهد الجمهوري المبكر في العراق (١٩٥٨-١٩٦٨) تحولات سياسية واجتماعية عميقة، حيث صعدت القوى القومية واليسارية إلى السلطة، مما أثر على العلاقة بين الدولة والشعائر الدينية، لاسيما تلك المرتبطة بالمذهب الشيعي، رغم أن حكومة عبد الكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣) أبدت مرونة نسبية تجاه إقامة مراسم زيارة الأربعين، إلا أنها فرضت قيودًا أمنية وتنظيمية على تنقل المواكب والتجمعات، خاصة

في مدينتي كربلاء والنجف، خشية استغلالها من قبل المعارضة السياسية، وقد تمثلت هذه القيود في مراقبة المواكب، وتحديد مساراتها، ومنع بعض التجمعات الكبيرة، وذلك في إطار سعي الحكومة للحفاظ على الأمن والنظام العام (حسين،٢٥-١٢-٢٠١٠).

بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ وصعود حزب البعث للسلطة للمرة الأولى، اتخذت العلاقة بين الدولة والشعائر الدينية، ولا سيما زيارة الأربعين، منحى أكثر تشدداً، فعلى الرغم من قصر مدة حكم البعث (١٩٦٣-١٩٦٤) في تلك المرحلة، إلا أن الحكومة عمدت إلى تبني خطاب أيديولوجي قومي وعلماني متشدد، ما انعكس سلباً على حرية ممارسة الطقوس الدينية في الوسط الشيعي، فقد شهدت زيارة الأربعين في تلك السنوات تضييقًا ممنهجاً.(الخزاعي،٢٠١٨، ص١٤٤).

كما واجه بعض الساسة ورجال الدين الشيعة مضايقات واعتقالات بذريعة ارتباطهم بحركات دينية أو سياسية معارضة هذا الموقف الرسمي لم يكن منفصلاً عن صراع أوسع كانت الدولة تخوضه مع المرجعيات الدينية، خصوصًا في النجف وكربلاء، إذ رأت في هذه الشعائر فرصة محتملة لتأجيج مشاعر المعارضة والتعبئة الشعبية. (حسين، ٣١-١٢-٢٠١٠).

وفي أعقاب انهيار حكم البعث الأول عام ١٩٦٤، وتشكيل حكومة عبد السلام عارف، استمرت السياسات التقييدية تجاه الشعائر الحسينية بوجه عام، وإن اتسمت بنبرة أقل قسوة، غير أن التوجّه القومي والإقصائي ظل حاضراً في الخطاب الرسمي حتى انها وصفت بالطائفية، إذ ولم تُسجَّل في تلك المرحلة مبادرات حكومية لدعم أو احتضان الممارسات الدينية، بما فيها زيارة الأربعين .(الرميحي، ٢٣-٤-٢٠٢٥).

وهكذا بقيت زيارة الأربعين خلال تلك السنوات تُمارس تحت رقابة أمنية مشددة، وفي أجواء سياسية متوترة، ما أضفى عليها طابعًا نضالياً وصبغة مقاومة، حيث تحولت من شعيرة دينية بحتة إلى فعل رمزي يعكس تمسك الشيعة بهويتهم في مواجهة سياسات التهميش والإقصاء.

ثالثًا - الحقبة البعثية (١٩٦٨-٢٠٠٣):

تُمثّل فترة حكم حزب البعث، وخاصة في عهد صدام حسين، واحدة من أكثر المراحل قمعاً وتضييقاً على ممارسة الشعائر الدينية في تاريخ الدولة العراقية الحديثة، وعلى رأسها زيارة الأربعين، فمنذ استيلاء الحزب على السلطة عام ١٩٦٨، بدأت الدولة تنتهج سياسة ممنهجة تهدف إلى تقليص الدور الديني والاجتماعي للشعائر الحسينية، بما في ذلك تقييد المواكب الحسينية، ومنع التجمعات الجماهيرية التي تُعدّها السلطة تهديداً محتملاً لأمن النظام واستقراره السياسي.(حسين، ٢٠١١، ص١٣٠).

وقد تصاعدت هذه السياسات القمعية بشكل ملحوظ خلال فترة السبعينات والثمانينات والتسعينات، حيث فرضت الحكومة البعثية حظراً شبه تام على الزيارة الأربعينية، خاصة المسيرات الراجلة من مدن الجنوب إلى كربلاء، وقد بلغت هذه السياسات القمعية ذروتها في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ التي جاءت نتيجة لمنع السلطات البعثية للزائرين من أداء المسير التقليدي إلى كربلاء، فانطلقت مظاهرات سلمية من مدينة النجف احتجاجاً على هذه القيود، واجه النظام هذه الانتفاضة بوحشية مفرطة، إذ قامت القوات الأمنية باعتقال المئات من المشاركين، وأعدمت عدداً من القادة الدينيين والشباب، أبرزهم الشيخ عارف البصري ورفاقه، بعد محاكمات صورية بتهم «التحريض على الفتنة» و«الانتماء لحركات دينية محظورة» ، وقد وُثقت حالات كثيرة من الاعتقالات التعسفية، بل والإعدامات بحق المشاركين في هذه الزيارات، بدعوى مخالفة التعليمات الأمنية أو التحريض ضد الدولة .(الحسوني والزهيري، ٢٠٢٠، ص١٠-١٤).

واستمر البعث بعد ذلك في سياسته القمعية من خلال التضيق على مراسيم الزيارة الاربعينية فأوفقاً لتقارير منظمات حقوق الإنسان، فقد كانت السلطات الأمنية تُقيم حواجز تفتيشية صارمة، وتستخدم أساليب تعذيب ممنهجة بحق من يُشتبه بمشاركته في إحياء هذه المناسبة، حتى وإن كانت في إطار فردي أو عائلي (19-Human Rights Watch, 2003, PP.16).

وخلال فترة الثمانينات والتسعينات اتخذ النظام البعثي منحى أكثر قسوة وتشدّداً تجاه شعيرة زيارة الأربعين، خاصةً مع تصاعد الحرب العراقية-الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، رأى النظام البعثي في أي مظهر ديني شيعي - وخاصةً زيارة الأربعين يشكل خطراً وجودياً، يُحتمل أن يُستغل من قبل ايران، كما كان يروج له، عليه فرضت السلطات حظرًا شبه كامل على المسيرات الراجلة، وجرى تجريم إقامة المواكب الحسينية تحت ذريعة الحفاظ على «الوحدة الوطنية» و»مواجهة الطائفية». وقد رافق ذلك اعتقالات جماعية لمنظّمي المواكب، وتفكيك للبُنى الخدمية المرتبطة بالزيارة، واعتبار أي تنظيم شعائري تهمة أمنية تهدد أمن .(القيسي والعكيلي، ٢٠٢٢، ص١٠-١٥).

أما في التسعينات، فقد بلغ التضييق ذروته، لا سيما في أعقاب الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، التي كان لشيعة جنوب العراق - ومن بينهم زائري كربلاء دورٌ بارز فيها، مما دفع النظام الى أعادة قراءة الطقوس الدينية، وخاصةً الأربعينية، بوصفها مساحاتٍ محتملة للتحشيد السياسي والمقاومة، فصعّد من حملات القمع والتطويق الأمني، كانت الطرق المؤدية إلى كربلاء تخضع لحصار أمني مشدد، حيث نُصبت الحواجز العسكرية، وتم اعتقال المئات ممن شاركوا في المسيرات الدينية، بل ووثقت تقارير حقوقية حالات إعدام ميدانية بحق مشاركين في شعائر الأربعين (حسين، ٢٠١١، ص١٣٤؛ Human Rights Watch, ٢٠٠٣) وعلى الرغم من شدة هذه الإجراءات القمعية، فإن الشعائر الأربعينية لم تُمحَ من الذاكرة الدينية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

والوجدانية للمجتمع الشيعي، بل ازدادت تجذراً وتحولت إلى رمز نضالي يعبّر عن مقاومة الاستبداد والتمسك بالهوية العقائدية، فضلاً عن ذلك ساهم القمع البعثي في تعميق البعد السياسي–الديني للزيارة، حيث أصبح أداؤها يُعد فعلًا من أفعال التحدي والصمود، لا سيما لدى فئات الشباب والناشطين الدينيين، كما نشطت بعض الحوزات والمجموعات الدينية في تنظيم زيارات سرية أو بديلة، تستعيد الطابع الرمزي للزيارة وتُبقي على شعلة الحسين مشتعلة في ضمير الأمة.

المطلب الثاني - تحولات الزيارة في مرحلة ما بعد ٢٠٠٣ :

شهدت زيارة الأربعين بعد عام ٢٠٠٣ تحولات جذرية في بنيتها التنظيمية، ورمزيتها السياسية والاجتماعية، وذلك على خلفية التغيرات العميقة في النظام السياسي العراقي إثر سقوط نظام حزب البعث وتأسيس نظام ديمقراطي تعددي جديد، فقد أضحت الزيارة مجالًا مفتوحًا للتعبير الديني الشعبي، وتحولت من شعيرة كانت تُمارس تحت القيود الأمنية الصارمة إلى ممارسة جماهيرية واسعة تجسد حرية الهوية الدينية وتماسك النسيج المجتمعي العراقي بشكل كامل.(مهدي ومحمد، ٢٠٢٢، ص٢٩٥).

فبعد عقود من القمع والتهميش والتضيق، استعادت زيارة الاربعين زخمها بمشاركة غير مسبوقة من ملايين الزائرين، حيث أصبحت الدولة ذاتها تُسهم في تأمين الزيارة وتوفير الدعم اللوجستي، بالتعاون مع المؤسسات الدينية والمجتمعية، كما أن مؤسسات الدولة تبنت، بدرجات متفاوتة، خطابًا يعترف بقيمة زيارة الأربعين كجزء من الهوية الدينية والثقافية للبلاد، وقد ظهر ذلك في إشراك المؤسسات الرسمية في تنظيم مراسم العزاء وتسهيل حركة الزائرين، وخاصة في المحافظات الجنوبية.(ابراهيم، ٢٠٢١، ص٢٤٣-٢٤٥).

إلى جانب ذلك، أصبح للزيارة بعدٌ سياسي ومجتمعي واضح، إذ اتخذها الناشطون والتيارات الاجتماعية منبراً للتعبير عن مطالبهم، لا سيما في أوقات

الأزمات السياسية، وخير مثل على ذلك احتجاجات ٢٠١١ و٢٠١٩، حيث رُفعت شعارات إصلاحية داخل مواكب الزائرين، تدعو إلى محاربة الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية ومحاربة الفساد، مستلهمة في ذلك جوهر ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي قامت على مبدأ «الرفض والاحتجاج» ضد الظلم والانحراف السياسي، وقد أسهمت هذه التحولات في بروز الزيارة كأداة رمزية للمقاومة المدنية ومجال للضغط السياسي السلمي.(عيدان، ٢٠٢١، ص٧٨؛ مصطفى، ١٩-١٠-٢٠١٩).

في ذات السياق، نشأت بنية تنظيمية موازية للدولة متمثلة في المواكب الحسينية وهيئات الخدمة، التي توسعت بشكل كبير لتشمل شبكات معقدة من المتطوعين، والخدمات، والتنظيم المدني. هذه المواكب لا تؤدي فقط دورًا طقوسيًا، بل أصبحت تعكس حيوية المجتمع الشيعي وتنظيمه الذاتي، وقدرته على التعبئة الجماهيرية خارج الإطار الرسمي، ما يشير إلى أن الزيارة تحولت إلى ممارسة مدنية ذات أبعاد سياسية وروحية واجتماعية متداخلة .(ابراهيم، ٢٠٢١، ص٢٤٤-٢٤٥).

ومن اللافت أيضًا أن الزيارة بعد ٢٠٠٣ اتخذت بعدًا دوليًا متناميًا، فقد أصبح الحضور الإقليمي والدولي لافتًا، خاصة من دول الخليج وإيران وباكستان والهند، مما أكسبها بُعدًا عابرًا للحدود يُعبّر عن تشكّل هوية شيعية كونية حول رمز الحسين وقيم كربلاء.(المخزومي، ٢٠١٨، ص٢٧٨).

رغم ذلك، لم تخلُ المرحلة من تحديات أمنية واقتصادية، إذ تعرّضت المواكب والزائرون لهجمات إرهابية من قبل الجماعات المتطرفة، خصوصًا خلال الفترة ٢٠٠٥-٢٠١٤، مما أعاد للزيارة طابعها النضالي في مواجهة العنف الطائفي والإرهاب، ورسّخ رمزية الحسين كرمز للحرية في مواجهة الظلم والطغيان، وهي دلالة وجدانية وثقافية راسخة في الوعي الشيعي.(مهدي وسلمان، ٢٠٢٢، ص٢٩٢-٢٩٣).

الخاتمة

إن الزيارة الأربعينية، بما تحمله من رمزية دينية وسياسية واجتماعية، مثلت عبر التاريخ العراقي الحديث والمعاصر مساحة حيوية لتفاعل المجتمع مع السلطة، وقد بيّن البحث أن التحولات السياسية، منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ وحتى مرحلة ما بعد ٢٠٠٣، تركت تأثيرات عميقة على طبيعة الزيارة وممارساتها، سواء من حيث التقييد والمنع كما حدث خلال العهود الملكية والجمهورية والبعثية، أو من حيث الانفتاح والدعم النسبي كما في الحقبة اللاحقة.

وقد ساهمت الزيارة، على مدار هذه التحولات، في التعبير عن الرفض الشعبي لكل أشكال الظلم السياسي والاجتماعي، مجسدةً قيم الثورة الحسينية في صور نضالية سلمية ومدنية، ومن خلال تحليل الممارسات الحكومية تجاه هذه الشعيرة، يمكن القول إن زيارة الأربعين كانت ولا تزال مرآة عاكسة لطبيعة العلاقة بين السلطة والمجتمع، ومؤشرًا على مدى احترام الدولة للهويات الدينية والثقافية لمواطنيها.

كما أظهرت الدراسة أن التحولات ما بعد ٢٠٠٣ مكّنت الزيارة من استعادة ألقها ورمزيّتها، بل وأسهمت في تحويلها إلى تظاهرة عالمية ذات أبعاد سياسية واجتماعية عابرة للحدود، مع الحفاظ على جوهرها الديني والروحي العميق.

النتائج

استنادًا إلى ما تقدم، توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

١. شكّلت الزيارة الأربعينية مجالًا ثابتاً للمقاومة الرمزية والاجتماعية ضد مشاريع التهميش والقمع، وكانت حاضرة في كل مراحل التغيير السياسي في العراق.

٢. اتسمت سياسات الحكومات الملكية والجمهورية المبكرة بالحذر والرقابة إزاء الزيارة، بينما تبنّى النظام البعثي سياسات قمعية صارمة بلغت ذروتها في حظر الزيارة واعتقال المشاركين.

٣. رغم القمع الشديد، احتفظت الشعيرة بحضورها الرمزي والديني، مما أكسبها قوة إضافية باعتبارها تعبيرًا عن الهوية الشيعية وأداة للاحتجاج السلمي.

٤. بعد ٢٠٠٣، تحولت الزيارة إلى ممارسة دينية ومجتمعية واسعة النطاق، أصبحت تمثل مساحة حرة للتعبير عن المطالب الاجتماعية والسياسية والإصلاحية.

٥. ساهم التطور الإعلامي والدعم المؤسسي وشبكات المواكب الدينية في تحويل الزيارة إلى حدث دولي له أبعاد اجتماعية وثقافية تتجاوز حدود العراق.

التوصيات

بناءً على ما توصل إليه البحث، يمكن اقتراح التوصيات الآتية:

١. ضرورة دعم وتعزيز حرية ممارسة الشعائر الدينية، ومنها زيارة الأربعين، بما يتماشى مع مبادئ حقوق الإنسان واحترام التعددية الدينية والمذهبية.

٢. تبني استراتيجية وطنية تسعى إلى حماية الزيارة الأربعينية من الاستغلال السياسي أو الطائفي، والحفاظ على طابعها الديني والإنساني العام.

٣. تشجيع البحث الأكاديمي المستمر حول ظاهرة الزيارة الأربعينية، لتوسيع الفهم النظري والعملي لدورها في بناء الهوية الوطنية وتعزيز السلم الأهلي.

٤. دعم المبادرات الاجتماعية والخدمية التي تنشأ حول الزيارة، لما لها من أثر إيجابي في تعزيز التكافل الاجتماعي والوحدة الوطنية.

٥. تعزيز التوثيق الإعلامي والأكاديمي لمظاهر الزيارة الأربعينية، بما يساعد في تقديم صورة دقيقة عنها للعالم، وتأكيد بعدها الحضاري والديني.

المصادر

١. الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسين، ١٩٨٧، مصباح المتهجد، طهران: مركز بحوث الحج والعمرة، ص٧٧٢.

٢. النوري، ابتسام سعدون ونيران يوسف جبر، ٢٠٢٤، البعد الإعلامي ودوره في تضليل الزيارة الأربعينية المشاركين العرب، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السابع لزيارة الاربعين-الجزء الثاني، مجلة السبط، ص٤٤.

٣. شمس الدين، محمد مهدي، ٢٠٠٤، ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية. بيروت: دار التعارف، ص ١١٥.

٤. الخرسان، السيد شبيب مهدي، ٢٠١٨، زيارة الاربعين اصلها- منشأها- فوائدها، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ص٢٩.

٥. الكرباسي، الشيخ محمد صادق، ٢٠٠٣، موسوعة زيارة الإمام الحسين عليه السلام، الجزء الأول، لندن: المركز الحسيني للدراسات، ص٨٤-٩٠.

٦. زيدان، حسين حسين و فاطمة نون شاني، ٢٠٢٢، دور الزيارة الأربعينية في تعزيز ثقافة التعايش السلمي المجتمعي، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، المجلد ٧، العدد ٢، ص ١٢١.

٧. جبر، وفاء حسن، ٢٠٢١، دور الزيارة الاربعينية في التعايش السلمي بين الاديان، المؤتمر العلمي والثقافي الدولي الاول لجامعة واسط، مجلة كلية التربية- جامعة واسط، العدد الخاص ٢٠٢١، ص٥٧٦-٥٧٧.

٨. ابراهيم، علياء سعد، ٢٠٢١، دور التضامن الاجتماعي في تحقيق زيارة الاربعين، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث لزيارة الاربعينين المباركة، المجلد ٧، العدد٢، ص٢٤١-٢٤٤ .

٩. العتبة العباسية، قسم الشعائر والمواكب، التقارير السنوية لعداد المواكب المشاركة في زيارة الأربعين، https://alkafeel.net.

١٠. شبكة الإعلام العراقي ، وكالة الأنباء العراقية، تقارير اعداد المواكب في الزيارة الاربعينية، https://www.ina.iq/ .

١١. المخزومي، صادق، ٢٠١٨، زيارة الاربعين دراسة سوسيولوجية ميدانية، النجف، نشر مؤسسة اديان للثقافة والحوار، ص٥٤-٦٣ .

١٢. وثائق العتبة العباسية، مكتب الامين العام، اعداد الزائرين وفقاً لمنظومة العد الالكتروني في العتبة العباسية، العدد ٧٤٥٢، ١٧-٩-٢٠٢٢؛ مركز كربلاء للدراسات والبحوث، التقرير الإحصائي لزيارة الأربعين، https://c-karbala.com/ar/sdfagdhfj.

١٣. الخزاعي، نجم عبد الله، ٢٠١٨، المذهب الشيعي والدولة العراقية الحديثة: جدلية العلاقة بين الدين والسياسة. بيروت: دار الرافدين، ص١٤٣.

١٤. حسين، عبد الخالق، ٢٠١١، الطائفية السياسية ومشكلة الحكم في العراق ، بغداد ،دار ميزو بوتيميان، ص١٤.

١٥. الهاشمي، محمد حسين، ٢٠١١، الحياة الدينية في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، بغداد، مركز البحوث والدراسات في وزارة الثقافة، ص٨٩.

١٦. شمس الدين، محمد مهدي، ١٩٧١، ثورة الحسين في الوجدان الشيعي، النجف، مطبعة الاداب،ص٣٩.

١٧. حسين، عبد الخالق اسماعيل، ٢٥-١٢-٢٠١٠، الطائفية في العهد الجمهوري القاسمي والعارفي، الحوار المتمدن، العدد ٣٢٢٦، على الموقع الالكتروني: https: / /www.ahewar.org /debat /show.art.asp?aid=٢٣٩٥٢٦.

١٨. الرميحي، حيدر،٢٣-٤-٢٠٢٥، سلسلة الاربعين المعرفية/ الحلقة الرابعة (تتمة) الخلفيات التاريخية لزيارة الاربعين، https://clay-board.com/archives/35877.

١٩. حسين، عبد الخالق اسماعيل، ٣١-١٢-٢٠١٠، الطائفية في عهد حكم البعث، الحوار المتمدن، العدد ٣٢٣٢، على الموقع الالكتروني: https: / /www.ahewar. org /debat/show.art.asp?aid=٢٤٠١٦٤.

٢٠. الحسون، الشيخ محمد و عبد الحليم الزهيري، الاثار السياسية والحركية لانتفاضة صفر الخالدة سنة ١٩٧٧، بغداد، مركز الرافدين للحوار، ٢٠٢٠، ص١٠-١٤. Human Rights Watch. (٢٠٠٣). Iraq: State of the repression under Saddam Hussein. Retrieved from.

٢١. القيسي، محمد فهد وعلي خضر العكيلي، ٢٠٢٢، موقف السلطة الحاكمة من زيارة الأربعين ١٩٦٨-٢٠٠٣السبط- مركز كربلاء للدراسات والبحوث- العتبة الحسينية المقدسة، العدد ٢، الجزء ٢، المجلد ٥، ص١٠-١٣.

٢٢. الساعدي، عبد الجليل حسين علوان، ٢٠١٥، الإدارة الاستراتيجية للحكومات العراقية قبل وبعد٢٠٠٣، بغداد، دار الدكتور للعلوم الإدارية والاقتصادية، ص٢٩٠.

٢٣. مهدي، هدى سعيد وجنان محمد، ٢٠٢٢، الهجمات الارهابية وتأثيرها في السلم المجتمعي الزيارة الاربعينة انموذجاً، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الخامس لزيارة الاربعين المباركة، كربلاء، مجلة السبط، مجلد ٨، عدد٤، ص٢٩٥.

٢٤. حمزة مصطفى، مقالة منشور في صحيفة الشرق الاوسط، ١٩-١٠-٢٠١٩، على الموقع الالكتروني: https://aawsat.com/home/article/1953376.

٢٥. عيدان، وسن صاحب، ٢٠٢١، الزيارة الاربعينية ودورها في تعزيز ديناميكية الاصلاح والسلم المجتمعي، وقائع المؤتمر العلمي الثالث لزيارة الاربعين المباركة، كربلاء، مجلة السبط، مجلد ٧، عدد٢، ص٧٨.

المقاومة الثقافية لأنتفاضة صفر ١٩٧٧
قراءة في الرموز والدلالات

م.م. ثاني عبد الله أحمد
محاضر بكلية التربية – ولاية جيغاوا، نيجيريا
muhammadsabdullahi044@gmail.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

الملخص

شهدت مدينة النجف الأشرف في شهر صفر من عام ١٩٧٧ واحدة من أبرز الانتفاضات الشعبية ذات الطابع الديني في تاريخ العراق المعاصر، حيث واجهت السلطات البعثية حشودًا جماهيرية ضخمة خرجت لإحياء الشعائر الحسينية، مستخدمةً القوة المفرطة لقمعها. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل هذه الانتفاضة من حيث السياقات السياسية والدينية والاجتماعية التي أدت إليها، وبيان أسبابها المباشرة وغير المباشرة، وتفسير موقف النظام منها، وتحديد مواقف المرجعية الدينية، لا سيما خطاب السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، كما تتناول أبعادها الاستراتيجية ونتائجها على المدى البعيد، وتأثيرها في الانتفاضات اللاحقة، مع بيان أثرها في تشكيل الوعي الجمعي لمفهوم "الثورة الثقافية الإسلامية" في مواجهة التسلط. كما تسلط الضوء على رمزية "زيارة الأربعين" في تلك السنة، وكيف تحوّلت إلى ساحة مواجهة رمزية وثقافية، مستعرضةً نتائجها على الوعي الجماعي ومستقبل الحراك السياسي الشيعي في العراق. إنّ أهمية هذه الدراسة تنبع من محاولة فهم طبيعة المقاومة الثقافية التي مارستها الجماهير المنتفضة آنذاك، وتحليل الأبعاد الرمزية والشعائرية التي وظّفتها في مواجهة سياسات الطمس والإنكار التي اتبعها النظام وقد تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي في تحليل الأحداث وربطها بالسياق العام، كما تم الاعتماد على مصادر تاريخية ووثائق معاصرة وخطب دينية وبيانات صادرة من أطراف الصراع. توصل البحث إلى أن الانتفاضة لم تكن مجرد احتجاج شعبي عابر، بل شكلت نقطة تحول في العلاقة بين السلطة والمجتمع الشيعي، وأسست لمرحلة جديدة من الوعي السياسي والديني المقاوم.

الكلمات المفتاحية: انتفاضة صفر، المقاومة الثقافية ، البعث، الشعائر الحسينية،، زيارة الأربعين ، النظام العراقي، القمع، المرجعية.

The 9th International Scientific Conference for Arbaʿeen Visitation

(Under the theme: The Safar Uprising of 1977)

Asst. Lecturer Thani Abdullah Ahmed

Lecturer at the College of Education – Jigawa State, Nigeria

Abstract

In the month of Ṣafar 1977, the holy city of Najaf witnessed one of the most significant religiously motivated popular uprisings in modern Iraqi history. The Ba'athist regime responded with excessive force against massive crowds who had taken to the streets to commemorate the Husayni rituals. This study aims to analyze this uprising by exploring the political, religious, and social contexts that led to it. It investigates both the direct and indirect causes, explains the regime's response, and highlights the stance of the religious authorities—particularly the discourse of Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr (may he rest in peace). The paper also examines the strategic dimensions and long-term impacts of the uprising, especially its influence on subsequent movements. A descriptive-analytical method has been employed to interpret the events and connect them to the broader historical framework. The study draws on historical sources, contemporary documents, religious sermons, and statements issued by parties involved in the conflict. The research concludes that the uprising was not a mere spontaneous protest but rather a pivotal moment that reshaped the relationship between the state and the Shi'a community, paving the way for a new phase of resistant political and religious consciousness.

Keywords:Ṣafar Uprising, Cultural Resistance, Ba'ath Regime, Husayni Rituals, Arbaʿeen Pilgrimage, Iraqi Regime, Repression, Religious Authority.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ / آذار - ٢٠٢٦ م

المقدمة

تُعدّ انتفاضة صفر ١٩٧٧ من أبرز المحطات الثورية في تاريخ العراق المعاصر، خصوصًا في علاقتها بالمرجعية الدينية والوعي الشعبي الشيعي. وقد شكّلت هذه الانتفاضة تحديًا كبيرًا للسلطة البعثية آنذاك، حيث خرج آلاف الزائرين متجهين نحو كربلاء في ذكرى أربعين الإمام الحسين ﷺ متحدّين قرار المنع الحكومي، مما أدى إلى صدامات دموية، واعتقالات واسعة، وهزّات سياسية ما زالت آثارها ماثلة حتى اليوم. وقد جاءت هذه الانتفاضة كردّ فعل شعبي على سياسة النظام القمعية التي استهدفت الحريات الدينية، خصوصًا الشعائر الحسينية التي تمثل مظهرًا هوياتيًا عميقًا لدى شيعة العراق. في تلك المرحلة، شهد العراق تصعيدًا ملحوظًا في سلوك النظام تجاه النشاطات الدينية، ولا سيما تلك المرتبطة بمواكب العزاء في شهري محرم وصفر. وتمثلت ذروة هذا التصعيد في منع مواكب الزائرين القادمين سيرًا على الأقدام من مدينة النجف إلى كربلاء في أربعينية الإمام الحسين ﷺ، مما فجّر الغضب الشعبي وأدى إلى خروج تظاهرات واسعة سرعان ما تحوّلت إلى صدامات دموية مع القوات الأمنية. إن هذه الانتفاضة، على قصر مدّتها الزمنية، شكّلت تحولًا مفصليًا في مسار العلاقة بين الدولة والمجتمع، كما ساهمت في تبلور مواقف سياسية ودينية حاسمة كان لها ما بعدها. وقد تميز هذا الحدث بتفاعل المرجعية الدينية معه، لا سيما موقف آية الله السيد محمد باقر الصدر قدس سره الذي شكّل بُعدًا روحيًا وفكريًا للانتفاضة. تسعى هذه الدراسة إلى معالجة هذا الحدث التاريخي من خلال قراءة تحليلية، تستند إلى المنهج التحليلي الوصفي، وتستعين بمصادر تاريخية ووثائقية، بهدف فهم أبعاد الانتفاضة، ودراسة دوافعها، ونتائجها، وأثرها اللاحق على الواقع العراقي.

المحور الأول

الخلفية التاريخية والسياسية لانتفاضة صفر ١٩٧٧

إنّ فهم طبيعة انتفاضة صفر ١٩٧٧ لا يمكن أن يتمّ دون الإحاطة بالخلفية السياسية والاجتماعية للعراق خلال عقد السبعينيات؛ حيث شهدت البلاد آنذاك سيطرة حزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة صدام حسين على مفاصل الدولة، وتصاعد السياسات القمعية تجاه القوى الدينية، لاسيّما الشيعية منها. انطلقت شرارة الانتفاضة من النجف الأشرف، بمشاركة فعّالة من الحوزة العلمية والمواكب الحسينية، وقادتها النخبة الدينية والشباب الواعي، رافعين شعار "هيهات منّا الذلّة"، في تحدٍّ صارخ لسلطة القمع، الأمر الذي قابله النظام باستخدام الرصاص الحي، ما أدى إلى سقوط شهداء واعتقال المئات(الجبوري، ٢٠٢٠).

جاءت هذه الانتفاضة في ظلّ سياسات قمع ممنهجة هدفت إلى فرض أيديولوجية قومية علمانية تابعة لحزب البعث، وتجفيف منابع الهوية الدينية، وخصوصًا فيما يتعلّق بالشعائر الحسينية. ويمثّل تزايد الوعي الديني والسياسي آنذاك، بقيادة المرجع السيد محمد باقر الصدر قدس سره، أحد العوامل الجوهرية في تحفيز الوعي الجماهيري نحو الاحتجاج (الحيدري، ٢٠١٠).

الأسباب والدوافع المباشرة للانتفاضة:

١. منع المسيرة الأربعينية: تُعدّ المسيرة السنوية من النجف إلى كربلاء مشيًا على الأقدام من أبرز مظاهر التعبير الديني في ذكرى الأربعين. وفي عام ١٩٧٧، قامت السلطات البعثية بمنع هذه المسيرة، واعتبرتها تهديدًا أمنيًا، ما أثار سخطًا شعبيًا واسعًا، إذ عُدَّ المنع مساسًا مباشرًا بالهوية الدينية (الأسدي، ٢٠٢٢).

٢. تصاعد التوتر بين المرجعية والنظام: شهدت المدة التي سبقت الانتفاضة توترًا كبيرًا بين الحوزة الدينية والنظام البعثي، خاصة بعد اعتقال عدد من العلماء وطلبة الحوزة، وصعود نجم السيد محمد باقر الصدر بوصفه مفكرًا ومنظّرًا إسلاميًا (الجبوري، ٢٠٢٠).

٣. القمع الممنهج للشعائر الدينية: اتخذ القمع أشكالًا متعددة، من مصادرة الأشرطة والرايات، إلى منع المجالس الحسينية، ما أعطى الشعور بأن النظام يستهدف "عاشوراء" كثقافة وهوية، لا مجرد فعالية دينية (الجزائري، ٢٠٠٣).

٤. التمييز الطائفي والتهميش: رغم شعارات وحدة الشعب، إلا أنّ الواقع كشف عن تهميشٍ طائفي واسع، خصوصًا في مجالات التوظيف والتعليم، ما ساهم في خلق بيئة مشحونة ورافضة (الحيدري، ٢٠١٠).

٥. حكم الحزب الواحد والطبيعة الشمولية للسلطة: اعتمد النظام على إقصاء كافة القوى الفكرية والدينية المعارضة، وتعامل مع أي تجمّع ديني بوصفه تهديدًا محتملًا، ففرض الرقابة والمنع على النشاطات الدينية (الجابري، ٢٠٢١).

٦. الحراك الشعبي والهوية الدينية: كان المجتمع الشيعي يحتفظ بوعي مذهبي حيوي، وكان يرى في الشعائر الحسينية سلاحًا رمزيًا في مواجهة الظلم، ولهذا فإن قمعها شكّل استفزازًا وجوديًا.

من هنا، أبرزت الانتفاضة بعدها العقائدي الرافض للظلم، المتمثل في الولاء للإمام الحسين عليه السلام، واعتُبرت شعائرها تجسيدًا لمقاومة الطغيان، وشكلًا من أشكال التعبير عن الهوية الدينية الجماعية. ونجحت، رغم القمع، في تثبيت مفاهيم الرفض الحسيني وتعزيز الروح الثورية التي تتجذر لاحقًا في الثمانينيات وما بعد. وساهمت في فضح الطغيان البعثي إقليميًا ودوليًا. ثم أثبتت أنّ الشعائر الحسينية ليست مجرد طقوس، بل أدوات مقاومة ورفض للطغيان.

السلطة السياسية والعلماء الدينية في انتفاضة :

شهد العراق في أواخر سبعينيات القرن العشرين تصاعدًا خطيرًا في المواجهة بين النظام الحاكم والتيارات الدينية، وقد بلغ هذا التوتر ذروته في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧، والتي كانت نتيجة مباشرة لسياسات القمع الممنهج التي تبناها حزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة أحمد حسن البكر، وبدفع مباشر من نائبه آنذاك صدام حسين، الذي كان يمسك فعليًا بجهاز الدولة الأمني والمخابراتي، ويقود حملات تصفية واستئصال ضد كل تعبير ديني مستقل، وخاصة التشيع السياسي(الهاشمي، ٢٠١٤).

في المقابل، كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف، وعلى رأسها السيد محمد باقر الصدر، تتابع بدقة الأوضاع السياسية والاجتماعية، وتُسهم في تعبئة الجماهير وطلبة الحوزة بروح التحدي والصمود، ولو من موقع الاحتياط والحذر. وقد اعتبر الصدر قدس سره أنّ الشعائر الحسينية تمثّل هوية الأمة وعنوان رفضها للظلم، ودعا بشكل غير مباشر إلى استمرارها رغم المنع البعثي، وهو ما منح الغطاء الشرعي والمعنوي للمنتفضين(الفيض، ح. م ٢٠١٠).

كما كان للعلامة السيد محمد باقر الحكيم دور تنظيمي مهم ضمن دوائر العمل الإسلامي، حيث شارك في التعبئة والتحشيد، وأشرف على شبكات التبليغ الديني والتوجيه الثوري، وقد اعتُقل لاحقًا ضمن حملة القمع التي تلت الانتفاضة. وشارك العديد من العلماء وطلبة الحوزة، أمثال الشيخ محمد باقر النمر وآخرين، في تأييد المسيرات والدعوة لها، مما شكّل اصطفافًا واضحًا بين الحوزة والجماهير من جهة، وبين النظام القمعي من جهة أخرى (الطالقاني، ١٩٩٨).

وقد تمثل هذا الاصطفاف في المسيرة الكبرى التي انطلقت من النجف باتجاه كربلاء لإحياء أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، متحدّية قرار الحظر البعثي، فواجهها النظام باستخدام الرصاص الحي والاعتقالات، وسقط خلالها عدد من الشهداء، وسُجن المئات، في مقدمتهم رموز دينية واجتماعية بارزة.

دور العلماء والمرجعية:

يجدر بنا أن نذكر أبرز العلماء الدين الذين وقفوا وراء الانتفاضة:

- السيد محمد باقر الصدر قدس سره كان المرجع الفكري والديني الأبرز آنذاك، وكان له الدور الأكبر في إذكاء الروح الثورية والوعي السياسي في أوساط الشباب والمجتمع الشيعي. لم يكن مشاركًا ميدانيًا في الانتفاضة، لكنه كان الداعم والموجه والملهم لها.
- السيد محمد باقر الحكيم قدس سره كان من أبرز الناشطين في الساحة السياسية والدينية، وقد لعب دورًا تنظيميًا في دعم الحركة.
- الشهيد الشيخ محمد باقر النمر أحد علماء الدين الذين كانت لهم مواقف واضحة في دعم التحركات الشعبية ضد القمع.
- علماء الحوزة في النجف الأشرف
- شارك عدد كبير من طلبة الحوزة العلمية ومشايخها في تنظيم المسيرات، وبارك العديد من العلماء هذه المواقف سرًا أو علنًا رغم شدة القمع.

وبهذا يرى الباحث تكون انتفاضة صفر قد دشّنت شكلًا جديدًا من المقاومة الثقافية، عبر إحياء الموروث الديني والمذهبي كأداة للاحتجاج السلمي والتمسك بالهوية، متجاوزة الحواجز الأمنية والسياسية. لقد مثّلت انتفاضة صفر تحولًا نوعيًا في طبيعة المقاومة الثقافية في العراق، إذ أظهرت قدرة الشعائر والمناسبات الدينية على أن تتحوّل إلى أدوات ناعمة للاحتجاج الجماعي، وأن تشكّل سدًا روحيًا وفكريًا في وجه محاولات الطمس والقمع، ممهدةً لبروز الوعي السياسي الديني الذي سيترك أثره طويلًا في تاريخ العراق المعاصر.

المحور الثاني
البعد الجغرافي والاجتماعي للانتفاضة

رغم أن شرارة انتفاضة صفر ١٩٧٧ انطلقت من مدينة النجف الأشرف، إلا أن أصداءها امتدت لتشمل عددًا من المدن ذات الغالبية الشيعية، خصوصًا تلك المرتبطة بالحياة الدينية والشعائر الحسينية. وهذا ما يؤكد أن الانتفاضة لم تكن محلية فحسب، بل شكّلت فعلًا جماعيًا له جذور اجتماعية وروحية عميقة في مختلف المناطق، ما يعكس وحدة الهويّة الدينية في مواجهة القمع السياسي(الأسدي، ٢٠٢٢).

النجف: الحاضنة الأولى للاحتجاج

تمثل النجف الأشرف المركز الروحي والمرجعي للطائفة الشيعية في العراق والعالم الإسلامي، حيث تحتضن الحوزة العلمية وضريح الإمام علي ﷺ، وقد شكّلت تاريخيًا رمزًا للممانعة الدينية. وباعتبارها نقطة انطلاق المسيرة الأربعينية، فإن إجراءات الحظر التي اتخذها النظام البعثي أثارت المجتمع النجفي، لا سيما العلماء وطلبة الحوزة وأصحاب المواكب، ما أدى إلى اندلاع الاحتجاج (الجزائري، ٢٠٠٣).

كربلاء: الهدف الرمزي للزحف

كربلاء، مدينة الإمام الحسين ﷺ، شكّلت الهدف النهائي للمسيرة، ولهذا كانت تحت أعين السلطة التي عززت الوجود العسكري ومنعت دخول الزائرين. ورغم الإجراءات الصارمة، أبدى سكان كربلاء تضامنهم، ما يكشف عن وحدة وجدانية مع حركة الزائرين، وإن لم تأخذ شكل الانتفاضة الصريحة (الحيدري، ٢٠١٠).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ، آذار - ٢٠٢٦ م

الجنوب والفرات الأوسط

شاركت مدن شيعية أخرى مثل الديوانية والناصرية والحلة والكوت، بشكل معنوي ورمزي، من خلال الهتافات المؤيدة والمشاركة الفردية، مما عكس مدى الترابط المذهبي والمقاومة الجماعية للسياسات القمعية (الشوكي، ٢٠١٥).

العاصمة بغداد

في بغداد، لم تسجل مظاهرات صريحة بسبب الطوق الأمني، إلا أن هناك تضامنًا صامتًا من بعض الطلبة الجامعيين وأبناء الأحياء ذات الأغلبية الشيعية، في صورة تَمَثّل فيها الرفض دون الصدام (علي، ٢٠١١).

المحور الثالث
السياق السياسي والاجتماعي للانتفاضة

يحتوي هذا المحور على تحليل بعض السياقات السياسية والاجتماعية والثقافية كما يلي:-

جاءت انتفاضة صفر في سياق سياسي اتسم بالقمع الممنهج من النظام البعثي الحاكم الذي سعى لفرض الأيديولوجيا القومية على حساب الهوية الدينية. وقد اتبعت السلطة سياسة قمعية ضدّ الحوزات والفعاليات الحسينية، بما في ذلك منع المواكب، ومراقبة الخطباء، والتضييق على الأنشطة الدينية المرتبطة بكربلاء (الهاشمي، ٢٠٠٩).

زيارة الأربعين ١٩٧٧ : نقطة التحول

في ظل هذا السياق، جاءت زيارة الأربعين في ١٩٧٧ لتحوّل المواجهة من طابعها الرمزي إلى طابع ميداني، إذ خرج آلاف الزائرين من النجف إلى كربلاء رغم الحظر، معلنين تحديًا مباشرًا للسلطة، ليتحول الحدث إلى انتفاضة عارمة، عُرفت بـ"انتفاضة صفر". تعامل النظام معها بالعنف المفرط، مما أدى إلى سقوط شهداء واعتقال المئات (العبيدي، ٢٠١٢).

انتفاضة ثقافية لا مطلبية :

لم تكن الانتفاضة سياسية بمفهوم المطالب، بل كانت حراكًا ثقافيًا عقائديًا استند إلى رمزية الشعائر الحسينية ومركزية كربلاء في الوجدان الشيعي، حيث ظهرت شعارات مثل "هيهات منا الذلة" و"كربلاء رمز الحرية"، في ظل غياب تام لأي تنظيم سياسي ظاهر (الكبيسي، ٢٠١٧).

الاحتقان الاجتماعي والديني

الانغلاق السياسي، وتضييق الحريات، والشعور بالتهميش الطائفي، ساهم في تراكم الاحتقان. فكان هذا التراكم الاجتماعي والديني والرمزي هو الحاضنة التي فجّرت الغضب في لحظة رمزية، جعلت من زيارة الأربعين شرارة الانتفاضة (مجيد،٢٠٠٨).

المحور الرابع
المقاومة الثقافية كمنظومة رمزية

بعد استعراض السياق السياسي والاجتماعي الذي أفرز انتفاضة، تتضح لنا أبعاد جديدة تتجاوز الفعل الاحتجاجي المباشر، لتأخذ شكل مقاومة ثقافية متجذرة في الوعي الجمعي الشيعي. إذ تحولت الممارسات الدينية، وفي مقدمتها الشعائر الحسينية، إلى رموز ثقافية تُمارَس في العلن لتحدي السلطة ومواجهة القمع بأساليب رمزية ذات فاعلية اجتماعية وسياسية.

إنّ زيارة الأربعين، بوصفها شعيرة مركزية في الوجدان الشيعي، لم تقتصر على كونها طقسًا دينيًا بحتًا، بل شكّلت منصة ثقافية تُعبّر عن مفاهيم الولاء والعدل والحق. وقد تحوّلت في ظل الاستبداد السياسي البعثي إلى ساحة للاحتجاج الصامت، يستعرض فيها الزائرون هويتهم وانتماءهم الديني والسياسي من دون حاجة إلى الشعارات المباشرة. في هذا الإطار، تُقرأ المسيرة بوصفها لغة رمزية تعكس البنية العميقة للمجتمع المقاوِم (الأسدي، ٢٠٢٢، ص. ٤٩). ما يُميز المقاومة الثقافية أنها غير مرتبطة بزمن الحدث، بل تمثل نمطًا دائمًا من الرفض المتجدد، تتكثف فيه الرموز، وتُستثمر فيه اللغة، وتُحمَّل فيه الأفعال اليومية معانيَ تتجاوز المألوف. فحمل الشموع، والمشي حافيًا، وارتداء الأكفان، وترديد اللطم أو المراثي الحسينية، كلها ممارسات تُترجم موقفًا سياسيًا ضمنيًا يُعبر عن رفض الظلم وتأكيد الاستمرار في خط الحسين عليه السلام.

وقد أسهمت الانتفاضة في إبراز ما يسميه "سكوت" (Scott, 1990) بـ"النص الخفي للمقاومة"، أي تلك الرسائل التي تحملها الجماعة المضطهدة دون أن تصطدم مباشرة مع السلطة. فالجماهير التي خرجت إلى زيارة الإمام الحسين آنذاك، لم ترفع شعارًا سياسيًا صريحًا، لكنها حمّلت الشعيرة مضمونًا احتجاجيًا عميقًا، شكّل تهديدًا للسلطة من حيث ارتباطه بالهوية والتاريخ والرمز.

من هنا، فإن الحضور الجماهيري في الانتفاضة لم يكن فعلاً عفويًا فقط، بل فعلاً ذا طابع رمزي مدروس، يُعيد صياغة العلاقة بين الهوية والفضاء العام. لقد واجهت الجماهير قمع السلطة بالقوة الرمزية التي تمتلكها الشعائر، واستخدمت "الهوية الثقافية" كسلاح استراتيجي، يستحضر التاريخ، ويعبّر عن الرفض، ويستند إلى مرجعية دينية عميقة.

إن فهم انتفاضة صفر من زاوية المقاومة الثقافية، يكشف أن الفعل الاحتجاجي لا ينحصر في المواجهة المسلحة أو التظاهر السياسي، بل قد يتجلى في الرمز والممارسة اليومية، في الشعائر، واللغة، والهتاف، وفي الإصرار على حفظ الموروث وإحيائه في زمن المنع والمطاردة.

التحليل العام للانتفاضة ودروسها المعاصرة:

١. زيارة الأربعين وتمثلاتها الثقافية: تُعدّ زيارة الأربعين في الوجدان الشيعي أكثر من مجرّد طقس ديني شعبي، بل تمثل نظامًا رمزيًا متكاملًا يحمل في بنيته مفاهيم الولاء، والمقاومة، والارتباط بالحق، وهي في ذلك تؤسس لثقافة احتجاجية راسخة ضد الظلم والسلطة الجائرة. وقد اتّخذت هذه الزيارة، خصوصًا في سياقات القمع البعثي، بُعدًا احتجاجيًا ناعمًا، كما في أحداث انتفاضة صفر ١٩٧٧، إذ تحوّلت إلى ساحة للممانعة الرمزية، يعبر فيها الزائرون عن رفضهم لمحاولات الدولة مصادرة الشعائر وتشويه الهوية الدينية (الأسدي، ٢٠٢٢).

٢. برزت آنذاك مظاهر عدة للمقاومة الثقافية: الرايات، المواكب، الأهازيج، واللطم، التي مثّلت أدوات تعبير رمزي عن ثورة متجددة. ولم تكن هذه الممارسات عفوية، بل ارتكزت إلى بنية معرفية وروحية ترعاها المرجعية الدينية، ممثلة بشخصية الإمام السيد

محمد باقر الصدر قدس سره، الذي نظّر لدور الشعائر بوصفها حاملًا للوعي الجمعي، ووسيلة للتعبئة الاجتماعية والسياسية دون الوقوع في التصادم المباشر (الصدر، ١٩٧٧).

٣. المرجعية الدينية وتوجيه فعل المقاومة: شكّلت المرجعية الدينية في النجف الأشرف إطارًا مؤسسيًا لاحتضان ودعم هذا الشكل من المقاومة. ورغم أن المرجعية لم تُصدر حينها مواقف سياسية مباشرة، إلا أن خطابها كان مُحمّلًا بالرمز، ودالًا على موقف واعٍ تجاه القمع. ويُسجَّل للسيد الصدر تأكيده أن «الشعائر ليست تقاليد فارغة، بل هي فعل تربوي، ثوري، يربط الماضي بالحاضر» (الصدر،١٩٧٧). وهكذا، فقد قدّمت المرجعية نموذجًا فريدًا من المقاومة الناعمة، التي تجمع بين التأصيل العقدي والمرونة السياسية، مستندة إلى منهج «الصمت الدال» الذي يفهمه المتدينون ضمن بنيتهم الثقافية بوصفه موقفًا لا يقل تأثيرًا عن التصريح (الأنصاري، ٢٠١٤).

٤. قراءة تحليلية في خطاب السيد محمد باقر الصدر قدس سره يمكن تقسيم أبعاد خطاب السيد الصدر قدس سره إلى ثلاثة مستويات:

- البعد العقائدي: ترسيخ رمزية الحسين عليه السلام كمصدر إلهام للمجتمع المؤمن في مواجهة الظلم، بما يعزز الهوية الروحية.
- البعد السياسي: إدانة ضمنية لقمع النظام دون الدخول في صراع مفتوح، مما يدل على حنكة المرجعية في إدارة المواجهة.
- البعد التربوي: الدعوة إلى الثبات وضبط النفس، مما ساعد في احتواء الغضب الشعبي وتحويله إلى طاقة رمزية مستدامة (الجزائري، ٢٠٠٣).وقد بات خطاب السيد الصدر قدس سره لاحقًا وثيقة مرجعية في الانتفاضات اللاحقة، لا سيما انتفاضة شعبان ١٩٩١، بوصفه يؤسس لفكرة «الشعيرة كأداة مقاومة سلمية».

٥. الشعائر الحسينية كحامل لهوية جمعية مقاومة: لم تكن الشعائر الحسينية، وخاصة زيارة الأربعين، ممارسات دينية معزولة، بل شكّلت فضاءً رمزيًا موازٍ للفضاء السياسي الرسمي، يُمارَس فيه التعبير الجمعي عن الانتماء والاحتجاج. وقد أسهمت الرموز المستخدمة – كالألوان، والشعارات، والإيقاعات – في إعادة إنتاج الهوية الشيعية وفق منطق المقاومة. كشفت الدراسة أن هذه الشعائر تمتلك قابلية تحويلية عالية، تجعلها أداة فعالة للتعبئة الوجدانية والسياسية، وهذا ما ظهر بوضوح في انتفاضة صفر، حيث أصبحت المواكب تمثل «لغة احتجاجية صامتة» ذات دلالات قوية في سياق الصراع مع السلطة.

٦. بين الرمز والدلالة : تشير المعطيات إلى أن انتفاضة صفر لم تكن مجرد رد فعل عفوي، بل تحولًا بنيويًا في فهم المقاومة داخل المجتمع الشيعي، إذ تلاقت فيها: الرمزية الشعائرية، التوجيه المرجعي غير المباشر، والوعي الجماهيري المنظم.

وبالاستناد إلى أطروحة سكوت (١٩٩٠) حول «أسلحة الضعفاء»، يمكن القول إن الصمت، الشعيرة، والرمز كانت أدوات ذات فعالية احتجاجية قصوى، في ظل عجز السلطة عن فهم أبعادها، ومحاولتها تفكيكها من خلال الخطاب القومي الأحادي.

لقد خلقت الانتفاضة ما يشبه «الاستقلال الرمزي» عن السلطة، وأرست ملامح مشروع طويل الأمد للمقاومة الثقافية التي تمظهرت لاحقًا في الخطاب الإسلامي الحركي، خاصة في نشوء حزب الدعوة الإسلامية ومجموعة من الحركات التي استثمرت في تلك الرمزية المقاومة.

كشفت الدراسة أن انتفاضة ليست مجرد حادثة عابرة، بل تمثل بداية الوعي الاحتجاجي الشيعي المنظّم في مواجهة الدولة، وقد تميزت بأبعاد متشابكة: –

- قمع ممنهج واستهداف للهوية الدينية.
- استنهاض المرجعية للوعي الشعبي.
- تحويل الشعائر إلى فعل احتجاجي سلمي.

وبالرغم من الدماء والاعتقالات، أدّت الانتفاضة إلى ترسيخ فكرة أن الشعائر ليست للعبادة فقط، بل أداة بناء للهوية الجمعية، ومصدر تعبئة مستدامة، خصوصًا بعد العام ٢٠٠٣، حيث تحوّل الزحف الأربعيني إلى أداة حرة ومفتوحة لاستعادة تلك الرمزية بصيغة أكثر إن المقاومة الثقافية في انتفاضة صفر تمثّل نموذجًا متقدّمًا لفعل احتجاجي يستخدم الرموز الدينية كأداة للرفض والتحدي.

الرفض الحسيني وتعزيز الروح الثورية العالمية:

إنّ الرفض الحسيني الذي عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء لم يكن مجرّد موقف اعتراضي آني على ظلم بني أمية، بل مثّل انطلاقة فكرية وروحية نحو تأسيس ثقافة المقاومة في وجه الطغيان. وقد تحوّل هذا الرفض، بما يحمله من مضامين العدل والحرية والكرامة، إلى رمز ثوري يتجاوز الزمان والمكان، ليُلهِم الشعوب المستضعفة في كلّ أنحاء العالم.

وقد تجذّر هذا الأثر بوضوح خلال الثمانينيات وما بعدها، في ظلّ تصاعد الحركات التحررية ومواجهة الدكتاتوريات، حيث استُحضِرَت النهضة الحسينية كمصدر إلهامٍ للصمود والثبات وفي القارّة الإفريقية، على وجه الخصوص، كان لروح عاشوراء دورٌ بارزٌ في رفع الوعي بمظلومية الشعوب، ومواجهة أنظمة القمع والاستعمار الجديد، لتصبح كربلاء رمزًا حيًّا لمواجهة الظلم والانتصار للحق في كل زمان ومكان. تشكّل الرمزية العاشورائية في الوعي الشيعي منبعًا دائمًا للحراك الجماهيري، يتجدّد مع كل لحظة قمع.

المحور الخامس
الخاتمة

انتفاضة صفر ١٩٧٧ ليست حدثًا عابرًا في تاريخ العراق، بل تمثل علامة فارقة في صراع الشعب ضد الديكتاتورية. لقد أكّدت هذه الانتفاضة أنّ الشعوب إذا ما تلاحمت مع قيادتها الواعية، فإنها قادرة على مواجهة أعتى الطغاة. وهي اليوم تمثل إرثًا نضاليًا يجب دراسته وتفعيله في الوعي السياسي والديني المعاصر. ومن المهم تحليل هذا الحدث وفق رؤية شاملة تستوعب أسبابه المباشرة وغير المباشرة، وآثاره القريبة والبعيدة، وما تركه من أثر على الوعي الجمعي والانتفاضات اللاحقة.

كانت السلطة الحاكمة في العراق عام ١٩٧٧ هي حزب البعث العربي الاشتراكي، بقيادة الرئيس أحمد حسن البكر، لكن النفوذ الأكبر كان بيد نائبه صدام حسين، الذي كان يمسك فعليًا بزمام الأجهزة الأمنية والمخابرات، ويخطط لتصفية كل معارضة دينية أو فكرية. إذ أنها حدثًا مفصليًا في تاريخ الحركة الدينية والسياسية في العراق المعاصر، قد مثّلت لحظة تقاطع بين الوعي العقائدي الجماهيري، والقمع السلطوي البعثي، والصعود الرمزي للمرجعية الدينية كمركز قيادة أخلاقي وفكري. لقد كشفت الانتفاضة، بما تضمنته من مسيرة زائرين سلمية، وما واجهته من قمع دموي، عن حجم الهوّية بين السلطة والشعب، وفضحت السياسات المنهجية التي استهدفت تغييب الهوية الشيعية وشعائرها. كما بيّنت الدراسة أن موقف المرجعية، المتمثل بخطاب السيد محمد باقر الصدر قدس سره، لعب دورًا محوريًا في ضبط ردود الأفعال، وتثبيت مفهوم "الشعائر كفعل مقاومة سلمي".

وقد كشفت الدراسة أن هذا الشكل من المقاومة اعتمد على الرموز الدينية والشعائر الحسينية بوصفها لغة بديلة للاحتجاج، تعبر عن موقف جمعي يتحدى السلطة ويؤسس لوعي جديد يتجاوز المألوف.

إن الرموز التي تجلّت في شعارات الزيارة الأربعينية، والهتافات الحسينية، وسلوكيات الجماهير أثناء المواكب، ليست مجرد طقوس تقليدية، بل هي أدوات خطابية محمّلة بمضامين سياسية وأخلاقية تستبطن ثقافة الشهادة، والحق، والعدل، ومواجهة الظلم وهذا ما يمنح هذه الانتفاضة طابعًا ثقافيًا عميقًا يتجاوز البعد الحدثي الزمني، ليصبح نموذجًا تتكرر دلالاته في مختلف محطات الرفض في العراق والمنطقة.

ومن خلال تفكيك آليات هذه المقاومة الرمزية، اتضح أن الهوية الثقافية الدينية للشيعة في العراق قد لعبت دورًا محوريًا في بناء وعي جماهيري مقاوم، غير خاضع لخطاب السلطة، بل قائم على مرجعية ثقافية ودينية مستقلة. وقد ساهمت هذه الهوية، برمزيتها العاشورائية، في تحويل فعل الزيارة إلى حراك جماهيري واعٍ، تتقاطع فيه المقدّسات الدينية مع المطالب السياسية والاجتماعية.

كما أظهرت الدراسة أن الدولة البعثية، رغم كل أدواتها القمعية، لم تنجح في تفكيك هذا النسيج الثقافي المقاوم، بل على العكس، أدّى القمع إلى تعزيز الوعي الرمزي للمجتمع، وترسيخ مفردات الخطاب المقاوم، ما أسهم لاحقًا في تراكم الوعي الثوري وتمهيد الطريق أمام تحوّلات أكبر شهدها العراق في العقود التالية.

وتؤكد النتائج أن فهم هذه الانتفاضة لا يكتمل إلا من خلال قراءة المنظومة الرمزية التي أحاطت بها، والتي تشكلت من موروثات ثقافية وتاريخية متراكمة، جعلت من الطقوس الدينية منبرًا للتعبير عن المظلومية ورفض الاستبداد. وبذلك، يمكن القول إن انتفاضة صفر ١٩٧٧ ليست مجرد ردّ فعل على قمع سياسي، بل هي إعادة إنتاج ثقافية للمقاومة، استخدمت أدوات الثقافة والدين والتاريخ لصياغة مشهد احتجاجي فريد. في ضوء ذلك، تخلص الدراسة إلى النتائج الآتية:

نتائج البحث

١. الانتفاضة كتجلٍّ تراكمي للاحتقان السياسي والاجتماعي: لم تكن انتفاضة صفر مجرّد رد فعل ديني على منع ممارسة الشعائر، بل عبّرت عن تراكم طويل من التهميش والإقصاء الذي مارسه النظام البعثي بحق الطائفة الشيعية في العراق، وقد تجسّد ذلك في شعور جماعي بالظلم والحرمان.

٢. المرجعية الدينية كعنصر توازن وتوجيه: لعبت المرجعية الدينية، وعلى رأسها السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، دورًا فاعلًا في ضبط إيقاع الانتفاضة ومنع انزلاقها نحو العنف، مما حافظ على الطابع السلمي لها، وأسّس لنهج المقاومة الناعمة.

٣. تحوّل الشعائر إلى وسيلة احتجاج: برزت قدرة الشعائر الحسينية على التحوّل من طقوس دينية تعبّدية إلى أدوات فعالة للاحتجاج السياسي السلمي، بما يعزز من ثقافة المقاومة ويُعيد إنتاج الهوية الدينية بوصفها وسيلة وعي مجتمعي.

٤. انطلاقة فكرية وسياسية: مثّلت الانتفاضة منطلقًا لحركات شيعية لاحقة، ووضعت الأساس لمسار طويل من المواجهة الفكرية والسياسية بين المرجعية والنظام القمعي.

٥. تضامن الوجدان الشيعي العراقي: كشفت الانتفاضة عن وحدة وجدانية شيعية عميقة، تمثّلت في تضامن مدن الوسط والجنوب رغم تفاوت مستويات المشاركة، ما أظهر قوّة الانتماء الجمعي في مواجهة الطغيان.

٦. القيادة الواعية نموذجًا: قدّم السيد محمد باقر الصدر نموذجًا فريدًا للقيادة التي تمزج بين الفكر والحركة، وبين العمق الديني والبصيرة السياسية، في لحظة شديدة التعقيد.

٧. المواكب كأداة تعبئة شعبية: أدّت المواكب الحسينية دورًا محوريًا في تنظيم الجماهير وتوجيهها، فكانت بمثابة نواة لتشكيل وعي احتجاجي متماسك.

٨. تكامل الحوزة والجمهور: أظهرت الانتفاضة حجم التكامل بين المرجعية والجماهير، بما عزّز من قدرة الحوزة على التأثير في القرار الجماعي وخلق حالة ضغط على السلطة.

٩. القمع كمحفز للثبات العقائدي: أبانت التجربة أن القمع لا يميت العقيدة بل يُعمّقها، فكلما اشتدّت الملاحقات الأمنية، ازداد تمسّك الجماهير بشعائرها وهويتها الدينية.

١٠. المقاومة الثقافية كقوة فاعلة: أثبتت انتفاضة صفر أن الثقافة، والموروث الرمزي، والشعائر، يمكن أن تكون أدوات مقاومة فعالة، تعبّر عن التحدي السياسي والاجتماعي برمزية عميقة، كما تجلّى ذلك في تحدي الحشود لقرارات المنع خلال زيارة الأربعين.

١١. المرجعية بوصفها فاعلًا ثقافيًا: تجاوزت المرجعية في هذه المرحلة الدور الفقهي التقليدي، لتصبح فاعلًا ثقافيًا يمتلك سلطة معنوية كبرى في توجيه الرأي العام، وصياغة الوعي الجمعي.

١٢. الشعائر كذاكرة احتجاجية متجددة: تحوّلت زيارة الأربعين إلى منصة احتجاج سنوية، تساهم في استحضار الماضي واستنهاض الحاضر، بما يجعلها ذاكرة حيّة تقاوم النسيان وتؤكد الهوية.

١٣. نموذج احتجاجي متكرّر: أصبحت انتفاضة صفر نموذجًا مرجعيًا يُحتذى في احتجاجات لاحقة، مثل الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١، والاحتجاجات التي أعقبت ٢٠٠٣، بما في ذلك مشاهد التعبير السياسي خلال زيارة الأربعين.

١٤. الرؤية المستقبلية للمقاومة الثقافية: تؤكد هذه التجربة على الحاجة إلى تطوير فهم شامل للمقاومة الثقافية اليوم، في ظل تحديات الغزو الثقافي والعولمة الإعلامية وتسييس الهوية.

التوصيات

استنادًا إلى نتائج البحث، يوصي الباحث بما يلي:

١. توثيق تاريخ الانتفاضات الدينية: من الضروري كتابة وتأريخ انتفاضات الشيعة في العراق، وخاصة انتفاضة صفر، بمنهج علمي موضوعي، بعيدًا عن التسيس أو الإهمال.

٢. تشجيع الدراسات الأكاديمية: ينبغي حثّ الباحثين على دراسة العلاقة بين الشعائر الدينية والحركات الاجتماعية، لفهم آليات تشكّل الوعي الجماهيري في البيئات الدينية.

٣. إدراج الانتفاضة في المناهج التعليمية: يُقترح تضمين أحداث انتفاضة صفر ضمن مقررات التاريخ العراقي الحديث، نظرًا لأهميتها في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي.

٤. جمع الشهادات الشفوية: يُوصى بإنشاء مشاريع لتوثيق شهادات المشاركين وأُسر الشهداء، لحفظ البعد الإنساني والتجريبي للانتفاضة.

٥. تحليل خطابات المرجعية: ضرورة دراسة خطابات المرجعيات بوصفها فواعل ثقافية وسياسية، لها دورٌ في تأطير الحركات الاحتجاجية وتوجيهها.

المقترحات البحثية المستقبلية

١. دراسة مقارنة بين انتفاضتَي ١٩٧٧ و١٩٩١: من حيث التنظيم والقيادة والسياقات الاجتماعية والسياسية، لرصد التحولات في نمط الاحتجاج الشيعي.

٢. تحليل دور الإعلام في صناعة الرواية: دراسة تأثير الإعلام الرسمي والمعارض في تغطية الانتفاضة، وكيف ساهم في تشكيل الوعي أو تحريف الوقائع.

٣. تأثير الانتفاضة في المهجر: بحث أثر الانتفاضة على الحركات الشيعية في الشتات، ومدى تفاعلها السياسي والثقافي مع الحدث.

٤. تحقيق في خطابات السيد الصدر: دراسة تفصيلية في خطب ومحاضرات السيد محمد باقر الصدر خلال تلك المرحلة، وربطها بنظريته السياسية الإسلامية.

٥. توثيق رموز الانتفاضة المنسيين: إعداد قاعدة بيانات عن الشخصيات المغيّبة أو غير المعروفة من رموز الانتفاضة، وتوثيق دورهم.

٦. تحليل المرجعية كفاعل رمزي: دراسة المرجعية بوصفها مؤسسة رمزية ثقافية، تتجاوز الإطار الفقهي التقليدي إلى مجال القيادة الفكرية والاحتجاجية.

٧. مقارنة أدوات المقاومة الثقافية: تحليل أدوات المقاومة الرمزية في انتفاضة صفر، ومقارنتها بوسائل الاحتجاج في العصر الرقمي بعد ٢٠٠٣.

المراجع

١. الأسدي، م. ك. (٢٠٢٢). الشعائر الدينية كوسيلة احتجاج ناعم: دراسة تحليلية لمسيرة الأربعين. مجلة فكر معاصر، (٧).

٢. البطاط، ج. (٢٠٠٦). السيد محمد باقر الصدر: سيرة ثائرة. بيروت: دار الهدى.

٣. الجزائري، ع. الزهراء. (٢٠٠٣). كربلاء الثورة الخالدة. النجف: منشورات العتبة الحسينية.

٤. الحسني، ك. ع. الح. (٢٠٠٧). المرجعية الدينية في العراق: الموقف من السلطة ١٩٥٨-٢٠٠٥. بيروت: دار الهادي.

٥. الحيدري، ع. (٢٠١٠). الانتفاضات الشيعية في العراق: دراسة تاريخية. بغداد: دار الجاحظ.

٦. الحكيم، م. ب. (١٩٩٨). منهج التغيير في فكر الإمام الحسين عليه السلام. بيروت: مؤسسة دار الإسلام.

٧. الخاقاني، ع. ع. ع. (٢٠١٨). الهوية الدينية والصراع السياسي في العراق المعاصر. النجف: مركز الدراسات والبحوث الإنسانية.

٨. خزعل، ع. ع. أ. (٢٠٠٨). الذاكرة الشيعية: من عاشوراء إلى الانتفاضات. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٩. الزيدي، ع. أ. (٢٠٠٧). الحوزة العلمية ودورها السياسي في العراق الحديث. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

١٠. السدر، م. ب. (١٩٧٧). بيان إلى الأمة الإسلامية بشأن أحداث الأربعين. النجف الأشرف: أرشيف الحوزة.

١١. الشوكي، س. (٢٠١٥). موسوعة عاشوراء في الوجدان الشيعي العراقي. كربلاء.
١٢. الصدْر، م. ب. (٢٠٠٠). الإسلام يقود الحياة. بيروت: دار التعارف.
١٣. الطالقاني، ن. م. (١٩٩٨). الانتفاضات الشيعية في العراق. بيروت: دار الهادي.
١٤. علي، ج. ن. (٢٠١١). التشيع والدولة العراقية الحديثة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
١٥. علوان، م. ك. (٢٠١٩). المقاومة الناعمة: مقاربة اجتماعية دينية. بغداد: دار الكتاب العراقي.
١٦. العلوي، ق. م. (٢٠٢١). رمزية كربلاء بين الطقس والثورة: إعادة قراءة شعائر عاشوراء. مجلة تراثيات معاصرة، (٤).
١٧. العبيدي، ح. ج. (٢٠٠٤). صراع الهوية والدولة في العراق. دمشق: دار المنطلق.
١٨. العبيدي، ح. (٢٠١٢). وقائع الانتفاضات الشيعية المعاصرة. النجف: دار الرضوان.
١٩. الفيض، ح. م. (٢٠١٠). السيد محمد باقر الصدر: السيرة والفكر. قم: مؤسسة الأعلمي.
٢٠. الغزي، ع. ع. (٢٠١١). صفر ١٩٧٧: قراءة في مسيرة ودماء. كربلاء: منشورات العتبة العباسية.
٢١. الربيعي، ع. ع. الح. (٢٠١١). الانتفاضات الشيعية في العراق المعاصر. بغداد: مركز دراسات الجنوب.
٢٢. الذاكرة العراقية. (٢٠١٠). أحداث العراق المعاصر من خلال الوثائق السرية. بيروت: دار الساقي.

٢٣. الهاشمي، ع. ص. (٢٠١٤). تاريخ العراق الحديث والمعاصر. بغداد: المركز الأكاديمي.

٢٤. الهاشمي، س. (٢٠٠٩). السلطة والمجتمع في العراق البعثي. بغداد: المركز العراقي للدراسات السياسية.

٢٥. الهاشمي، ع. ك. (٢٠٢٠). زيارة الأربعين في زمن القمع: المقاومة الرمزية في انتفاضة ١٩٧٧. مجلة دراسات إسلامية معاصرة، ١٨(٢).

٢٦. الهاشمي، م. ع. الز. (٢٠١٢). الحركة الإسلامية في العراق: جدلية الدين والسياسة. النجف الأشرف: دار المؤرخ العربي.

٢٧. رحيم، ك. ع. الك. (٢٠١٣). دور الشعائر الدينية في تشكيل الوعي السياسي عند الشيعة في العراق. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة كربلاء، ١١(٢).

٢٨. فاضل، ح. ع. (٢٠١٦). العراق بين الطائفية والمقاومة الثقافية: دراسات في التحولات الاجتماعية. بغداد: مركز النهرين للدراسات الإستراتيجية.

٢٩. الكبيسي، م. ع. (٢٠١٧). ثقافة الشعائر بين الدين والسياسة. كربلاء: منشورات المعهد الحسيني.

٣٠. مجيد، ر. (٢٠٠٨). الوعي الديني والمجتمع الشيعي في العراق. بغداد.

٣١. موسوي، ح. ع. الح. (٢٠١٥). المرجعية والتحول الاجتماعي في العراق المعاصر. بيروت: دار الفرات للنشر.

٣٢. نعمة، س. ع. الم. (٢٠٢٠). الحركات الإسلامية في العراق: من التأسيس إلى المواجهة. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

33. Scott, J. C. (1990). Domination and the Arts of Resistance: Hidden Transcripts. Yale University Press.

أدبنة التاريخ: انتفاضة صفر ١٩٧٧ في روايةٍ (العروج الدامي) لعبدالله الميالي أنموذجاً

الناقد: حميد الحريزي
hamd.hur@gmail.com

الملخص

شكّلت انتفاضة زيارة الأربعين لعام ١٩٧٧ والتي تُسمّى بانتفاضة صفر، منعطفاً مهماً في تاريخ المواجهة بين أتباع أهل البيت ﷺ ممن يمارسون شعائرهم بالتزام منقطع النظير منذ مئات السنين، وبين الأنظمة الحاكمة المستبدّة ومنها نظام البعث الذي عُرف باستبداده ومحاربته لتلك الشعائر.

هذه الانتفاضة الصفرية المتمثلة بإصرار الزائرين على مواصلة المسيرة الراجلة من النجف إلى كربلاء رغم قرار المنع، كشفت للرأي العام المحلي والإقليمي، إن إرادة الشعب لا ترضخ لقرارات النظام المستبد الذي ارتبك في قراراته، فانتهك الحرمات وتصدّى بقوة السلاح والرجال لوقف زحف هذه المسيرة السلمية.

وقد كُتب عن هذه الانتفاضة مؤلفات ودراسات وبحوث مختلفة من قبل الباحثين والمؤرخين والأكاديميين، كما تناولها بعشرات المقالات مجموعة من الكُتّاب في الصحف والمجلات المختلفة، وخصوصاً بعد سقوط نظام البعث في عام ٢٠٠٣.

أما في الجانب الأدبي، فإن الانتفاضة لم تحظ بذلك الاهتمام الذي يتناسب مع أهميتها، فلم نرصد إلا بعض قصائد متفرقة هنا وهناك، بيد أن أهم ما رصدناه هو رواية أدبية مهمة أرشفت للانتفاضة بشكل أدبي ممتع ورصين، وهي رواية (العروج الدامي) للقاص عبد الله الميّالي من مدينة النجف الأشرف، وهي الرواية الفائزة في مهرجان السفير الثقافي العاشر لعام ٢٠٢١، وهو المهرجان الذي تقيمه سنوياً أمانة مسجد الكوفة المعظم.

ويمكن لنا كأدباء لدينا اشتغالاتنا الأدبية والنقدية أن نعدّ هذه الرواية ضمن أدب المقاومة، وإن كانت المسيرة الراجلة من النجف إلى كربلاء مسيرة سلمية بكل المعاني، ولكن المقاومة تمثلت بذلك الإصرار الكبير والحماس منقطع النظير على مواجهة النظام المستبد رغم جبروته وبطشه وقواته المسلحة.

Literarization of History: The Safar 1977 Uprising in the Novel The Bloody Ascension by Abdullah Al-Miyali as a Model

Hamid Al-Huraizi

Abstract

The Arbaeen uprising of 1977, known as the Safar uprising, was an important turning point in the history of the confrontation between the followers of the Ahl al-Bayt, peace be upon them, who have been practicing their rituals with unparalleled commitment for hundreds of years, and the tyrannical ruling regimes, including the Baath regime, which was known for its tyranny and its fight against those rituals.

This uprising, represented by the insistence of the visitors to continue the march on foot from Najaf to Karbala despite the ban decision, revealed to local and regional public opinion that the will of the people does not submit to the decisions of the tyrannical regime, which was confused in its decisions, violated the sanctities, and confronted with the force of arms and men to stop the advance of this peaceful march.

Various books, studies and research have been written about this uprising by researchers, historians and academics, and it has also been covered in dozens of articles by a number of other writers in various newspapers and magazines, especially after the fall of the Baathist regime in 2003.

On the literary side, the uprising did not receive the attention that is commensurate with its importance. We only observed some scattered poems here and there. However, the most important thing we observed was an important literary novel that archived the uprising in an enjoyable and solid literary form, which is the novel (The Bloody Ascension) by the short story writer Abdullah Al-Mayali from the holy city of Najaf. It is the winning novel in the tenth Al-Saffir Cultural Festival for the year 2021, which is the festival held annually by the Secretariat of the Great Mosque of Kufa.

This novel, as writers with our literary and critical interests, can be considered part of the literature of resistance, even though the march on foot from Najaf to Karbala was a peaceful march in every sense. However, the resistance was represented by that great determination and unparalleled enthusiasm to confront the tyrannical regime despite its tyranny, brutality, and armed forces.

المقدمة

مظاهر عزاء الإمام الحسين ﷺ لها جذور عميقة في التاريخ الإسلامي الشيعي، إذ يولّي المسلمون الشيعة ذكرى مقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله اهتماماً بالغاً، فيقيمون بهذه المناسبة مراسيم العزاء طوال شهري محرم وصفر من كل سنة، والتي تتضمن مجالس الوعظ والإرشاد والتذكير بواقعة كربلاء ومواساة أهل البيت ﷺ. (المؤمن، ٢٠٢٠)

وقد مثلت تلك المناسبات الدينية مصدر الهام الجماهير المسلمة تستمد منها الروح الثورية الرافضة للظلم والاستبداد.

وهناك صور متعددة لإبراز مظاهر العزاء العاشورائية، لم تعد خافية للرأي العام، ومن أهم هذه الصور، المسيرة الراجلة إلى كربلاء بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين ﷺ، والتي تُسمى بـ(زيارة الأربعين). حيث أصبح لهذه المناسبة في العقود الأخيرة صدى إعلامي وجماهيري كبير، ودأبت الجماهير العاشقة للإمام الحسين بإحياء هذه المناسبة حتى في ظل الأنظمة الدكتاتورية والمستبدّة. وعندما أعلن نظام البعث في عام ١٩٧٧ منع تلك المسيرة في عموم العراق، تحدّى أبناء مدينة النجف ذلك الأمر، وأصرّوا على انطلاق المسيرة من مدينتهم إلى كربلاء.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ، آذار - ٢٠٢٦ م

فكان ما كان من أحداثٍ تم تفصيلها من قبل المؤرخين والباحثين المهتمين بهذا الجانب في مؤلفاتهم وبحوثهم ومقالاتهم.

وفي رواية (العروج الدامي) نجد الروائي عبد الله الميالي قد سعى إلى استدعاء الحدث التاريخي المتمثل بانتفاضة صفر ١٩٧٧ ليجعل منه عملاً أدبياً مستعيناً بخياله الأدبي المشحون برؤى فكرية متنوعة، إذ زاوج التاريخ بالأدب في عملية تلاقح أدبي تاريخي، لكي يمنح النص طابعه الفني والجمالي. فالأديب (ليس مؤرخاً يتقيّد بالحوادث التاريخية كما هي، بل هو فنان ماهر يملك أدوات تمكنه من أن يضيف أو يختصر ما يتفق بهدفه) (حمادي، ١٩٨٠).

ثنائية الرواية والتاريخ

تبدو العلاقة بين الرواية والتاريخ وطيدة ومتينة العُرى، إذ تحاول الرواية المشتغلة على التاريخ أن تُحقّق جانباً من الانتقال من التاريخ النفعي المستثمر كنشاط تعليمي إلى التاريخ التخييلي، فما يشغل الروائي ليس البحث عن الموضوع التاريخي، بل فهم الدلالات التي هي بمثابة خيوط تثير فيه الرغبة في فهم الجانب الآخر من التاريخ الإنساني بحثاً عن مشروع حضاري تكون فيه الرواية تاريخاً ممكناً. (منصوري، ٢٠١٧)

العودة إلى التاريخ في الرواية لا تكون من أجل تثمينه واتخاذه لحظة يخلد إليها الكاتب الضمني كبديل للحاضر والراهن، ولكنه في الوقت نفسه خطوة إلى الوراء تعيد النظر في الذات الآخر ، كما تكون لحظة تقترح الفعل ووسائل تتجاوز النشاز التي تعيشه الذات في علاقاتها بالعالم. والتاريخ بتوظيفه في الرواية أصبح أكثر حيوية وحركية، حيث استثمرت مكنوناته الثمينة التي يتمتع بها بتحويل معانيه الأزلية

وخصائصه الأثرية إلى معطيات جمالية ودلالية، تبرز بشكل جديد في النص الروائي بحسب قدرات الروائي في المجال التناصي، وبذلك لم يعد التاريخ مجرد قطع أثرية شامخة تحتفظ في ذاتها بجمالها ومدلولاتها الخالدة.. والروائي لا يتحاور مع التاريخ في بعده التوثيقي، وإنما يتصوّر عالماً روائياً يعج بالحياة ليس التاريخ إلا خلفية له، ومجالاً يهبّ هذا العالم إحداثياته. (منصوري، ٢٠١٧) نفس المصدر، ص٥٠.

ينتقي الروائي مرحلة من التاريخ حافلة بالأحداث والشخصيات والأزمنة والامكنة، تتوافق مع رؤيته، فيعيد تشكيل واقع سردي متخيل، يحمل دلالات جديدة. تُنجز على أنقاض واقعيته، حيث تتداخل الشخصيات التاريخية المنتقاة من الماضي مع شخصيات متخيلة حديثة الولادة في بيئة زمكانية، هي الأخرى إما متخيلة أو من الواقع، تكون مسرحاً لأحداث تجمع بين الواقع المعيش أو المتخيّل، دون أن يظهر أيّ شرخ بين مكونات وعناصر هذا النمط السردي الهجين، الذي يتجاذبه هاجسان: الأمانة التاريخية، ومستلزمات الفن الروائي. (برقاد & عبدلي، ٢٠٢٠).

والروائي وهو يستدعي التاريخ في روايته، فإنما يكون وجه وشكل آخر للمؤرخ ولكن بطريقته الفنية، فهو «مؤرخ من نوع فريد لأنه يصون جوهر مسافة زمنية معينة من العدم، من التلاشي في هذا الفراغ الكوني الرهيب المسمّى بالزمن» (أقلمون، ٢٠١٠).

والرواية التي تستلهم التاريخ إنما هي تفاعل بين الروح التاريخية والأنواع الأدبية، فما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماماً في الواقع التاريخي. (الشمالي، ٢٠٠٦).

بقيت مأساة كربلاء الدامية حيّة في الذاكرة، وفي القلوب وفي الوجدان، وانعكست في الاحتفالات السنوية بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، التي استمدت من تضحيته ينبوعاً خصباً وثراءً لا ينضب من المعاني والدروس، وأصبحت مثلاً أعلى في النضال والتحدّي والكرامة، والفداء في سبيل الحق والعدالة والحرية. (الحيدري، ١٩٩٩)

ومما لا شك فيه أن مأساة كربلاء الدامية قد أنتجت عبر الأجيال ما يُعبر عنه بظاهرة العزاء الحُسيني، الذي يتخذ صوراً متعددة تهدف بمجملها إلى مواساة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وظاهرة العزاء الحسيني ليست وليدة الحاضر الراهن وليست نتاج لحظات آنية وعابرة ومنعزلة عن الظروف والشروط الاجتماعية التي أنتجتها، وإنما هي وليدة إرهاصات تراكمت عبر واقع موضوعي امتد عميقاً في التاريخ العربي والإسلامي وتجذّرت في الذاكرة الشعبية وتداخلت فيه عوامل المكان والزمان بحيث كوّنت وعياً جمعياً تكوينياً امتد إلى عمق الحاضر المعيشي لتظهر على شكل شعائر ومراسم عبّرت وما زالت تعبّر عن عمق وعراقة مأساة كربلاء في ذاكرة المسلمين.. وتحوّلت ظاهرة العزاء الحسيني كرؤية دينية أساساً إلى شكل من أشكال الرفض والاحتجاج ضد الرؤية الأيديولوجية الرسمية، والتي تحوّلت في كثير من الأحيان إلى ضرب من ضروب المقاومة الملجومة. (الحيدري، ١٩٩٩) - نفس المصدر، ص١١

استدعت الروايات العربية سواء الواقعية أو الاجتماعية أو السياسية أو التاريخية، القضية الحُسينية بشكل عام ومراسم عاشوراء بشكل خاص، باعتبارها ظاهرة تشكل جزءاً من النسق الثقافي للمجتمع العراقي (الشيعي تحديداً)، فلا يمكن إغفالها أو تجاوزها في السرديات الاجتماعية أو الواقعية سواء كان السارد معا أو ضدها. ومن هذه الروايات على سبيل المثال لا الحصر:

١. رواية (صيّادون في شارع ضيق) للروائي الفلسطيني المولد العراقي الجنسية جبرا إبراهيم جبرا (١٩٢٠ – ١٩٩٤) صدرت في عام ١٩٦٠ باللغة الإنجليزية، وفي عام ١٩٦٧ تُرجمت إلى اللغة العربية من قبل د. محمد عصفور.

٢. رواية (عراقيون أجناب) للروائي العراقي فيصل عبد الحسن، صدرت في المغرب في عام ١٩٩٩.

٣. رواية (مغنّي الأزهار البرية) للروائي العراقي مهدي النجار (١٩٤٥ – ٢٠١٠) الصادرة عن مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، بغداد – ٢٠٠٩.

٤. رواية (أوراق من ذاكرة بانيقيا) للروائي العراقي عبد الهادي الفرطوسي، الصادرة عن دار العارف للمطبوعات، بيروت/ النجف – ٢٠١٢.

٥. رواية (سيد بغداد.. قصة جيمي الجندي الأمريكي الذي اكتشف سر عاشوراء) للروائي اللبناني د. محمد الطعان، تعريب صلاح سالم، صدرت عن دار المحجة البيضاء، بيروت – ٢٠١٢.

بيد أن أهم ما رصدناه في هذا الجانب الأدبي هو رواية أدبية ممتعة ومهمة أرشفت لمسيرة زيارة الأربعين لعام ١٩٧٧ باعتبارها إحدى أهم أشكال ظاهرة العزاء الحُسيني في العصر الحديث. وهي رواية (العروج الدامي) للقاص عبدالله الميّالي من مدينة النجف الأشرف، وهي الرواية الفائزة في مهرجان السفير الثقافي العاشر لعام ٢٠٢١ ، وهو المهرجان الذي تقيمه سنوياً أمانة مسجد الكوفة المعظم. وهذه الرواية يمكن لنا كأدباء لدينا اشتغالاتنا الأدبية والنقدية أن نعدّها ضمن أدب المقاومة، وإن كانت المسيرة الراجلة من النجف إلى كربلاء مسيرة سلمية بكل المعاني، ولكن المقاومة تمثلت بذلك الإصرار الكبير والحماس منقطع النظير على مواجهة النظام المستبد رغم جبروته وبطشه وقواته المسلحة.

عنوان الرواية:

العنوان هو مفتاح الكتاب، وهو حلقة التعارف الأولى ولحظة التجسير الأساسية بين القارئ والنص من جهة، وبين ما هو مجهول (أو ما هو في طور التشكّل) يتعرف عليه القارئ بالتدريج، ليصبح بعد ذلك المجهول معلوماً من جهة ثانية. وهو بذلك يمثل عتبة ممهدة لولوج عوالم النص. وفي مجال الخطاب الروائي يؤسس العنوان موقعه الخاص والمتميّز، انطلاقاً من بنيته التركيبية والسيميائية، كما يعلن عن وجوده بصفته نصّاً مصغّراً، ومكوّناً متميّزاً. (أشهبون، ٢٠١١)

وعنوان رواية (العروج الدامي) يعطي دلالة قدسية لأرواح الشهداء الذين ضحّوا بأرواحهم من أجل إحياء ذكرى واقعة الطف، وفاءً لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه من أجل الحق والعدل والمحافظة على جوهر دين جده محمد صلى الله عليه وآله، ومقاومة الفساد والتنكر للمبادئ من قبل آل أمية بزعامة معاوية وابنه يزيد الذي نصّب نفسه خليفة للمسلمين بالوراثة بقوة السيف والمكر، وإفساد النفوس بالمال والمناصب والمكاسب.

يشبّه الروائي أرواح الشهداء الصاعدة إلى السماء، بحدث عروج النبي محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى ضمن حدث الأسراء والمعراج، انه التسامي الروحي للشهداء الذين سقطوا في طريق النجف كربلاء، وأرواح الشهداء الذين أعدمهم نظام البعث بعد قمعه للمسيرة الجماهيرية الإيمانية الراجلة لأحياء ذكرى أربعينية استشهاد الأمام الحسين في صفر من عام ١٩٧٧.

(العروج الدامي) رواية تاريخية:

العمل الأدبي هو نتاج فكري مرتبط بعلاقات متداخلة مع الأحداث والمواقف الاجتماعية والتاريخية والسياسية والدينية والثقافية، وهو غالباً ما يأتي كاستجابة لسياقات يفرضها الواقع.

يفتتح الطيب بو عزة كتابه (ماهية الراوية) بالقول: «إذا كان ثمة جنسٌ أدبي يبدأ في تكوين وعينا وتشكيل أسلوب إدراكنا لذواتنا وللوجود، منذ طفولتنا وبدء تفتّح قدرتنا الذهنيّة، فلا شك أنه الراوية، إذ منذ الصغر يسكننا ذلك العشق الغريب لفعل السرد، فنُلحّ على من يحيط بنا لكي يحكي ويسرد ويقُصّ» (بو عزّة، ٢٠١٦)

ولذلك نجد هذا التعالق الصميمي بين الرواية والحياة، ليس في حيوية شكلها وأساليب انتظامها فحسب، وإنما في ارتباطها المتصل بكينونة الإنسان.

الحدث التاريخي يكتبه المؤرخ المختص بأخبار الزمان والمكان في عصر معيّن، هذا المؤرخ قلما يكون محايداً في كتابة التاريخ حيث يغلب أن يُكتب التاريخ من قبل السلطات الحاكمة وحواشيها وذكر الأحداث وبواعثها ونتائجها بما ينسجم مع رأي السلطة الحاكمة، فالمؤمن يُسمّى زنديق، والثائر يُسمّى خارج عن الدين،

وهذا ما وصُفت به الكثير من ثورات وانتفاضات العلويين في التاريخ الإسلامي باعتبارهم من الخوارج أو الخارجين عن الدين وعن حكم خليفة المسلمين، وقد حاول يزيد بن معاوية توصيف الإمام الحسين عليه السلام وحركته الإصلاحية بذلك، لولا أن عرّته وكشفته وفضحته السيدة زينب عليها السلام، عندما كشفت للناس حقيقة القضية، وأنّ يزيد قتل ابن بنت رسول الله لأنه جاء لإصلاح دين جده محمد صلى الله عليه وآله من خلال الدعوة للعدالة والصلاح وإعطاء الحقوق للناس ونبذ مظاهر الفساد والإنحراف .

كذلك هناك مؤرخ وإن بدا محايداً ولكنه غالباً ما يهمل الفاعل المستتر في صنع الحدث والتركيز فقط على البطل الرئيس وكأنه هو صانع الحدث أو مفجّر الثورة والمضحّي الوحيد من أجلها. وإسدال ستار النسيان على الشخصيات الثانوية من صنّاع التاريخ فيظلمهم المؤرخ وينسى دورهم.

إنّ الأديب عندما يؤدبن التاريخ، ويحوّل الحدث التاريخي من سجل التاريخ إلى سجل الأدب، إنما يعمل على البحث والتنقيب عن أسبابه الحقيقية خلاف ما يكتبه المؤرخ الذي يظهر الحدث وكأنه عبارة عن نزاع وخلاف فردي بين شخصين: شخص الحاكم وشخص الثائر، وليس الثورة أو الانتفاضة او المواجهة أو التحدي، إنما هو هي نتيجة تراكم ظلم وعسف وقهر الحاكم أو النظام المستبد للرعيّة، فيتحول هذا التراكم للسخط من كم إلى كيف، يكون للبطل دوراً مميزاً في التخطيط وهندسة الثورة، ويبادر إليه ويشعل فتيله ممثلاً لإرادة الجماهير الغاضبة المظلومة الثائرة والطامحة بالتغيير من أجل حياة أفضل.

وهذا ما يستدعي من الأديب أن يخلق شخصيات فاعلة في الحدث أهملها المؤرخ، فيرفع عنها غطاء التهميش والإقصاء من قبل المؤرخ، وإن كانت هذه الشخصيات وهمية من حيث السرد الروائي ومن تخليق وتصنيع الروائي ولكن جذورها راسخة في واقع الحدث ومجرياته، ولولا وجودها وتفاعلها الإيجابي لِخلق الحدث ولإشعال فتيل الثورة لا يمكن أن يكون حضوراً.

وإذا كانت الرواية التي تستدعي الحدث التاريخي، تهدف إلى خلق صورة جديدة للنص مؤطر ة بلمسات الكاتب الإبداعية وانفتاحه على عالَم الخيال الواسع، للوصول إلى تلك الصورة الفنية والجمالية المطلوبة، فإننا نلمس ذلك جليّاً في في رواية (العروج الدامي) للروائي عبد الله الميالي، حيث رافق الشخصيات الواقعية بأسمائها وعناوينها الحقيقية، وأسماء أخرى خلقها وابتدعها مصنعاً إياها من خامات الواقع القائم آنذاك وكان لها باعاً طويلاً في الحدث وتطوراته.

فبالإضافة إلى الشخصيات الفاعلة المهمة التي خلقها الروائي من مواد وحيثيات الواقع ومتطلبات الحدث مثل (سيد مرتضى الهاشمي، وصبري الخطاط، وغيرهما) ، استحضر أيضاً الشخصيات الحقيقية المتمثلة في (عبد الأمير الميالي، سيد وهاب الطالقاني، صاحب أبو گلل، عباس عجينة، جاسم الأيرواني، الحاج صالح دبس، المعلم رحيم الخفاجي، سيد موسى العميدي، وشخصيات أخرى) .

إنّ أدبنة التاريخ تعطي للروائي ميزة توصيف وتأثيث شخصيات الحدث من حيث الشكل والعلامات الفارقة، فيظهر أمام القارئ صورة مجسّمة من كافة النواحي ولا يسقط اسماً مجرداً من صفاته وعلاماته الفارقة كما يذكره المؤرخ.

وبعد أن يكتب الروائي روايته بعد فترة من السنين، أو بعد زمن قد يطول وقد يقصر حسب الحدث والظروف المحيطة بالكاتب، ستكون أمامه الكثير من التفاصيل والبيانات والشهادات التي لا يمكن الحصول عليها وقت الحدث، وحتى بعده بسنوات، وعلى وجه الخصوص الكتابة عن الثورات والإنتفاضات ضد الأنظمة القمعية، فمثل إنتفاضة صفر في عام ١٩٧٧ ، لم يتمكن الروائي الكتابة حولها إلا بعد سقوط النظام الديكتاتوري بسنوات، وهنا سيختلف الروائي أو الأديب عن المؤرخ في رواية الأحداث والكشف عن الاشخاص الحقيقين المساهمين في الإنتفاضة، ومن خلال مجرياتها التي كشفت له زمن كتابتها تمكنه من تخليق الشخصيات الفاعلة المسكوت عنها أو المستترة المساهمة في الإنتفاضة، ومن ضمنها الشخصيات العسكرية، والأمنية سواء بمستوى قيادات أو مراتب كانت متعاطفة ومتعاونة مع الثوارفي حينها . فالسرد الروائي الذي يتكئ على حوادث تاريخية، إنما هو على رأي أحد النقاد: «محاولة لملء وترميم تلكم الثغرات والفجوات المنسية، وإضاءة المناطق المُعتمة بواسطة الفن» (رحيم، ٢٠٠٨)

هناك الكثير من الروايات على مستوى الوطن العربي والعالم قد وثقت للانتفاضات والثورات الشعبية، وكان لها دوراً كبيراً في توضيح مجرياتها، وأهدافها مما ساعد كثيراً في تخليدها ووصول رسالتها إلى الأجيال وتخليدها في ذاكرتهم ما بعد الحدث وربما لقرون، وهي روايات تاريخية برز في كتابتها أسماء لامعة في الوسط الأدبي العربي ومنهم: (جرجي زيدان) في روايته (غادة كربلاء) وغيرها من روايات تاريخ الإسلام، وواسيني الأعرج في روايته (الأمير)، وعبد الرحمن منيف في (ثلاثية مدن الملح)، وعبد الوهاب عيساوي في روايته (الديوان الإسبرطي)، وأيمن العتوم في روايته (وأنا يوسف) وروايات تاريخية لرضوى عاشور، ونجيب محفوظ، ونجيب الكيلاني، وجمال الغيطاني، وكمال السيد، وحميد الحريزي، وغيرهم.

وفي رواية (العروج الدامي) نجد الروائي يربط الحدث بالمكان والزمان، وما يعكسه المكان والزمان على الحدث في خصوصية تكسبه واقعية حية يعيشها القارئ أثناء القراءة فتكتمل لديه الصورة وكأنه يعيش الحدث بكل تفاصيله، فالزمان (نهار، ليل، فجر، مساء، غسق، الخ) ، والمكان (ساحة، مسجد، شارع، زقاق، سوق، مقهى، بيت، مقبرة، صحراء، بستان، ضريح، الخ) ، والمناخ (صيف، شتاء، ربيع، خريف، حار، بارد، معتدل، ممطر، صحو، غائم، عاصف، هادئ، الخ) فيبدو السرد وكأنه عرض سينمائي للحدث ومجرياته وظروفه من كافة الجوانب الشخصية والمناخية والمكانية والزمانية .

يبدأ الفصل الأول: في عام ١٩٦٢م

الفصل الثاني: في تموز عام ١٩٧٣م

الفصل الثالث: في كانون الأول عام ١٩٧٦م

الفصل الرابع: في كانون الأول لعام ١٩٧٦م

الفصل الخامس: في كانون الأول ١٩٧٦م / ذو الحجة ١٣٩٧هـ

الفصل السادس: في كانون الأول لعام ١٩٧٦م / محرم ١٣٩٧هـ

الفصل السابع: في شباط ١٩٧٧ / صفر ١٣٩٧هـ

الفصل الثامن: في شباط ١٩٧٧ / صفر ١٣٩٧هـ

الفصل التاسع: في شباط ١٩٧٧ / صفر ١٣٩٧هـ

الفصل العاشر: في شباط ١٩٧٧ / صفر - ربيع الأول ١٣٩٧هـ النهاية، حيث استشهد نتيجة أحداث الانتفاضة عشرة أفراد، أحدهم أثناء المسيرة (عبد الأمير الميالي) والبقية عن طريق الإعدام شنقاً بقرار من المحكمة: (١- وهاب الطالقاني، ٢- صاحب رحيم ابوكلل، ٣- جاسم صادق الإيرواني، ٤- عباس هادي عجينة، ٥- محمد سعيد البلاغي، ٦- يوسف ستار الاسدي، ٧- ناجح محمد كريم، ٨- كامل ناجي مالو، ٩- غازي جودي خوير.)

في رواية (العروج الدامي) أجاد وبرع الروائي في ثنايا السرد الروائي مولياً ما ذكرناه آنفاً اهتماماً كبيراً فأكسب الحدث واقعية جلية وعرض أمام القارئ جزئيات مسار الأحداث من حيث الهيأة للفرد، والمكان والزمان، وحالة الطقس والبيئة المحيطة بالأحداث، فطاف بنا الروائي عبر السرد المجسّم في أبعاده كافة في: (ضريح الإمام علي عليه السلام، شارع الرسول، شارع الصادق، شارع زين العابدين، شارع الطوسي، ساحة الميدان، السوق الكبير ، محلات الحويش والبراق والمشراق والعمارة، حُسينية كاشف الغطاء، مسجد الكوفة، خرائب قصر الإمارة، شط الكوفة، بحر النجف، المشخاب، غماس، الحيدرية،الحمزة الشرقي، مرقد السيد أحمد الغريفي، وخانات استراحة الزائرين في طريق نجف كربلاء، وأماكن غيرها) شكلت الفضاء الروائي للنص. واستضاف القارئ مع شخصياته في العديد من المقاهي الشهيرة في النجف الأشرف كمقهى (اللنكراني) ومقهى (عيدان) ، كما لم يغفل الكاتب أن يدلنا على أبرز المكتبات وأشهر الكتبيين (المكتبة الحيدرية) لصاحبها محمد كاظم الكتبي في الحويش، ومدى اهتمام الفرد النجفي بالكتاب ومتابعة قراءة الكتب الأدبية والتاريخية والثقافية والجرائد والمجلات.

وهنا يجب التنويه أنّ الروائي لا يمكن أن يكون محايداً وبدون موقف من الأحداث، ولكنه لا يظهر موقفه بشكل مباشر وإنما يبث فكره وموقفه من خلال شخصيات الرواية سواء الرئيسة أو الثانوية وهذا ما يميز الأديب عن السياسي، والروائي الميّالي في روايتنا هذه واضح موقفه المساند للانتفاضة والمنتفضين وعدالة قضيتهم ويدين النظام الفاشي الحاكم، كما أنه واضح الميل إلى إبراز هويته الإسلامية المعتدلة.

الأهداف النبيلة تتجاوز الأيدولوجيات الضيقة:

يهتم الروائي بإلقاء الضوء الكاشف على سؤال مهم، ألا وهو طبيعة العلاقة بين، مختلف التوجهات الفردية والسياسية المناهضة للديكتاتورية، وفي الخصوص مناهضتها للشعائر الدينية في مدينة تعتبر معقلاً للمذهب الشيعي في كل العالم، كما أنها مثلت الرأس الفاعل للفكر والنشاط اليساري في تلك الفترة في العراق مما يبدو وكأنه أمر غريب ومتناقض، فالنجف أنجبت ابرز القادة اليساريين من جهة، كما أنجبت العشرات من القادة الإسلاميين من جهة أخرى. وعلى الرغم من التجاذبات الفكرية والسياسية والعقائدية بينهما بشكل عام، إلا أن العلاقة بين اليساريين والإسلاميين شهدت تعاوناً وتضامناً كبيراً لتحدي السلطات والأنظمة المستبدّة والديكتاتورية، باعتبار هذه القوى أكثر الفئات الاجتماعية عرضة للقهر والظلم والإقصاء والتهميش عبر التاريخ القديم والحديث. كذلك هناك جذر فكري يربطهما، إذ يلتقيان من حيث الأهداف النهائية المنشودة للبشرية لكل منهما، ألا وهو أقامه العدل والمساواة على الأرض وخلاص الإنسان من القهر والظلم والاستغلال والاستبداد.

في الرواية محل دراستنا هذه، يجسد هذا التضامن، شخصية اليساري (صبري الخطاط) الذي عانى الكثير من الأذى على أيدي البعث وعلى وجه الخصوص من قبل ناظم كزار وزمرته الفاشية مما أضطره لترك دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة ليحترف الخط والرسم بعدما فُصل من الكلية بدعوى الغياب نتيجة سجنه، وهو شاب غير متدين ضمن التوصيف العام، ولكن كانت له صداقة حميمية ووثيقة مع السيد مرتضى المتديّن المسلم المتحمّس لإحياء المناسبات الدينية في النجف وأهمها مراسيم عاشوراء. وكذلك اليساري الشاعر (عباس عجينة) الذي أُعدم على يد زمرة البعث بمحاكمة صورية بعد قمع الإنتفاضة .

إن الطرفين كلاهما يجمعهما حبّ الإمام الحسين ﷺ ومبادئه وحركته الإصلاحية ضد الظلم والطغيان الأموي بغض النظر عن الخلافات الأيديولوجية والفكرية والفلسفية بينهما. فصبري الخطاط وعباس عجينة كانا خارج الخط الرسمي لقيادة اليسار آنذاك التي كانت متحالفة مع البعث خلافاً لإرادة الكثيرين فيما سمي بالجبهة الوطنية في ذلك الوقت. خصوصاً وأن تلك الانتفاضة الجماهيرية العفوية لم تكن تتبنى أية مطالب سياسية معلنة، بل كان كل همها ممارسة شعائرها الدينية التي توارثها أبنائها عبر الأجيال، فقد صوّر النظام الفاشي تلك الانتفاضة السلمية العفوية في خطابه الرسمي بأنها حركة ومؤامرة رجعية متحالفة مع قوى خارجية للإطاحة بالنظام واستهداف لمكاسب وأهداف ثورة تموز ١٩٦٨ بزعمه.

وجدنا في الرواية إشارة فطنة من قبل الروائي بكون الثوري الصادق مع مبادئه لم يفرض آرائه وأفكاره على الآخرين حتى وان كانوا من خاصته، بدلالة أنّ صبري الخطاط لم يعارض ولم يقمع أخته سعاد من قراءة مؤلفات السيدة بنت الهدى شقيقة

السيد الشهيد محمد باقر الصدر، ولم يقف بوجه حبها للسيد مرتضى الهاشمي وهنا يثبت الحب بأنه عابراً للأيديولوجيات.

صبري الخطاط اليساري الهوى، هو من خَط وصَنع، وأخته سعاد هي من خيّطت وأعدّت الأعلام الخضراء التي ستكون في أيدي المنتفضين والزائرين، فلا يهم أنْ تكون الأعلام حمراء يسارية أو خضراء علوية، ولكن المهم أنْ تتحدّى الظلم والقهر والتسلط وتنشد الحرية.

كذلك فأنّ عباس عجينة اليساري الهوى، والذي أعلن للنجفيين مكان وموعد التجمع والانطلاق أمام محافظ النجف ومدير الأمن: (غداً الجمعة الساعة الحادية عشرة صباحاً جميعنا مستعدون للمشاركة والانطلاق بمسيرة الأربعين الراجلة إلى كربلاء) ص١٣٣ من الرواية. وهو الذي كان يلهب مشاعر الزوار بأهازيجه الشعبية الجريئة ويحثهم على الصمود لمواجهة وتحدي السلطات المستبدة.

عبد الأمير الميالي الشاب اليافع المتديّن القادم من مدينة الحمزة الشرقي مع عائلته ليستوطن في مدينة النجف، يقدم روحه قرباناً على طريق الحرية، ليكون أول شهيد يسقط على طريق كربلاء برصاص الأمن البعثي الفاشي، والذي سيختلط دمه مع دم عباس عجينة اليساري الذي أعدمه البعث لاحقاً.

كما لا يخفى دور الشاعر المعروف عبد الحسين أبو شبع وقصائده الحسينية الثورية الرائعة وهو ينتصر فيها للحق والعدالة والسلام ويمجد الدور البطولي للإمام الحسين وأنصاره ولكل شهداء الحركات الثورية العلوية وغير العلوية في الثورة على الظلم والاستبداد في مختلف العصور ومن مختلف العقائد والأفكار، وهو صاحب القصيدة الشهيرة (عالمية)، مما أضطر أزلام نظام البعث أن يدسوا له السم

في دائرة الأمن في النجف وقتله مسموماً لإسكات صوته الهادر من أجل العدالة والحرية. كذلك الدور المشهود لفاضل الرادود الدليمي وهو من أقارب الشهيد البطل نجم البقال الذي أعدمه الانكليز أبان ثورة النجف ضد الاحتلال الانكليزي في عام ١٩١٨.

كذلك أشار الروائي إلى أنّ قضية العدل والحق والأهداف النبيلة تستقطب كل الناس من أصحاب الضمائر الحية ومن مختلف الشرائح والطبقات الاجتماعية من عمال وفلاحين، وكسبة وتجار، وموظفين، وطلبة، وعسكريين، من مختلف المشارب والإتجاهات الفكرية: (حتى الذين يختلفون مع الفكر الديني وتمظهراته المختلفة كان لهم حضور هم، كالشيوعيين والقوميين بل ومن الذين ينتمون إلى حزب السلطة أيضاً) ص١٤٥ من الرواية.

وقد تجسّد هذا الأمر في مختلف الانتفاضات التي خاضها الشعب العراقي ضد المحتلين في انتفاضة الوثبة ١٩٤٨، وانتفاضة ١٩٥٦ وغيرها، وضد الديكتاتوريين والفاسدين تجسد ذلك في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧، وانتفاضة آذار/ شعبان في ١٩٩١ وما تلاها من الانتفاضات الشعبية.

لم يغفل الروائي عبد الله الميالي موقف المجانين من رفض الظلم والقهر والانتصار، للحق فملّح سرده الروائي بشخصية (سلّومي فلس)

هذا المشرّد الموصوف بالجنون والخبل الذي لا أحد يعرف له أهل ولا أصل ولا من أين أتى إلى النجف ولماذا هو بهذا الحال؟ فمنهم من قال أنه شيوعي أصابه الجنون نتيجة التعذيب من قبل السلطات الأمنية للنظام الفاشي، ومنهم من قال بأنه هارب من مستشفى الشماعية، ومنهم من قال بأنه جاسوس زرعته السلطة بين صفوف الناس لالتقاط الأخبار ومتابعة المعارضين والثوار ونقل أخبارهم للأجهزة الأمنية، ومنهم من يقول انه من بقايا اليهود في العراق واسمه (شالومي)!

كان (سلّومي فلس) الذي لم يكن يطلب من الناس أكثر من فلس، (عمي فلس .. عمي فلس) وإذا أعطاه أحدهم أكثر من فلس، خمسة فلوس مثلاً يهتف باهزوجة (عاش الزعيم الزوّد العانة فلس) حيث كانت في العهد الملكي (عانة) عملة معدنية تعادل أربعة فلوس والدينار يعادل ألف فلس، فأصبحت في العهد الجمهوري القاسمي خمسة فلوس.

كان سلّومي يتلفظ بعبارات تدل على الحكمة والنظرة الثاقبة الجريئة التي لا تخرج إلا من أفواه الحكماء والعارفين، مثل (يمّه خلص عاشور، وطبرت مرتين.. مرّة على عمري الضاع، ومرّة على الحسين)، و(يا بو علي ما ننساك، أهل النجف كلهه وياك)، و(صعد لحم نزل فحم – ما بقه بجسمه عظم) ، و(وين يروح المطلوب النه – لازم ناخذ حقنه منه) ، و(شورّطك يبهلوي، هذا الحزب يشوي شوي).

وكان العديد من الناس وراء تحريك ودفع سلّومي لإشهار هذه المقولات مختفين خلفه خوفاً من بطش السلطات، وكان أبرز هؤلاء المحرّكين لسلّومي هو اليساري (صبري الخطاط) مقابل إعطائه بعض النقود أو لفّات الأكل أو قدح شاي.

مضمون الرواية:

كان أسلوب السرد الروائي خيطياً تتابعياً للحدث وللأشخاص منذ البداية حتى الذروة والختام، فقد تتبع الروائي حياة الشاب الشهيد عبد الأمير الميالي منذ ولادته في مدينة الحمزة الشرقي، ونموه وبلوغه سن الشباب ومن ثم انتقاله مع عائلته للسكن في مدينة النجف.

عبد الأمير المسمى بهذا الأسم من قبل والده تيمناً واستذكاراً لصديقه الشاعر الشعبي المعروف عبد الأمير الفتلاوي، في حين أسمته أمه بـ(حمزة) تيمناً بالحمزة الشرقي الذي يسّر ولادتها له بعد عسر، بالإضافة إلى نذرها الديك والذبيحة للحمزة، فاتفق الوالدان على أن يحمل المولود اسماً رسمياً عبد الأمير، وأسماً يتعلق بوالدته (حمزة) ، وهذه ظاهرة موجودة في المجتمع العراقي فكثيراًما يحمل المولود أكثرمن اسم، اسم رسمي واسم شعبي.

عبد الأمير يتعرف على السيد مرتضى صاحب المكتبة والذي ساهم كثيراً في مساعدة العائلة القادمة إلى النجف والعثور لوالد عبد الأمير عملاً يساعده فيه أولاده محمد وشقيقه عبد الأمير، فقد أستأجر له دكاناً لبيع الخضرة والفواكه وهي مهنة قريبة من خبرة أبي محمد كفلاح.

تشرّب عبد الأمير الفكر الحسيني الثوري من السيد مرتضى الهاشمي وبقية الشباب الناشط في هذا المجال في المدينة، فينحاز إلى جانب المنتفضين الزاحفين مشياً على الأقدام إلى كربلاء لإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام.

حيث قرر أهالي النجف تحدّي قرار السلطة البعثية الحاكمة آنذاك بمنع المسيرة لعام ١٩٧٧ والإصرار على تنظيم المسيرة مهما كانت التضحيات.

من خلال متابعة الروائي لحياة عبد الأمير وتحولاته وتنقلاته وهمومه وتطلعاته يسرد لنا الروائي الكثير من الحكايات ويطلعنا على الكثير من الأحداث والمظاهر الحضارية والتراثية والعلمية لمدينة النجف من مزارات ومكتبات وساحات وأسواق ومكتبات، كما يعرض حكاية الانتفاضة وكيفية تنامي الوعي الثوري الرافض لظلم السلطة الديكتاتورية مستلهمين دروس وعبر تضحيات الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره ضد حكم بني أمية، وكيف قرر أهل النجف والمناطق المحيطة بها في غالبيتهم العظمى تحدي السلطات البعثية والمسير نحو كربلاء كعادتهم كل عام وبإصرار وتحشيد أكبر هذه المرة.

يسرد الروائي بالتفصيل مراحل تطوّر الانتفاضة من خلال الشخوص المشاركين والفاعلين في التحشيد والتأييد، ودور كل شخصية في الإعداد للمسيرة وانطلاقها، متتبعاً الأحداث بالأيام والساعات ومتنقلاً معها في الشوارع والساحات، من ساحة الميدان حتى الخانات الثلاث لغاية وصولها (حُسينية المْشاهْدَة) داخل كربلاء.

موضحاً كذلك موقف قوى السلطة من محافظ ومدير أمن وقيادات حزبية في التصدي للزائرين، وكيف تمت مواجهتهم من قبل رموز الانتفاضة بالرفض واتخاذ القرار الحاسم المعلن بالمضي قدماً نحو ضريح الإمام الحسين مهما كانت التضحيات حيث جاء ذلك على لسان صاحب أبو كلل، وعباس عجينة، وأعلن وقت الانطلاق ووزعت المهام على المنتفضين في تنظيم الصفوف وتوفير الأكل والمنام والمراقبة والحماية للزائرين. والقاء الضوء كذلك على دور المساندين للانتفاضة من المحافظات الأخرى، وقصابتها القريبة من النجف، وطريقة وصولهم ومشاركتهم على الرغم من المتابعة المشددة من قبل أجهزة الحزب، ولأجهزة الأمنية المختلفة، كل هذا حصل بسبب التعاطف الكبير للناس مع المنتفضين، ومع القضية الحسينية المقدسة لدى كل الناس بمختلف فئاتهم، وطبقاتهم، وتوجهاتهم، وأجناسهم، وأعمارهم...

اتخذت السلطات أكثر الإجراءات القمعية لصد المسيرة وبناءً على تعليمات مشددة من القيادة العليا للبعث في بغداد بأن تمنع المسيرة من مواصلة التقدم نحو كربلاء بأي ثمن، فأنزلت الدبابات والمدرعات على الشارع الرابط بين النجف وكربلاء، وقد حامت الطائرات الحربية الميغ مخترقة حاجز الصوت لإرهاب الزائرين ومحاولة صدهم وتشتيت قواهم واستعمال الرصاص الحي ضدهم، وكان أول شهيد هو الشاب عبد الأمير الميالي الذي أصبح قميصه الدامي مشعل حماس للزائرين للاستمرار وتحدي السلطة.

يشير الروائي إلى أنّ القائد العسكري من أصحاب الضمائر الحية والرافض للفتك بأبناء شعبه ومعاداة قضية الإمام الحسين، حيث تصرف بحكمة حينما انفرد بصاحب أبو گلل وأخبره بأنهم لا يريدون قمع المسيرة وإسالة دماء أبناء الشعب، وفي الوقت نفسه لا يريدون أن يعصوا أوامر السلطة، فاقترح عليه أن يسلك الزوار الطرق الترابية ومن خلال المزارع والبساتين لبلوغ هدفهم بالوصول إلى كربلاء دون الاشتباك بالقوات العسكرية، وكان له ذلك حيث اتفق الزوّار على السير في الطرق الفرعية والالتقاء في حسينية (المْشاهْدَة) في كربلاء التي لا تبعد أكثر من ٢ كيلو عن الضريح لإكمال مراسيم الزيارة.

كما أعلنت الحكومة كذبة كبرى، بأنها ألقت القبض على (محمد علي نعناع) العميل لسوريا وهو يحمل حقيبة من المتفجرات لتفجير الصحن الحسيني، لترعب الزائرين ولتبرر إجراءاتها القمعية ضد الزائرين بدعوى الخوف عليهم.

شكلت السلطات محكمة صورية وأصدرت أحكامها بإعدام تسعة من قادة المسيرة ليعرجوا شهداء إلى ربّ السماء دفاعاً عن الحق والعقيدة.

كما اعتقلت الحكومة المئات من الزائرين وزجهم في السجون وصدور أحكاماً قاسية بحقهم. وبذلك يسجل أبناء النجف مأثرة ثورية جديدة تضاف إلى تاريخهم المجيد في مقاومة الاحتلال العثماني والانكليزي، سواء في ١٩١٨ وما تلاها، ومقاومة الاحتلال الأمريكي في ٢٠٠٣ ليثبتوا لكل طاغية ومستبد أنّ النجف لا تصبر على ضيم ولا تخضع لطاغية وأنّ سكونها يستبطن عاصفة ستطيح بعروش الظالمين مهما طال الزمن.

مما يحسب للروائي والباحث عبد الله الميالي انه يقدم للقارئ تاريخ الكثير من الأشياء والأبنية والمشاهد الموجودة في المدينة، فمثلا أنّ الكشيدة صناعة نجفية أصيلة توازي الطربوش العثماني، وأنَّ حَمام الحضرة العلوية جلبه أحد أمراء الهند هدية للعتبة العلوية قبل ثلاثمائة سنة، فتكاثر حتى أصبح أسراباً كبيرة تحف بالمرقد الشريف ومنائر ومساجد المدينة المختلفة، كذلك تاريخ بناء العديد من المساجد والمكتبات والخانات المنتشرة على طريق النجف كربلاء (خان الربع وخان الحماد وخان النخيلة) ، فالميالي يبدو لي أنه درس تاريخ المدينة وتاريخ أغلب شخصياتها الفاعلة وتقاليد أهلها، والتعرف على المظاهر الحضارية والمدنية الهامة فيها، حتى انه لم يهمل الإشارة إلى المهمشين على حافات المدينة ومنهم الغجر، وهذا أمر هام ضروري، وهام جداً بالنسبة للروائي الذي يكتب رواية تاريخية.

من الواضح أنّ الميالي يمتلك ثقافة عامة رصينة مكنته من كتابة هذه الرواية بشكل رصين من حيث المعلومة وجمالية المفردة والأسباب الكامنة وراء غضب الجماهير فالرواية التاريخية (عليها أن تحدّد في الماضي الأسباب التي كانت وراء ما حدث بعد ذلك، وأيضا رسم السيرورة التي تطورت بشكل بطيء من خلالها وأحدثت هذا الواقع) أورهان باموق (الروائي الساذج والحساس)

كذلك اهتمت الرواية بالشعر الشعبي والفصيح والاقتباسات المتعددة بما يرصّن السرد ويعززه ويعطيه جاذبية ليكون غير ممل.

لم تخلُ الرواية من ذكر النقاط السوداء لبعض السلوكيات لبعض الأفراد الذين اشترتهم السلطة أو أرهبتهم ليكونوا من جواسيسها لرصد تحركات المناهضين لها ومنهم زوار كربلاء، فكان الشاب (سمير الجايجي) من هذه النماذج على الرغم من كونه مقرب ومحبوب من النجفيين كسيد هاشم وغيره، لكونه خفيف الدم ويحفظ الكثير من الشعر الشعبي الجميل، فقد أجاد دوره كعين راصدة لتحركات الثوار (الجايجي سمير كان بالمرصاد لكل شاردة وواردة، فدوّن بأنامله في تقريره السري كل ما رآه وسمعه، ثم ليلتحق بمقدمة المسيرة وقد ارتدى دشداشة سوداء ويردد شعارات الموكب.) ص ١٤٥ من الرواية.

وعلى الرغم من كون قادة المسيرة يمتلكون من الفطنة والفراسة لكشف المندسين والجواسيس كما يكشف لاعب المحيبس المحبس في يد اللاعب فارزاً إياه من بين عشرات أو مئات اللاعبين، وقد اصطلحوا على المندسين وقوى الأمن اسم (برغش)، ولكن سمير كان خافياً عليهم.

رواية (العروج الدامي) تضاف للعديد من الروايات التي أرّخت لمدينة النجف وأحداثها من قبل الروائيين النجفيين كرواية (فندق السلام) لمحمد سعد جبر الحسناوي، ورواية (ما انكشف من حجر الصوان) لمحمود جاسم عثمان النعيمي، وثلاثية (محطات) لحميد الحريزي، ورواية (باب الفرج) لزهير الجزائري، ورواية (مغنّي الأزهار البرية) لمهدي النجار، ورواية (يوم من أيام النجف) لمكي زبيبه، ورواية (أوراق من ذاكرة بانيقيا) لعبد الهادي الفرطوسي .

لقد أبدع الروائي عبدالله الميالي في توثيق هذه الانتفاضة الكبيرة والمأثرة الشعبية أدبياً وبأسلوب فني إبداعي رصين وهو القاص والباحث المبدع ومشروع روائي متمكن.

بما أن لكل كاتب رسالة يبثها من خلال نصّه الأدبي إلى المتلقي، فما هي رسالة الكاتب عبدالله الميالي إلى قارئه من خلال روايته (العروج الدامي)؟ يمكن أن نُجمل رسالة الرواية بعدة نقاط:

١. استحضار قِيَم ومبادئ المصلحين والأحرار الذي انتفضوا ضد الظلم والفساد والطغيان، من خلال إصرار الجماهير على إكمال مسيرة زيارة الأربعين إلى كربلاء، وتحديهم قرار الحكومة بمنع المسيرة بالقوة.

٢. تشخيص اهتمام مدينة النجف بالجانب الفكري والثقافي والأدبي من خلال إشارات الرواية إلى المكتبات والصحف والمجلات ومزاد الكُتب الأسبوعي ومقطوعات الشعر المختلفة والرسم التي حفلت بها الرواية.

٣. الاهتمام بالجانب الإنساني من خلال التعايش السلمي بين معتنقي العقائد والأيديولوجيات، وبرز ذلك بشكل واضح من خلال العلاقة المتميزة بين (مرتضى الهاشمي) وهو يحمل الفكر الإسلامي، وبين (صبري الخطاط) وهو يحمل الفكر اليساري، فرغم جدالهما التقليدي حول مرجعهما الفكري والأيديولوجي فقد احتفظا بعلاقة صداقة عميقة، في رسالة واضحة إلى الجميع بأنّ الإنسانية عابرة للأفكار والأيديولوجيات، مذكرة الرواية بتلك العلاقة العميقة التي ربطت الشريف الرضي وهو السيد العلوي، بأبي إسحاق الصابي وهو على دين الصابئة حتى إذا توفي الصابئي رثاه الرضي بقصيدة عصماء من أجمل ما قالته العرب في الرثاء.

٤. أهمية تكاتف أفراد المجتمع مع بعضهم، وقد برز ذلك من خلال تكاتف الجماهير النجفية في إنجاح مسيرة الأربعين، فشارك معظم الأهالي فيها حسب استطاعتهم بغض النظر عن الحالة الاجتماعية والطبقية والحزبية والفكرية.

٥. تمسك الجماهير بإحياء طقوسها التي اعتادت عليها في المناسبات الدينية، سواء كانت تلك الطقوس تقع ضمن دائرة الفلكلور والتراث الشعبي كما هو موجود عند جميع شعوب العالم، أو هي تقع ضمن مرجعيات مستمّدة من المصادر الدينية والتاريخية.

الروائي عبد الله الميالي كاتب مبدع، قال كلمته في هذه الرواية، ولا شك أنّ كلمته منحازة إلى الإنسان والى حريته، وبحسب الناقد الروسي باختين: (الإنسان المتكلم في الرواية هو دائماً صاحب أيديولوجيا بقدر أو آخر، وكلمته هي دائماً قول أيديولوجي) (باختين، ١٩٨٧)

وهناك جوانب أخرى من الرواية ربما لم نتعرض لها، أو أوجزنا القول فيها، نتمنى أن تكون محل اهتمام النقاد الأعزاء لتظهيرها وإنارتها بما تستحق.

المصادر:

١. رواية (العروج الدامي) للقاص عبد الله الميالي، صدرت عن دار الورشة الثقافية، وتقع في ٢٠٠ صفحة، وتتألف من عشرة فصول، وهي الرواية الفائزة بالمركز الثاني في مسابقة الإبداع الفكري ضمن فعاليات مهرجان السفير الثقافي السنوي بنسخته العاشرة لعام ٢٠٢١ .

٢. علي المؤمن، (سنوات الجمر) ص١٧٠ ، مركز دراسات المشرق العربي، ط ٥ ، ٢٠٢٠.

٣. حمادي صبري مسلم، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، ص١٥٩ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – ١٩٨٠ .

٤. سميرة منصوري، توظيف التراث في الرواية المغاربية الجديدة، أطروحة دكتوراه، ص٥١ ، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس، الجزائر – ٢٠١٧. (نسخة رقمية)

٥. المصدر نفسه. ص٥٠ .

٦. برقاد أحمد، عبدلي محمد السعيد، سردنة التاريخ بين المرجعية وجمالية التشكيل الروائي، مجلة (لغة – كلام) المركز الجامعي بغليزان، المجلد السادس، العدد الثاني، الجزائر – ٢٠٢٠.

٧. د. عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ سلطان الحكاية وحكاية السلطان، ص٦٠ ، منشورات دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – ٢٠١٠ .

٨. نضال الشمالي، الرواية والتاريخ: بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، ص١١٢ ، عالم الكتب الحديث، الأردن – ٢٠٠٦.

٩. إبراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، ص٩٣ ، دار الساقي، بيروت – ١٩٩٩

١٠. المصدر نفسه، ص١١ .
١١. عبدالمالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، ص١٤ ،محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق – ٢٠١١ .
١٢. الطيب بو عزّة، ماهية الرواية، ص٩ ، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، بيروت – ٢٠١٦ .
١٣. سعد محمد رحيم، السارد والتاريخ، مجلة دُبي الثقافية، العدد ٤٣ ، ص٩٢ ، دُبي – ٢٠٠٨ .
١٤. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص١٠٢ ، ترجمة: د. محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة – ١٩٨٧ .

النموذج الاستراتيجي لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين الحسيني عليه السلام

عقيد احسان يوسف جليل الاسدى
طالب إدارة بجامعة الدفاع الوطني

د. علي رضا جزيني
أستاذ إدارة جامعة الدفاع الوطني

د. عظيم علي زاده
أستاذ مساعد في دراسات المستقبل بجامعة الدفاع الوطني

د. بهزاد حشميتي
أستاذ مساعد بجامعة الدفاع الوطني

الملخص

تعد مسيرة الأربعين الحسيني عليه السلام واحدة من أكبر التجمعات الدينية في العالم، ولها دور مهم في تعزيز الترابط الاجتماعي والأبعاد الثقافية، إلا أن إدارة الأمن والانضباط الاجتماعي في هذا الحدث الضخم تواجه تحديات كبيرة. يهدف هذا البحث إلى تقديم نموذج استراتيجي لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين الحسيني عليه السلام بما يضمن الحفاظ على الأمن وتحسين التجربة الروحية والاجتماعية للزائرين.

يعتمد هذا البحث على منهج مختلط يجمع بين الطريقتين الكمية والنوعية، حيث جُمعت البيانات الكمية من خلال الاستبيانات، فيما تم جمع البيانات النوعية عبر مقابلات شبه منظمة مع الخبراء والمسؤولين الأمنيين. بعد ذلك، تم استخراج المحاور الأساسية لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي باستخدام تحليل الموضوعات.

أظهرت النتائج أن إنشاء آليات تنسيق بين الجهات المعنية، وتدريب القوى الأمنية والاجتماعية، واستخدام التكنولوجيا الحديثة لمراقبة الحشود، والتواصل الفعال مع الزائرين، تعد من أهم العوامل المؤثرة في تعزيز الأمن والانضباط الاجتماعي.

الاستنتاجات والتوصيات: يمكن اعتماد النموذج المقترح كدليل استراتيجي لإدارة مسيرة الأربعين الحسيني عليه السلام بشكل أفضل. ويوصى بتعزيز التدريب الوقائي، وتطوير تقنيات إدارة الحشود، وتعزيز التعاون بين الجهات المختلفة لتحسين تجربة الزائرين وضمان أمن مستدام في هذا الحدث.

مقدمه

مسيره الأربعين الحسيني ﷺ من أكبر التجمعات الدينية في العالم، وتمثل منصة لتعزيز القيم الاجتماعية والروحية. ومع زيادة أعداد الزائرين، تزداد التحديات المرتبطة بالأمن والانضباط الاجتماعي، مما يستدعي وضع استراتيجيات فعّالة لإدارة هذا الحدث الضخم. يهدف هذا البحث إلى تقديم **نموذج استراتيجي** يضمن سلامة الزائرين ويعزز التنسيق بين الجهات المعنية ويطور آليات الأمن والانضباط الاجتماعي بشكل مستدام.

المشكلة

تجذب مسيرة الأربعين الحسيني ﷺ سنويًا ملايين الزائرين إلى العراق، وتعد واحدة من أكبر التجمعات الدينية في العالم. على الرغم من قيمتها الروحية والثقافية، تواجه هذه الفعالية تحديات كبيرة في مجال الأمن والانضباط الاجتماعي، والتي قد تؤدي إلى آثار إنسانية واجتماعية وحتى سياسية إذا لم تتم إدارتها بشكل صحيح. إن التوزيع الواسع للزائرين، والقيود على البنية التحتية، والتنوع الثقافي، وغياب إطار قانوني وإداري متكامل، يؤدي إلى مشكلات مثل الفوضى، ونقص التنسيق بين الجهات، والتهديدات الأمنية.

نظرًا لاتساع وتعقيد هذه الفعالية، يصبح من الضروري وضع نموذج استراتيجي شامل لإدارة الأمن والانضباط الاجتماعي، بما يضمن حماية الزائرين وتحسين التنسيق بين الجهات المعنية وجودة الخدمات المقدمة. يهدف هذا البحث إلى تقديم هذا النموذج والإجابة على السؤال الرئيسي: ما هو النموذج الاستراتيجي لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين الحسيني ﷺ؟

أهمية البحث

الطبيعة الفريدة والحضارية لمسيرة الأربعين: تُعد مسيرة الأربعين أكبر تجمع ديني عالمي، وتمتلك إمكانيات ثقافية واجتماعية وروحية واسعة. تصميم نموذج أمني وانضباطي مبني على القيم الدينية يمكن أن يحول هذا الحدث إلى نموذج عالمي في إدارة التجمعات البشرية الضخمة.

تمكين الهياكل الإدارية والتنسيق بين الجهات: يوفر تقديم نموذج علمي واستراتيجي مزيدًا من التنسيق بين الأجهزة المسؤولة الإيرانية والعراقية والمنظمات التطوعية، ويرفع جودة إدارة التجمعات الكبيرة.

رفع جودة الخدمات ورضا الزائرين: يؤدي تصميم نموذج أمثل للأمن والنظام الاجتماعي إلى توفير بيئة زيارة آمنة ومنظمة وهادئة، ويعزز التجربة الروحية والثقافية والاجتماعية للزائرين.

تعزيز رأس المال الاجتماعي وتماسك الأمة الإسلامية: الإدارة الناجحة لهذا الحدث تدعم التعاون الجماعي، وتقوي الثقة الاجتماعية، وتعزز التضامن بين الشعوب، خصوصًا بين إيران والعراق، ويمكن أن تعمل كدعم استراتيجي ثقافي.

اهمية البحث

تزايد أعداد الزائرين سنويًا وتعقيد الإدارة: زيادة ملايين الزائرين وتنوعهم العرقي والوطني بدون نماذج إدارة وأمن دقيقة يمكن أن تؤدي إلى الفوضى، وتعطيل الخدمات، أو أزمات أمنية.

وجود تهديدات أمنية جديدة ومتغيرة: الظروف الجيوسياسية الإقليمية، نشاط الجماعات المتطرفة، والتهديدات السيبرانية والمعلوماتية تتطلب تصميم نماذج أمنية مستندة إلى التحليل الحديث وأساليب إدارة المخاطر الجديدة.

احتمال حدوث أزمات إنسانية أو صحية أو إدارية: نقص الانضباط الاجتماعي بين الحشود المليونية قد يؤدي إلى ازدحام خطير، مشاكل صحية ومرورية، وحتى أزمات حياتية، مما يزيد الحاجة إلى نموذج إدارة متكامل وعلمي.

أهداف البحث:وضع نموذج استراتيجي لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين الحسيني عليه السلام

التعرف على المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالبحث.

مسيرة الأربعين: التعريف العام (النظري): مسيرة الأربعين حدث ديني ضخم، يشارك فيه ملايين الزائرين من مختلف أنحاء العالم سيرًا على الأقدام نحو مدينة كربلاء المقدسة، لحضور اليوم الأربعين لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في الحرم الشريف. (رولا خالد الداود/ اشتيه، ٢٠١٩)التعريف العملي: تشير مسيرة الأربعين إلى حركة جماعية تُقام سنويًا في المسارات المؤدية إلى كربلاء، بمشاركة ملايين الزائرين، وتتطلب تصميم نماذج أمنية وإدارية لضمان السلامة والنظام والتنسيق على جميع المستويات التنفيذية. كما عرفها الباحثون بشكل تشغيلي بأنها إحدى المناسبات الدينية لدى الشيعة، يحييها ملايين المسلمين من داخل وخارج العراق بحضور زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام في العشرين من شهر صفر. (جوذر حمزة كاظم وآخرون، ٢٠٢٤)

الانضباط الاجتماعي:التعريف العام (النظري): يشير الانضباط الاجتماعي إلى الالتزام بالمعايير والقوانين والسلوكيات في التفاعلات اليومية بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى النظام والتنسيق وتقليل النزاعات. (أحمد الخشاب، ١٩٧٠)التعريف في المجال الأمني/ العسكري: يُعرف الانضباط الاجتماعي في هذه المجالات كأداة أساسية لإدارة الأزمات، والسيطرة على الحشود، والحفاظ على النظام العام، ويتم تعزيزها من خلال تطبيق اللوائح، وإدارة السلوك الجماعي، والتدريبات السلوكية. (جابر، ٢٠١٩)

الأمن: التعريف العام (النظري): يُطلق على الأمن الحالة أو الشعور بالأمان والطمأنينة التي يكون فيها الفرد أو المجتمع محميًا من التهديدات الخارجية أو الداخلية. ويشمل هذا المفهوم أبعادًا متعددة مثل البعد الفردي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي (المناوي، ١٩٩٠).

كما يُعرف من منظور اجتماعي وثقافي بأن الأمن هو حالة من الطمأنينة والثقة يشعر بها الفرد تجاه نفسه فيما يخص النفس والمال والعرض والسمعة والهوية والعلاقات الاجتماعية والمعتقدات والقيم، سواء في الحاضر أو المستقبل، بحيث يتمكن من قضاء حياته اليومية بأقل قدر ممكن من المخاطر أو التهديدات (الجرجاني، ١٩٨٨).

كما أن مصطلحي "الأمان" و"الأمن" يُستعملان أحيانًا بالتبادل، إلا أن لهما في الأصل معاني مختلفة؛ فالأمان يعني الحماية من الحوادث غير المقصودة والطارئة مثل الانزلاق أو السقوط، بينما يشير الأمن إلى الإجراءات المتعلقة بالحماية من التهديدات والأضرار المتعمدة مثل التفجيرات الانتحارية (هال وآخرون، ٢٠١٢).

التعريف في المجال / العسكري / الأمني:في هذه المجالات، يُقصد بالأمن إنشاء والحفاظ على ظروف تمكن من التعرف على التهديدات المحتملة والوقاية منها ومواجهتها، وذلك للحيلولة دون الإضرار بالمصالح الوطنية وحياة الأفراد والبنى التحتية الحيوية. ويتم ذلك من خلال استخدام الأدوات العسكرية والاستخبارية والدبلوماسية (زيد فايز التميمي وآخرون، ٢٠٢٥).

السابق البحثي

١. أمرائي (١٣٩٩)في بحثه بعنوان دور مسيرة الأربعين الحسيني في تعزيز القوة الأمنية للشيعة توصل إلى أن مسيرة الأربعين الإمام الحسين ﷺ لعبت خلال العقود الماضية دورًا مهمًا في تعزيز مكانة وأمن الشيعة على المستويين الإقليمي والعالمي. وقد أُجري هذا البحث بمنهج وصفي-تحليلي وبالاعتماد على المصادر المكتبية والنصوص العلمية والإنترنتية. أظهرت النتائج أن عوامل مثل مسيرة الأربعين ساهمت في تعزيز القوة الجيوسياسية للشيعة وتقوية الوحدة بين الشيعة وإتاحة فرص تعزيز التضامن بين المسلمين وشعوب العالم الحرة.

٢. نضال إسماعيل حسن (جامعة المستنصرية، كلية الإدارة والاقتصاد) في بحثه بعنوان دور الأجهزة الإدارية في زيارة الأربعين توصل إلى أن زيارة الأربعين، على الرغم من معاناتها من القمع والاضطهاد خلال عهد نظام البعث، تمثل مراسم دينية واجتماعية مهمة تتطلب دعمًا قانونيًا وتنظيميًا فعالًا من الأجهزة التنفيذية والرقابية. وأظهرت الدراسة أن:

١. الحماية القانونية لزيارة الأربعين منصوص عليها في الدستور العراقي، إلا أن القوانين التنفيذية والتنظيمية لضمان حقوق الزائرين لم تُسن بشكل كافٍ بعد.

٢. تشمل مهام الأجهزة الرقابية والتنفيذية دعم حرية التعبير والعقيدة، وتقديم الخدمات الصحية والطبية، وإنشاء البنية التحتية اللازمة لإدارة حشود الزائرين الضخمة.

٣. لزيارة الأربعين تأثيرات نفسية وتربوية واجتماعية على الزائرين، وتعزز الوحدة والهوية الدينية لديهم.

كما أكد البحث على ضرورة إنشاء **مراكز استشارية تربوية ونفسية** للزائرين بالتوازي مع الخدمات الصحية، وتأسيس **جهاز قضائي عاجل** لحماية الحريات العقائدية، ما يسهم في الحفاظ على مكانة زيارة الأربعين كتظاهرة دينية-اجتماعية ذات طبيعة خاصة.

لآلئ ضياء شاكر باقر الحسني (بحث مقدم إلى جامعة بغداد) في دراسة بعنوان تحليل حركة المرور للزائرين في زيارة الأربعين الإمام الحسين عليه السلام توصل إلى أن تحسين تنظيم حركة الزائرين وإدارة وسائل النقل يعد من الإجراءات الأساسية لتسهيل تنقل الزائرين بأمان وسلاسة. وأكد البحث على استخدام نظام تتبع GPS LVN لجمع البيانات المرورية بهدف:

١. تخصيص وسائل النقل بما يتناسب مع كثافة السكان في كل محور.

٢. إعداد خطط متقدمة لنقل الزائرين، بما في ذلك جدولة الرحلات وتخصيص المسارات.

٣. إنشاء مسارات جديدة ومخصصة للمركبات والمشاة لتقليل الازدحام وتحسين تدفق حركة المرور وأظهرت الدراسة أن التتبع الدقيق لحركة الزائرين والمركبات يمكن أن يحسن تخطيط النقل، ويسهل الوصول إلى المسارات، ويوفر تجربة زيارة آمنة ومنظمة للزائرين.

توصلت سمانة عزيز عبد الحسن، أ.م. أسيل عبد الرزاق رشيد، و أ.م.د. رواء صالح محمد في دراستهم المعنونة «العمل التطوعي ودوره في التنمية خلال زيارة الأربعين (دراسة ميدانية)» إلى أن غياب آلية منظمة لتوجيه الشباب، رغم وجود رغبة كبيرة لدى الأفراد للمشاركة في الأنشطة التطوعية، يعد من أبرز المعوقات. كما لوحظ أن أعلى نسبة من الرغبة في التطوع كانت في محافظة بغداد، في حين كانت محافظة الموصل الأقرب إلى مركز العنقود الثاني، مما يشير إلى مشاركة الزائرين في محافظة كربلاء المقدسة. كما أظهرت التحليلات العنقودية اختلاف دوافع التطوع بين المحافظات باستخدام المتغيرين X21 وX25، وركزت الدراسة على أهمية إدارة الموارد البشرية وكفاءة الاكتفاء الذاتي في دعم نجاح المنظمة.

يتناول الدكتور محسن برويش في مقاله «دراسة إمكانيات بناء الحضارة في العالم الإسلامي مع التركيز على مشي الأربعين» المنشور في فصلية «الحضارة الإسلامية والدراسات الدينية»، السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع ١٣٩٨، الإمكانيات الحضارية لمراسم مشي الأربعين من خلال منهج المكتبة والمصادر الوثائقية. ويؤكد أن الأربعين الحسيني يُعدّ من أهم القدرات الحضارية في التاريخ الإسلامي، حيث يلهم ويسهم في إحياء الحضارة الإسلامية. تشمل هذه الإمكانيات أبعادًا متعددة مثل البُعد الديني والثقافي والسياسي، إلا أن أبرزها هو التقارب والوحدة بين المجتمعات الإسلامية، إذ لا يقتصر مشي الأربعين على مذهب أو طائفة معينة، بل يشارك فيه جموع هائلة تحت راية الإسلام. وبفضل هذه الإمكانيات الروحية والثقافية الكبيرة، يُمكن لتجمع الأربعين أن يشكّل فرصة استراتيجية لتأسيس حركة عالمية للدفاع عن الحق والمطالب العادلة.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ، آذار - ٢٠٢٦ م

تناولت دراسة حميد رضا محمدي، نديمه سليم نژاد، وإبراهيم أحمدي في فصلية «الجغرافيا الإيرانية العلمية – البحثية الدولية»، العدد ٥٢، المجلد ١٥، سنة ١٣٩٦، موضوع الجغرافيا السياسية الشيعية مع التركيز على مشي الأربعين، وذلك بأسلوب وصفي-تحليلي وبالاعتماد على المصادر المكتبية الموثوقة. ركزت الدراسة على الجغرافيا السياسية الثقافية وقوة المجتمع الشيعي وتأثيره في التحولات والسياسات الإقليمية والدولية. وأظهرت النتائج أن الموقع المتميز للشيعة في المنطقة، السيطرة النسبية على مصادر الطاقة في الشرق الأوسط، القدرة على تهديد الكيان الصهيوني، القوة الإقليمية لإيران، وطبيعة الديمقراطية في الدول الشيعية، إضافةً إلى الأحداث الإقليمية خلال العقود الأربعة الماضية منذ الثورة الإيرانية، ساهمت في ترسيخ القوة الجيوسياسية للشيعة. رغم أن هذه الأسس أثارت مخاوف الغرب والدول العربية من النفوذ الشيعي، إلا أن الوقائع الفعلية تؤكد قوة الجغرافيا السياسية للشيعة، ويكتسب مشي الأربعين مكانة رمزية وجوهرية في هذا السياق كعنصر ثقافي وجيوسياسي مؤثر.

الأُسس النظرية لنموذج الأمن والانضباط الاجتماعي

٤. مفهوم الأمن الاجتماعي

يقسم بوزان (١٩٩٧) الأمن إلى خمسة أنواع: عسكري، سياسي، اقتصادي، بيئي واجتماعي. يُقصد بالأمن الاجتماعي شعور الفرد والجماعة بالأمان والطمأنينة والراحة. وفقًا لبوزان، يشير الأمن الاجتماعي إلى قدرة المجتمع على الحفاظ على خصائصه الثقافية والهُوية والتقليدية، مثل اللغة، الثقافة، الدين، الهوية والعرف، التي من خلالها يُعرف الأفراد كأعضاء في مجموعة اجتماعية (معدني، ١٤٠٢)

٥. مؤشرات الأمن الاجتماعي

تظهر مؤشرات الأمن الاجتماعي من خلال العناصر الثقافية والهُوية التي تحافظ على وحدة المجتمع. وتشمل هذه المؤشرات:

الحفاظ على اللغة والأدب،اللباس وأسلوب الحياة،التاريخ والتراث الثقافي،الطقوس والمناسبات الدينية،المعتقدات والافكار العامة(نصرالله زاده وصائبي، ١٣٩٧)

٦. النظريات الاجتماعية المتعلقة بالأمن والانضباط الاجتماعي

يعتقد علماء الاجتماع مثل دوركهايم، ماكس فيبر، زيميل، ميرتون وساترلاند أنه مع زيادة عدد السكان وتعقيد المجتمع، يضعف التحكم الاجتماعي ويزداد احتمال ظهور الانحرافات والفوضى (ميرزاخاني وآخرون، ١٣٩٤). تؤكد هذه النظريات على أهمية وضع آليات إدارية واستراتيجية للحفاظ على الأمن والانضباط الاجتماعي في التجمعات الكبيرة مثل مسيرة الأربعين.

الانضباط والأمن الاجتماعي في التجمعات الكبرى

تُشير التجمعات الكبرى عادةً إلى تجمع عدد كبير من الأفراد بشكل مؤقت في مكان واحد ولغرض مشترك. وهناك أهداف متنوعة لهذه التجمعات، بما في ذلك: الأحداث الرياضية (مثل الألعاب الأولمبية وكأس العالم لكرة القدم)، الأحداث الترفيهية الأخرى (مثل الحفلات الم وسيقية وعروض الطيران الجوية)، التجمعات الدينية (مثل الحج ومسيرة الأربعين)، والأحداث السياسية والتجارية (مثل المؤتمرات والمعارض) .

يمكن أن تكون هذه التجمعات قصيرة المدى، وتستمر لبضع ساعات فقط (مثل المباريات الرياضية والحفلات الموسيقية)، أو طويلة المدى، وتمتد لأيام أو أسابيع (مثل الألعاب الأولمبية، الحج ومسيرة الأربعين). وقد يكون مكان التجمع محدودًا أو موزعًا على عدة مواقع.

كما يمكن أن تكون أحجام هذه التجمعات ضخمة، مثل كأس العالم ٢٠١٤ في البرازيل الذي استضاف ٣,٤ مليون متفرج، أو مراسم الحج التي تستضيف حوالي ٢ مليون حاج سنويًا، أو احتفالات الهندوس في الهند التي تضم حوالي ١٣٠ مليون زائر (ويلدراسميث وستيفن، ٢٠١٩). أما مسيرة الأربعين فهي تستضيف سنويًا نحو ٢٠ مليون زائر من أكثر من ٦٠ جنسية حول العالم، خاصة من البحرين، إيران، الأردن، الكويت، لبنان وباكستان.

وقد عرّفت منظمة الصحة العالمية (WHO) التجمعات الكبرى على النحو التالي: «أي حدث، سواء كان منظمًا أو عفويًا، يجذب عددًا كافيًا من الأفراد بحيث تُعرض الموارد المتاحة في المجتمع أو المدينة أو الدولة المضيفة للحدث لضغط كبير من أجل التخطيط والاستجابة لهذا الحشد. (رحماني وقميان، ٢٠٢٥).

تتحدد طبيعة التجمعات الكبرى وفقًا لهدف التجمع، ومكانه، وعدد المشاركين وخصائصهم، ومدة الحدث. وتشمل القضايا المتعلقة بالتجمعات الكبرى الرعاية الطبية، إدارة الاكتظاظ، الصحة العامة، السيطرة على العدوى، علم النفس، الاستعداد الطبي لمواجهة الإرهاب، والأمراض المرتبطة بالظروف المناخية.

تُعد مراسم عزاء الأربعين مناسبة دينية تُقام سنويًا بمشاركة ما بين ١٧ إلى ٢٠ مليون شخص من مختلف دول العالم في العراق (Al-Ansari et al,2020) تُعد هذه المناسبة أكبر تجمع جماهيري واسع في العالم، حيث يسير الحجاج من دول مختلفة مثل إيران، الهند، باكستان، أفغانستان، أذربيجان، تركيا، لبنان، الكويت، البحرين، والمملكة العربية السعودية لمدة أسبوعين في العراق متجهين نحو كربلاء (Yousefian et al.,2022)

وقد عرّفت منظمة الصحة العالمية (WHO) التجمعات الكبرى على النحو التالي: "تجمع عدد معين من الأفراد في مكان محدد ووقت محدد ولغرض معين، بحيث يحتاج المجتمع لتقديم الخدمات والاستجابة إلى بذل جهود إضافية والتخطيط واتخاذ إجراءات مضاعفة" (WHO,2015)

في مسيرة الأربعين، تُعرض أنظمة الإدارة المختلفة لضغوط متعددة. على سبيل المثال، ضمان سلامة وصحة المشاركين في مثل هذه الأحداث يُعد أحد أهم عوامل نجاح إدارة هذا التجمع الكبير (Ahmed et al.,2009) ونظرًا لحجم الزائرين الكبير وتنوع توقيت الحدث في مواسم مختلفة، يجب على مديري الصحة العامة الاستعداد لإدارة الضغوط الإضافية على نظام الصحة في العراق(Al-Nsour,2020)

في هذه المناسبات التي يشارك فيها أفراد من شعوب، ديانات، وثقافات مختلفة، تُعد قابلية التأثر، واحتمالية حدوث وانتشار الأمراض المعدية، أمرًا بالغ الأهمية، وتختلف حسب نوع ومكان التجمع الكبير (Karami et al.,2019). كما أن المشاركين في مسيرة الأربعين معرضون للأمراض المعدية المرتبطة بالمياه والطعام، والإصابات، والإرهاب، والإرهاب البيولوجي، بالإضافة إلى المخاوف المتعلقة بالأمراض غير المعدية والحوادث المرورية (Al-Tawfiq et al.,2014).

في دراسة أجراها تاجبخش وآخرون (١٣٩٨)، تمّ تحليل كيفية إبراز هوية الزائرين في مراسم مشي الأربعين، حيث عرضت الدراسة نموذج إبراز الهوية في ثلاثة أبعاد: الهوية الوطنية)اللغة، اللباس، الأرض، العرق، القيم، الذوق الغذائي)، الهوية الشيعية)الحجاب، القيم والرموز)، والهوية الأربعينية (اللباس، الطقوس، الوحدة الحسينية، القيم والرموز). وأشارت الدراسة إلى أن هذه الهويات تتأثر بالعوامل السياقية (العمر، الجنس، الجنسية، عدد مرات المشاركة) وعوامل القوة (الإعلام، المرجعية، الحاكمية). كما تمّت دراسة مكونات رضا الزائرين ضمن أربعة مجموعات: العامل البيئي، العامل الاجتماعي، العامل الثقافي، والعامل الديني. وأظهرت النتائج أن الأبعاد الاجتماعية والدينية حققت أعلى مستويات الرضا، بينما كان العامل البيئي (مثل التغذية، الصحة، النقل، والإقامة) الأقل تأثيرًا في إحداث الرضا.

توضّح الجداول مكونات ونماذج العوامل المؤثرة على رضا الزائرين في هذه الدراسة.

المكوّن الرئيسي	البند	المصاديق
العامل البيئي (البنية التحتية)	الإعلان والتوعية	طريقة التوعية ووجود أماكن إرشادية للزائرين
	خدمات النقل	كمية وجودة وسائل المواصلات وأسعارها
	أمن الطرق	سلامة الطرق والمسالك
	مكان الإقامة	نوع المساكن، جودة المكان، المرافق الصحية
	التغذية	جودة الطعام، كميته، توزيع الفواكه، العصائر، الشاي
	المرافق الصحية	المراحيض، الحمامات، جودة مياه الشرب، نظافة البيئة
	وقت السفر	حالة الطقس خلال موسم السفر، عدد أيام السفر
	الخدمات الإلكترونية	المرافق والبنية التحتية للاتصالات والمعلوماتية
	الخدمات المساندة	صيانة النظارات، العربات اليدوية، عربات الأطفال، وجود فريق طبي متنقل، خدمات الحلاقة
العامل الاجتماعي	الرفاق	وجود رفقاء متجانسين من حيث الأخلاق والتفاعلات الثقافية والاجتماعية
	ضيافة العراقيين	طريقة تعامل المضيف مع الزائر الإيراني واستقباله في المنزل

المكوّن الرئيسي	البند	المصاديق
	سلوك العراقيين المهذب والمحترم	تجنّب السلوك العدواني، الرد بصبر على الأسئلة
	التفاعل مع الزائرين الأجانب	الحوار والمناقشة مع الزائرين الأجانب
	الأمن الاجتماعي للمسير	انتشار قوات الشرطة على طول المسار
	الأمن الفردي	شعور بالراحة والأمان مع الزائرين
العامل الثقافي	البرامج الثقافية على طول المسار	برامج دينية مثل الإنشاد الديني والخطب وخلق جو روحي
	وجود المعارض الثقافية	توزيع المنتجات الثقافية مثل الكتب والأقراص المدمجة لتعزيز الوعي
	الهوية الثقافية	المذهب الواحد، الهدف المشترك في مسير الأربعين
العامل الديني	الأماكن المقدسة	زيارة الأماكن الدينية وقبور الأئمة المعصومين المدفونين في العراق
	الانتماء إلى المكان	الشعور العاطفي الداخلي تجاه المكان المقدس

صنّف مولايي وزملاؤه (٢٠٢٤) تحديات الصحة في مسيرة الأربعين إلى أربع فئات رئيسية: نقص الرقابة والمتابعة الصحية، عدم كفاية التسهيلات والخدمات الصحية، المخاطر والتهديدات الصحية، وغياب المعرفة والوعي الصحي. كما حدّدوا خمس مجموعات من الاستراتيجيات والحلول، تشمل: التخطيط والتنسيق الشامل، الرقابة والمتابعة الصحية، التسهيلات والخدمات الرفاهية والصحية، مؤشرات صحة الزائرين، إضافةً إلى التخطيط والتثقيف الصحي للزائرين.

جدول: التصنيف الرئيس والتحدّيات الفرعيّة في مجال الصحة خلال زيارة الأربعين

التصنيف الرئيسي	التحدّيات الفرعيّة (الصعوبات)
نقص الرقابة والمتابعة الصحية	نقص الرقابة على صحة البيئة ضعف إدارة نظام الصحة البيئية في جمع النفايات والتخلّص منها رقابة غير كافية من الجهات المسؤولة على العمليات الصحية مثل توفير الغذاء سوء حالة المراحيض والحمّامات ضعف منظومة الرعاية الصحية البيئية أو وجود نواقص تشغيلية وحوكمية قصور في البنية التحتية للصحة البيئية عدم كفاية تحديد الفئات الأكثر عرضة للخطر غياب التخطيط الدقيق لنظام الصحة البيئية عدم وجود مراقب للمسائل الصحية سوء إدارة الموارد ضعف تنفيذ اللوائح الصحية مواقع حجر صحي غير كافية للوافدين (غياب برنامج للرقابة الحدودية) عدم جاهزية نظام الصحة البيئية لتلبية احتياجات الصحة العامة عجز النظام عن تقديم الخدمات خلال الجائحات إهمال الأمراض المستجدة والمعاودة الظهور عدم كفاءة النظام الصحي في الفحص الأولي مراقبة متلازمات مرضية غير مكتملة قصور في العلامات التحذيرية المرورية على طرق النقل إهمال النظافة الشخصية من قبل المنفذين والزوّار عدم مراعاة التنوع الثقافي والإثني للزائرين نقص المعدات وبرامج التوزيع غياب برنامج متكامل للاتصال بالمخاطر تغطية غير كافية لنظام تتبع المرضى عدم حصول بعض نقاط الرعاية الصحية على التراخيص

الإطار المفاهيمي

(تم اشتقاق الإطار المفاهيمي من الأدبيات النظرية والمقابلات مع الخبراء)

لغرض تصميم الإطار الأولي للنموذج الاستراتيجي لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي، تم تحديد ثلاثة مكونات رئيسية بعنوان: "الأضرار والأزمات"، و"العوامل المسببة للأزمات"، و"الإجراءات الاستراتيجية"، بحيث يتم عرضها على خبراء الأمن والانضباط الاجتماعي والأشخاص ذوي الخبرة العملية في هذا المجال لمراجعتها ودقتها.

في هذا الإطار، تم تعريف الأضرار والأزمات المتعلقة بالأمن والانضباط الاجتماعي في خمسة أبعاد: الفردي، الاجتماعي، السياسي-الأمني، الديني-الثقافي، والبيئي:

- **البعد الفردي**: رفاهية وصحة الزائرين الجسدية والنفسية والروحية، تعزيز التجربة الروحية للزائر ورضاه عن تجربة السفر الديني (الجرائم الصغيرة، السرقة، الضياع، الانحراف الاجتماعي، الإصابات والحوادث، الأمراض الهضمية، انتشار الأمراض، نقص الأدوية والمواد الصحية، نقص المياه والطعام، نقص المرافق، نقص الخدمات الصحية والطبية، غياب المرشدين ومشكلات التواصل بسبب اختلاف اللغة).
- **البعد الاجتماعي**: تعزيز الهوية الشيعية وهوية الأربعين، تقوية التماسك والمشاركة والعلاقات بين الزائرين، بناء الثقة وزيادة رأس المال الاجتماعي للزائرين، وتعزيز التضامن الثقافي والديني (الصراعات الثقافية، القومية والتمييز، مشاهدة سلوكيات غير أخلاقية أو مخالفة لآداب الزيارة).
- **البعد السياسي**: تعزيز الشعور بالأمن، وتعزيز التنسيق بين مختلف المؤسسات الحكومية والشعبية في العراق وإيران والدول الأخرى (الأعمال الإرهابية، البيوتروررزم، التفجيرات الانتحارية).

- **البعد الديني-الثقافي**: الحفاظ على القيم الدينية والرموز والملابس والمراسم والعادات، والحفاظ على الهوية الأصيلة لمراسم الأربعين (السلوكيات المخالفة لآداب الزيارة، الدوافع غير الروحية لدى بعض الزائرين...).
- **البعد البيئي**: تجنب الإسراف في الموارد البيئية (المياه، الطعام، الأواني)، جمع النفايات وتنظيف البيئة والحفاظ عليها.

كما تم تعريف العوامل المؤثرة على الأمن والانضباط الاجتماعي (العوامل المسببة للأزمات) في أربعة أبعاد: الفردي، البنية التحتية، البيئة، والتنظيمي:

- البعد الفردي: عدم الالتزام بمبادئ السلامة والنظافة الشخصية، ضعف الرعاية الذاتية، عدم الإلمام بالقوانين واللوائح، نقص الوعي الثقافي بآداب الزيارة، التركيز على الاختلافات العرقية والقومية، وعدم حماية الممتلكات بسبب شعور مفرط بالأمان.
- **البعد البني التحتية**: نقص وسائل النقل، الاختناقات المرورية، الطرق غير الآمنة، نقص المياه، نقص أماكن الإقامة، عدم الوصول إلى الإنترنت، نقص سيارات الإسعاف والمرافق الصحية، نقص مرافق الاستحمام والخدمات الصحية.
- **البعد البيئي**: الاكتظاظ، طول المسار، الظروف المناخية مثل الجفاف والحرارة والبرد، التنوع الثقافي والعرقي-الوطني للزائرين.
- **البعد التنظيمي**: ضعف الإعلام، عدم التنسيق، القومية والتمييز، المنافسة بين المؤسسات، الفوضى، التوزيع غير المناسب للموارد، ضعف الرقابة والإشراف، التأخير في اتخاذ القرار، غياب التخطيط وإدارة المخاطر، نقص الإجراءات الوقائية.

وأخيرًا، تم تعريف الإجراءات الاستراتيجية في هذا النموذج في ثلاثة أبعاد: الإجراءات القانونية-الانتظامية، الإجراءات الإدارية، والإجراءات الثقافية-المعرفية، بحيث تشمل بعض هذه الإجراءات الجانب الوقائي، وبعضها الإصلاحي، وبعضها يجمع بين الوقائي والإصلاحي:

- **الإجراءات القانونية-الانتظامية**: وضع القوانين واللوائح، التنسيق والرقابة على التنفيذ من خلال الدوريات ونقاط التفتيش، اتخاذ إجراءات انضباطية وفرض القانون، مراقبة التحركات المشبوهة، إنشاء مراكز وقيادات أمنية ووحدات دورية ثابتة ومتحركة، الوقاية من الأعمال الإرهابية، القيادة الموحدة للقوات الداخلية وقوات الدفاع الوطني وقوات الحشد الشعبي.
- **الإجراءات الإدارية**: تعبئة الموارد باستخدام الجماعات الدينية، والإمكانات الدولية والمؤسسات متعددة الجنسيات لتطوير البنية التحتية والموارد البشرية والمؤسسية اللازمة لتقديم الخدمات؛ الإدارة المتكاملة والمنسقة للهيئات الحكومية والشعبية والدولية من خلال إنشاء قيادة مركزية؛ إدارة النشاطات التطوعية؛ تنظيم وتوزيع العمل بين المؤسسات المختلفة وخلق التنسيق بينها؛ إشراك المجتمع المحلي في تنفيذ الأعمال؛ تفعيل إمكانات القطاع الخاص مثل خدمات النقل الذكي؛ تركيز المؤسسات الإدارية على التشريع والتنظيم؛ الرقابة المستمرة واتخاذ القرار المبني على البيانات؛ إدارة الاكتظاظ والتخطيط لتوزيع الزوار لتقليل الازدحام باستخدام GPS والطائرات بدون طيار؛ التخطيط والتوزيع الأمثل للموارد واستخدام التوزيع غير الثابت مثل إنشاء مستشفيات ميدانية أو إعادة توزيع وسائل النقل العامة وفقًا لتغيرات الرحلات؛ تنظيم سوق النقل وتحديد تعرفة الركاب؛ توفير الوصول إلى الإنترنت واستخدام التكنولوجيا وأنظمة المعلومات المتقدمة لدعم اتخاذ القرار؛ إدارة توزيع واستقرار المواكب والمراكز الصحية والطبية على طول المسار.

- **الإجراءات الثقافية-المعرفية:** إدارة وسائل الإعلام، الإعلام والتوعية، نشر ثقافة وآداب الزيارة، تعليم الزائرين قواعد السلامة والصحة، توجيه الزائرين لأخذ المستلزمات الضرورية، تعريف الزائرين بالمصادر المتاحة وتوزيع الاكتظاظ، تشجيع المشاركة المجتمعية، تقريب الثقافات من خلال التوعية بين الثقافات؛ تعليم اللغة العربية الأساسية للزائرين؛ إعداد كتيبات وتطبيقات إرشادية؛ إنشاء مراكز ثقافية للرد على الاستفسارات والشبهات.

تصميم البحث والمنهجية العامة

نوع البحث:

هذا البحث من نوع تطبيقي وتنموي، ويهدف إلى حل مشكلة الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين الحسينية لضمان استمرارية هذا الحدث العظيم. ولهذا الغرض، تم تطوير نموذج تطبيقي وقابل للتنفيذ.

طبيعة البحث:

البحث استكشافي، حيث يهدف إلى اكتشاف وتحديد الأبعاد والمكونات والمؤشرات لنموذج استراتيجي لتطوير الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين الحسينية عليه السلام.

منهج البحث:

تم إجراء البحث بمنهج مختلط (نوعي - كمي):

في المرحلة النوعية، تم استخدام مقابلات شبه منظمة مع خبراء ومسؤولين، حيث تم تحليل خبراتهم وآرائهم لتحديد وصياغة أبعاد ومكونات النموذج الاستراتيجي.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ، آذار - ٢٠٢٦ م

العينة النوعية:

١٥ شخصًا من الخبراء والمسؤولين ذوي الخبرة العملية في المجال.

في المرحلة الكمية، تم استخدام استبيانات وتحليل البيانات إحصائيًا لتقييم الوضع الحالي وأولويات النموذج.

العينة الكمية: ٦٠ شخصًا من الخبراء والمسؤولين، وليست من الزائرين.

- منهجية البحث:نوع البحث: تطبيقي، لأنه يسعى إلى تقديم حلول عملية لتحسين الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين، وتكون نتائجه قابلة للاستخدام في وضع السياسات، والتخطيط التنفيذي، والإدارة الميدانية.
- منهج البحث: وصفي – تحليلي بمنهج مختلط (نوعي وكمي).
- البحث النوعي: تحديد المكونات، والأبعاد، والمؤشرات المؤثرة على الأمن والانضباط الاجتماعي من خلال مقابلات شبه منظمة وتحليل المحتوى النوعي.

نتائجُ البَحث

استنادًا إلى جمع البيانات وتحليلها، ومراجعة الوثائق والدراسات الميدانية، تمّ تصنيف نتائج البحث في أربعة محاور رئيسية: أمني، اجتماعي، إداري–استراتيجي، وثقافي–هويّاتي.

١. النتائج المتعلّقة بأمن الزائرين

- يُظهر البحث أنّ الأمن في مسيرة الأربعين هو أمنٌ متعدّدُ الأبعاد يشمل الأمن الجسدي والنفسي والاجتماعي وأمن البيئة.
- وتبرز التحدّيات الأمنية في ازدحام الحشود، وإدارة الأزمات المحتملة، والنقل، والتهديدات المتّصلة بالصحة العامة.

- كما أسهم حضور قوات الشرطة، والقوى التطوعية الشعبية، والمتابعة المنظّمة في تعزيز شعور الزائرين بالأمن.
- وظهرت الحاجة الأكبر لتأمين نقاط الدخول، والمحاور الرئيسة للمسير، ومراكز الإقامة.

٢. النتائج المتعلّقة بالانضباط الاجتماعي

- يبين البحث أن الانضباط الاجتماعي في الأربعين يتشكّل غالبًا بصورة عفوية نابعة من القيم الدينية والأخلاقية لدى الزائرين.
- تتجلّى مظاهر الانضباط في روح المشاركة، والتعاون، واحترام الدور، واحترام حقوق الآخرين، وضبط الانفعالات الجماعية.
- وقد ساهمت ثقافة الخدمة، والضيافة، والثقة الاجتماعية، وإدارة الازدحام في حفظ النظام الاجتماعي.
- وفي المقابل، ظهرت بعض نقاط الضعف مثل عدم الانسجام في الحركة، وعدم الالتزام ببعض التعليمات الصحية، ونقص الوعي بقواعد المرور والتنقّل.

٣. النتائج الإدارية – الاستراتيجية

- أظهر البحث أن غياب نظام تنسيق موحّد بين الأجهزة الرسمية والشعبية والعراقية يشكّل أحد أبرز التحدّيات في إدارة الأمن والنظام.
- كما بيّنت النتائج تأثير نقص البنى التحتية الحيوية، ولا سيما:
- النقل،الإيواء،الصحة والمياه الصالحة للشرب،،المراكز العلاجية،على مستوى الأمن والتنظيم.
- وقد تمّ تقييم دور المواكب والإدارة التطوعية على أنّه دورٌ فاعل في تخفيف العبء الإداري والأمني.

- كما أكّد البحث ضرورة وضع نموذج استراتيجي مشترك بين إيران والعراق لإدارة الحشود، والصحة، والنقل، والاتصالات.

٤. النتائج الثقافية – الهويّاتية

- خلص البحث إلى أن مسيرة الأربعين تمثّل رصيدًا ثقافيًا وحضاريًا يعزّز التلاحم الاجتماعي، والهوية الدينية، والانسجام الشيعي على المستوى الدولي.
- وتُعدّ الدوافع الدينية، ومحبة الإمام الحسين عليه السلام، وروح الخدمة، من أهم العوامل التي تدفع نحو السلوك المنظّم والآمن.
- كما أن تعدّد الجنسيات والأعراق والثقافات يشكّل فرصةً للاندماج وفي الوقت ذاته تحدّيًا بسبب احتمالات الاختلاف الثقافي.
- وأكّد البحث أن توعية الزائرين في الجوانب الصحية، وقوانين السفر، ومبادئ الانضباط الاجتماعي تُعدّ من أهم الضرورات الاستراتيجية.
- تشير نتائج البحث إلى أنّ الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين هما ثمرة التفاعل بين البُنى الرسمية، والإدارة التطوعية، والثقافة الدينية، والمشاركة الشعبية. وتبيّن أن نقص البنى التحتية، وضعف التنسيق المؤسسي، وقصور البرامج التعليمية تمثّل أهم التحدّيات، في حين لعب التضامن الاجتماعي، والإدارة التطوعية للمواكب، والقيم الدينية دورًا حاسمًا في تعزيز الأمن والنظام.

مقترحات البحث

١. إنشاء نظام تنسيق موحّد بين إيران والعراق

يُقترح تشكيلُ هيئةٍ مشتركة لقيادة ملفّ الأربعين، تضمّ الجهات الرسميّة والشعبيّة والأمنيّة في البلدين، بحيث تتولّى التخطيط الأمني والصحّي والنقلي وإدارة الحشود ضمن منظومة متكاملة وهادفة. ويمكن لهذه الهيئة أن تكون المرجع الأساس في اتخاذ القرار، والرصد، وإدارة الأزمات خلال موسم الأربعين.

٢. إعداد برنامجٍ شامل لتعزيز صحّة الزائرين وسلامتهم

نظرًا للتحدّيات المتصلة بصحّة البيئة والبنى التحتيّة، فإنّ من الضروري إعدادُ برنامجٍ عمليّ لصحّة الأربعين يشمل:

- الفحوصات الأوليّة
- التطعيمات، شبكات مراقبة الصحّة البيئيّة
- نظام الرصد المتلازمي
- إقامة المراكز الطبيّة المتنقّلة في النقاط ذات الكثافة العالية.
- كما يُقترح مراجعةُ المعايير الصحيّة للمواكب ومراكز الإيواء ورفع مستواها.

٣. تطوير البنى التحتيّة للنقل وإدارة الازدحام

يُوصى بالاستثمار في البنى التحتيّة للنقل البري والسككي، وتحسين جودة الطرق المؤدّية إلى كربلاء، وزيادة أسطول النقل، وتصميم مسارات منفصلة للمشاة والمركبات وفرق الإسعاف. كما يُعدّ استخدام تقنيات إدارة الحشود الذكيّة عنصرًا مهمًا في تقليل المخاطر الأمنية والحوادث البيئيّة.

٤. إرساء منظومة تعليمية مخصّصة للزائرين

يُقترح إعداد برامج تعليمية رسمية وشعبية في مجالات الصحّة، والأمن، والانضباط الاجتماعي، تُقدَّم عبر وسائل الإعلام، والتطبيقات الخاصة بالأربعين، والكتيّبات، والمواكب، والدورات التحضيرية قبل السفر. ويُعدّ تعزيز الوعي الصحي، وثقافة النظام، واحترام الحقوق الجماعية من المحاور الضرورية في هذه البرامج.

٥. تعزيز دور المواكب بوصفها مؤسّسات شعبية داعمة للأمن والنظام

نظرًا لما تمتلكه المواكب من طاقات اجتماعية وثقافية كبيرة، يُقترح تطوير دورها من خلال تقديم تدريبات متخصّصة لها (في الصحّة، وإدارة الأزمات، والأمن الاجتماعي)، وتجهيزها تجهيزًا مناسبًا، ووضع آليات رقابة موجّهة. كما يُستحسن اعتماد نظام تصنيف ومنح تراخيص، بما يسهم في رفع جودة الخدمة.

٦. تطوير دبلوماسيّة الزيارات وتعزيز التعاون الدولي

بالنظر إلى الطابع الدولي للأربعين، يُقترح تعزيز التعاون الثنائي والإقليمي في مجالات الأمن، والصحّة، والنقل، وإدارة الحشود. كما يُوصى بالاستفادة من قدرات المنظمات الدولية في وضع معايير موحّدة للخدمات والبنى التحتيّة.

٧. توظيف التقنيات الحديثة

يُقترح إنشاء منظومات ذكيّة تشمل:

- التسجيل والتعريف الإلكتروني للزائرين
- الإنذارات الأمنيّة والصحيّة
- إدارة حركة الحشود والنقل
- الإرشاد إلى المسارات الآمنة

وذلك بهدف تعزيز الانضباط الاجتماعي والحدّ من المخاطر.

٨. تصميم نموذج شامل لإدارة الأزمات

يُقترح إعداد خطة متكاملة لإدارة أزمات الأربعين تتضمن سيناريوهات متعدّدة (الصحة، الازدحام، الأمن، الأزمات البيئية). كما ينبغي تشكيل فرق للاستجابة السريعة، ووضع برامج خاصة لمواجهة الأوبئة، والحوادث المفاجئة، والظروف المناخية الطارئة.

٩. تعزيز البحث العلمي وإنتاج المعرفة المحلية

يُقترح أن تعمل المراكز الجامعية والمؤسسات البحثية على تطوير الدراسات المستمرة حول الأمن والصحّة والانضباط الاجتماعي في الأربعين، وبناء قواعد بيانات علمية، وإعداد بحوث تطبيقية توضَع نتائجُها في خدمة صانعي القرار.

الخلاصة

يمكن لمجموعة المقترحات المذكورة أن تُسهم في تأسيس منظومة فعّالة، استباقيّة، قائمة على المشاركة، تسعى إلى تطوير الأمن والانضباط الاجتماعي في مسيرة الأربعين. ويساعد تنفيذ هذه الاستراتيجيات في رفع مستوى الصمود الاجتماعي، وتقليل المخاطر الأمنيّة والصحيّة، ودفع إدارة هذه الشعيرة الكبرى نحو نموذج حضاري وإنساني ووحدوي.

المصادر

١. رولا خالد الداود/ اشتية. (٢٠١٩). أهمية الزيارة الأربعينية في محاربة الارهاب والحفاظ على الشباب من منظور النهضة الحسينية. (AL-SSEBT JOURNAL,2(9

٢. جؤذر حمزة كاظم,شيماء حمزة كاظم,حوراء عباس كرماش,& كرار صاحب ابراهيم. (٢٠٢٤). مؤشرات الرضا عن الخدمات المقدمة للزائرين في موسم زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ. مجلة العميد مجلة فصلية محكمة تعنى بالابحاث والدراسات الإنسانية,١٣(٥٠),١٥٣-١٨١.

٣. أحمد الخشاب، علم الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٠.

٤. جابر ص. ك.,محل م. ق.,& جابر ص. ك. (٢٠١٩). الدفاع الاجتماعي في النظم الدينية السماوية. لارك,٤(٢),٢٠٥-٢٢٠. https://doi.org/10.31185/lark.Vol1. Iss8.91

٥. ميرزاخاني، عبدُالرَّحمن؛ أكبر سليمي، عليّ محمّد ساعدي، صيّاد درويشي (٢٠١٥م) «المشاريعُ الانضباطيّة: إستراتيجيّةٌ لزيادةِ رضا الجمهور (دراسة حالة: مشروعُ الانضباط الاجتماعي في المنطقة الثالثة من طهران)»، فصلية الانضباط الاجتماعي، السنة السابعة، العدد الأوّل، ربيع ٢٠١٥، ص ١٠٩-١٣١.

٦. نصرالله‌زاده، محمّد جواد؛ حسن صائبي (٢٠١٨م) «تقديمُ نموذجٍ إستراتيجيّ في مجال الأمن الاجتماعي استنادًا إلى خطاب الإمام الخميني، والقيادة، والدستور، وتجارب الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والاستفادة من التجارب البشريّة»، الفصلية العلميّة-البحثيّة للأمن الوطني، السنة الثامنة، العدد ٢٧، ربيع ٢٠١٨، ص ٤٩-٧٤.

٧. معدني، جواد (٢٠٢٣م) «النموذجُ الإستراتيجي لقوّات الأمن الداخلي في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة لتعزيز الأمن الاجتماعي في ضوء بيان الخطوة الثانية للثورة الإسلاميّة»، الفصلية العلميّة-البحثيّة لدراسات الأمن الاجتماعي، المجلّد ١٤، العدد ٧٤، ص ١-٢٦.

٨. أمُرائي، شاپور (٢٠٢٠م) «دورُ مسيرةِ الأربعين الحسيني في تعزيز البنية الأمنيّة للشيعة»، الملتقى الوطني الثاني للأمن والاقتدار والتقدّم، طهران..https://civilica com/doc/1258066

٩. برويش، محسن (٢٠١٩م) «دراسةُ الطاقات الحضاريّة في العالم الإسلامي بالتركيز على مسيرة الأربعين»، فصلية الحضارة الإسلاميّة وبحوث الدين، السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع ٢٠١٩.

١٠. محمّدي، حميد رضا؛ سليمنژاد، نديمة؛ أحمدي، إبراهيم (٢٠١٧م) «إعادةُ تعريف الجيوبولتيك الشيعي (مع التأكيد على مسيرة الأربعين)»، الفصلية العلميّة-البحثيّة الدوليّة للجغرافيا في إيران، العدد ٥٢، المجلّد ١٥، سنة ٢٠١٧.

١١. تاجبخش، غلامرضا (٢٠١٩م) «الرضا والزيارة (دراسة حالة: الزائرون الإيرانيّون في مسيرة الأربعين ٢٠١٩ في العراق)»، بحوث الحجّ والزيارة، السنة الرابعة، العدد ٢، خريف وشتاء ٢٠١٩، ص ٩٥-١٢١.

١٢. تاجبخش، غلامرضا؛ محمّد رضا حسيني؛ انتصار موسوي (٢٠١٩م) «دراسةٌ نوعيّة لنموذج التعبير عن الهويّة لدى الإيرانيّين والعراقيّين في طقس مسيرة الأربعين»، الفصلية العلميّة-البحثيّة لنظريّات المفكرين المسلمين الاجتماعيّة، السنة التاسعة، العدد ٢، خريف وشتاء ٢٠١٩، ص ٩-٣٦.

١٣. التوقيف على مهمات التعار يف ، المناوي (١٠٣١ توفي) تحقيق ، محمد رضوان

الدايظ ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط ١، ١٤٠١ ه مطابق ، ١٩٩٠ م

١٤. التعريفات للشريف الجرجانى(٨١٦ ه) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٨ ه، ١٩٨٨ م

١٥. زيد فائز عراك الزكم التميمي,أ. نقيب السادات,& د. ميثم إيراني. (٢٠٢٥). اعداد النموذج الامثل للاستراتيجية الاعلامية الخاصة بالقضايا الامنية في العراق. .418-Journal of Education College Wasit University,58(2),403

16. Wilder-Smith A,Steffen R. Mass gatherings. Travel Med 2019;383.e1:383.-6.

17. Rahmani,Faezeh,and Zohreh Ghomian,2025,Towards Safer Mass Gatherings Using Social Media: A Crowd Management Perspective,Mass Gather Med J. 2025 April; 2(1): e161865.

18. Hall,S. A.,Cooper,W. E.,Marciani,L. & McGee,J. A. (2012). Security management for sport and special events: an interagency approach to creating safe facilities,Human kinetics,1- 41

فاعلية الاستراتيجيات الأمنية في زيارة الأربعين
دراسة تحليلية

م.م. زهراء فوزي أبو خويط
جامعة القاسم الخضراء
zahraa_althalme@vet.uoqasim.edu.iq

م. عقيل فالح سلمان
جامعة القاسم الخضراء
aqeel_aljanabi@vet.uoqasim.edu.iq

الملخص

يمثل مصطلح الاستراتيجية من المصطلحات المهمة التي كانت تستخدم في السابق، وكانت الاستراتيجية تدل على فن القيادة في الحروب، وهي كلمة يونانية، ارتبطت بالقادة لصلابة جأشهم وامكانياتهم العالية التي يمكن ان يحقق من خلالهم اهداف واسعة بمكانيات بسيطة، كما ارتبطت الاستراتيجية بإدارة الأزمات ارتباطاً وثيقاً، وندلل على ذلك بقول وزير الدفاع الأمريكي ماكنمارا أنه لم يعد الاهتمام بالاستراتيجية وإنما إدارة الأزمات.

وتمثل الاستراتيجيات الأمنية الأساس في نجاح الزيارة الأربعين، بفعل ما تقدمه هذه الاستراتيجيات من عمل متكامل يعتمد مواجهة التحديات التي تواجهها هذه الزيارة والعمليات الاستباقية التي يمكن ان تسبقها، فضلا عن مواجهتها لخطر التجمعات الإرهابية بعد عام ٢٠١٤، وقد اعتمدت عدد من الاستراتيجيات من اجل نجاح هذه الزيارة وهذا ماستتناوله من خلال هذا البحث.

الكلمات المفاتيحية: زيارة الأربعين، الاستراتيجيات الأمنية، الاستراتيجية الاشاملة، الاستراتيجية الاستباقية، إدارة الحشود.

The Effectiveness of Security Strategies in the Arbaeen Pilgrimage: An Analytical Study

Asst. Lecturer Zahraa Fawzi Abukhwait
Lect.Aqeel Faleh Salman
Al-Qasim Green University

Abstract

The term strategy is an important term used in the past. Strategy denotes the art of leadership in war. It is a Greek word associated with leaders, due to their resilience and superior capabilities, which enable them to achieve broad objectives with minimal capabilities. Strategy is also closely linked to crisis management, as evidenced by US Secretary of Defense McNamara's statement that the focus is no longer on strategy, but rather crisis management.

Security strategies are the foundation for the success of the Arbaeen visit, due to the integrated work they provide, which relies on confronting the challenges facing this visit and the preemptive operations that may precede it, as well as confronting the threat of terrorist groups after 2014. A number of strategies have been adopted to ensure the success of this visit, and this is what we will address in this research.

Keywords: Arbaeen Pilgrimage, Security Strategies, Comprehensive Strategy, Proactive Strategy, Crowd Management

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ , آذار - ٢٠٢٦ م

المقدمة

على اختلاف السنوات الأخيرة مثلت الاستراتيجية الأمنية من اهم الاعمدة التي تقوم عليها نجاح زيارة الأربعين الخالدة، بفعل ما لهذه الاستراتيجيات من دور كبيرة في خلق حالة امنية مستقرة، وبالتالي تنعكس على الزيارة المباركة، وان ما يمكن ان نلاحظه في ارتفاع اعداد الزائري ومن مختلف البلدان والقارات يدل على حالة امنية مستقرة ومسيطر عليها.

وقد قامت الاستراتيجية الأمنية على وجود عدد من الاستراتيجيات والتنوع في استخدامها، كالاستراتيجية الشاملة والاستباقية فضلا عن إدارة الحشود، وقد كانت لمرونة تطبيق هذه الاستراتيجيات الدور الإيجابي في الانعكاس على الواقع الأمني في كربلاء.

أهمية البحث

التركيز على الجهود الأمنية التي تعمل على خلق حالة امنية مستقرة تسهم في نجاح زيارة الأربعين، عبرة تطبيق عدد من الاستراتيجيات الأمنية.

إشكالية البحث

إشكالية البحث تتركز حول تساؤلات الاتية:

١. ماهي زيارة الأربعين وماهي التهديدات الأمنية التي تواجهها؟
٢. ماهي الاستراتيجات الأمنية المطبقة في هذه الزيارة ؟
٣. ماهو تقييم هذه الاستراتيجيات ؟

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٧)

فرضية البحث

ان تنوع الاستراتيجيات الأمنية ومرونة تطبيقها ساهم في خلق حالة من الاستقرار والامن خلال زيارة الأربعين المباركة.

منهجية البحث

من خلال هذا البحث فقد تم استخدام المنهج التحليلي النظمي لانه أسلوب بحثي يهدف إلى دراسة الظواهر من خلال تحليل البيانات وتفسيرها للوصول إلى استنتاجات دقيقة، وفي هذا المنهج، يتجاوز الباحث مجرد وصف الظاهرة إلى تفسير أسبابها وتفاصيلها وعواملها المؤثرة.

التمهيد

الإطار المفاهيمي لزيارة الأربعين والتحديات الأمنية

أولا: مفهوم وأهمية زيارة الأربعين:

زيارة عاشوراء او اربعينية الامام الحسين عليه السلام هي زيارة سنوية في العراق يخلد فيها ذكرى يوم عودة عائلة الحسين بن علي عليه السلام إلى كربلاء(Farah Al-Ansari and researchers group, 2020.)، وتقع مدينة كربلاء في وسط العراق تبعد عن العاصمة بغداد ١١٤ كم ، يحدها من الشمال محافظتي (بابل والانبار) ومن الشرق محافظة (بابل) ومن الجنوب والغرب محافظتي (النجف والانبار)(ميثم لعيبي اسماعيل وجعفر طالب احمد،٢٠٠٧، ص١٤٠.) ، كما تمثل منطقة النخيب محاذية لمحافظتي النجف وكربلاء وهي خط الحماية لهاتين المدينتين، كما تعد في نفس الوقت جواراً جغرافيا لدول الجوار (السعودية الأردن)(عمر كامل حسن، ٢٠١٨، ص٩٥).

وان مدينة كربلاء مدينة دينية اشتهرت في التاريخ الإسلامي، وذكر ياقوت الحموي ان للفظة كربلاء لها عدة أوجه ابرزها: "الكربلة" رخاوة في القدمين، يقال جاء يمشي مكربلاً فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموقع رخوة فسميت بذلك. ويقال كربلت الحنطة إذا هززتها ونقيتها... فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاه من الحصى والدغل فسميت بذلك والكربل اسم نبت الحماض(بشير يوسف فرنسيس ، ٢٠١٧، ص٨٧٦.).

ان أهمية هذه الزيارة لها عدة أوجه، فهي دينية وثقافية وحتى سياسية، لاسيما بفعل الاعداد الهائلة التي تقصد هذه المدينة لزيارة المراقد الدينية المقدسة، وتحضا زيارة الأربعين أهمية بالغة في نفوس المسلمين وتمثل تجديد العهد لمبادئ الثورة الحسينية المقدسة.

ثانيا: التهديدات الأمنية المحتملة:

١. الإرهاب:

يمثل الإرهاب ابرز التهديدات التي قد تواجه زيارة الأربعين المباركة، لاسيما وانه يسهم في خلق حالة من عدم الاستقرار الأمنية بفعل ما يقوم به من تعرض لهذه الزيارة كالانفجارات وتسمم الطعام وغيرها، والإرهاب من المفاهيم التي أثارت جدلا من حيث ضبط مفهوم واحد تتفق عليه وحدات المجتمع الدولي وخاصة في ظل المتغيرات الدولية الراهنة التي جعلت منه أكثر مرونة، وتعقيدا، مما أدى إلى غياب مرجعية قانونية موحدة لتحديد الفعل الإرهابي من جهة وإمكانية وجود التزام قانوني موحد وغير خاضع لمصالح أي دولة من جهة أخرى. من الناحية اللغوية مصطلح الإرهاب مستمد من الفعل أرهب بمعنى خوف وأرعب وأفزع أما الإرهابي فهو الذي يسلك سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهداف سياسية(ولد الصديق ميلود، ٢٠١٧، ص٧٠.).

٢. التطرف:

يعرف التطرف بانه المغالة في تطبيق بعض التعاليم الدينية او المغالاة في الدفاع عن فكر سياسي معين، وانه تجاوز حد الاعتدال في ما يراها اخرون، كما يعني الخروج عن القواعد الفكرية والمعايير والقيم والاساليب الساعدة في المجتمع معبرا عنه بالانسحاب والسلبية وتبني قيم ومعايير مختلفة قد يصل الدفاع عنها الى حد الاصطدام بالمجتمع والعنف(ايلاف الاسدي، ٢٠٢٣، ص١٣)، والتطرف يعني «الإيمان بالأفكار البعيدة جدًا عما يعتبره معظم الناس صحيحا أو معقولاً، ودعم هذه الأفكار، إذًا، يشير «التطرّف» إلى المواقف أو السلوكيات ، تعدّ خارجة عن المألوف، ولعلّ هذا المفهوم المعجمي الأساسي يسلّط الضوء على الطبيعة الذاتية للمصطلح نفسه الذي قد يتّخذ معاني مختلفة تبعًا للجهة التي تحدّد العُرف وتقرّر ما هو مقبول أو غير مقبول على هذا الأساس(كيان تانغ، ٢٠١٨، ص١٩).

يمثل التطرف تهديدا متجدد لزيارة الأربعين بفعل ما يتم تشويهه عن هذه الزيارة ونسب بحض الأمور لها، وهي بعيدة عنهاأ وعلى الرغم من التطرف يختلف من بلد الى الاخر، الا اننا قد نواجه كتحدي لزيارة الأربعين، بفعل بعض الأفعال والمغالات بها.

٣. حوادث التدافع:

تمثل حوادث التدافع من التهديدات الأمنية المهمة التي يتعرض لها زوار أبا الشهداء ﷺ، وهذه الحوادث قد تسجل خلال زيارة الأربعين المباركة فضلا عن ركضة طويريج وما حدث عام ٢٠١٩ خلال ركضة طويريج ومقتل عدد من الافراد وجرح اخرين جراء التدافع مثل تهديد امني للزئرين(2u.pw/mQv3V)، كما شهد عام ٢٠٢٣ تدافع الان حجم هذا التدافع قدر بالبسيط ولم تقع اضرار جراءاه(https: 2u.pw/3CIri).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

المبحث الاول
الاستراتيجيات الأمنية المعتمدة في زيارة الأربعين

تمثل الاستراتيجيات الأمنية المعتمدة أبرز المواضيع التي ترتبط بزيارة الأربعين المباركة، بفعل ما لهذه الاستراتيجيات من دور في نجاح زيارة الأربعين، وتختلف الاستراتيجيات المطبقة خلال فترات الزيارات، كما انها تخضع لعوامل التغيير المفاجئ الذي قد يطرأ، وللتعرف على الاستراتيجيات التي تعتمد سنتناول ذلك من خلال الاتي:

المطلب الأول
الخطة الأمنية الشاملة

تتخذ الإستراتيجية الأمنية من طرف واحد وتدخل في إطار إستراتيجيتها الأمنية الوطنية؛ وتشمل كل ما يتخذ من تدابير لتوفير الأمن سواء على المدى القصير أو البعيد(https://2u.pw/zzG6J) ، ويقوم هذا المفهوم (الإستراتيجية الشاملة) على إنشاء منظومة تجمع الحلفاء والخصوم في بوتقة واحدة، بحيث تشمل المعادلة جميع الأطراف(العابدين، ٢٠٢٤، ص ٢٦٠)، وتقوم الاخطة الأمنية الشاملة لزيارة الاربعين على توفر عدة معايير نستطيع ان نتناولها من خلال الاتي:

أولا - اعداد الخطة

ان اعداد الخطة لزيارة الأربعين تشترك فيها عدد من الأجهزة الأمنية وهذه الأجهزة غالبا ماتكون متمرسة في مواضع الزيارة، ولها خبرة في مسك بعض المناطق، ويقول العمي مقداد ميري الناطق باسم اللجنة الأمنية العليا لتأمين زيارة الأربعين، ، أن «الخطة الأمنية التي يتم وضعها لتأمين زيارة الأربعين تبدأ منذ عدة أشهر، وتكون

على ثلاث مراحل، الأولى كانت مرحلة العمليات الاستباقية التي بدأت قبل ٦ أشهر ومستمرة لغاية الآن، والمرحلة الثانية هي فحص وتجريب القطاعات على الأرض، والثالثة هي مرحلة التنفيذ المباشر التي دخلنا بها»، أن «الأجهزة الأمنية مسكت الأرض منذ ٥ آب وستستمر حتى خروج آخر زائر من كربلاء(https://2u.pw/vUifo).

ثانيا - انتشار القوات الامنية:

من خلال الزيارات المتعاقبة للأربعين كانت هناك مشاركة واسعة لقطعات وزارتي الدفاع والداخلية وهيئة الحشد الشعبي، إضافة إلى الجهد الخدمي للوزارات، وكل الجهود مستنفرة لإنجاح هذا الزحف المليوني، وان انتشار القوات الأمنية ليست فقط في كربلاء المقدسة وانما في كل المحافظات التي يمر بها الزائرين الكرام، وغالبا مايكون الانتشار وفق إمكانيات هذه القوات وعددها.

ثالثا - الطوق الامني:

ان الطوق الأمني الذي يفرض على هذه الزيارة يختلف من المحافظات بصورة عامة وكربلاء المقدسة بصورة خاصة، وهذا الطوق يفرض في كربلاء بصورة مشددة، لتأمين حماية المدينة ومن قبل قيادة شرطة محافظة كربلاء بإسناد فرقة العباس القتالية وبنظام ٣ أطواق، ويتم تقسيم المداخل المؤدية إلى المحافظة إلى ثلاثة محاور (الشمالي والشرقي والجنوبي) اما الاطواق الأمنية فتكون كالاتي(https://ina.iq/214841--.html):

١. مناطق الانطلاق والعبور التي تؤدي إلى كربلاء المقدسة وهي (كركوك وصلاح الدين وبغداد وديالى والديوانية وواسط والمثنى وذي قار وميسان وأربيل والسليمانية) والبعض منها فيها منافذ وحركة للزائرين.
٢. مناطق عبور إلى كربلاء المقدسة»، لافتا إلى، أن «المحافظات الأخرى التي تشكل حزاما يحيط بكربلاء المقدسة (بغداد وبابل والنجف الأشرف والأنبار).
٣. محافظة الحدث هي كربلاء المقدسة.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

رابعا - توزيع الأدوار:

يشمل توزيع الأدوار توزيع القوات الأمنية المشاركة في هذا الحدث العظيم وعلى اختلاف صنوفها تشترك القوات الأمنية كلا حسب المنطقة التي يوزع حولها وبسبب عدم توفر بيانات توزيع القوات الأمنية سوف نسلط الضوء على القوات التي تأمن الزائرين داخل مدينة كربلاء وخلال سنوات مختلفة ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الجداول الاتية:

١.مديرية مرور كربلاء:

جدول رقم (١) الملاكات البشرية والاليات المشاركة في زيارة الاربعين

ت	السنة	الملاكات البشري	الاليات
١	٢٠١٧	٩٣٠	٦٧
٢	٢٠١٨	٧٨٢	٢٢٧
٣	٢٠١٩	٩٦٤	٣٤٣
٤	٢٠٢٠	٩٨١	٣٣٣
٥	٢٠٢١	١٠٥٩	٣١٦
٦	٢٠٢٢	١٠٠٨	٢٩٢
٧	٢٠٢٣	٩٦٧	٣٠٢
٨	٢٠٢٤	١٥٢٥	٢٤٨

جدول من اعداد الباحث بالاعتماد على:

- مركز كربلاء، سنوات مختلفة، ٢٠١٧_٢٠٢٤

٢. الدفاع المدني:

جدول رقم(٢) قوات الدفاع المدني المشاركة في زيارة الأربعين

ت	السنة	الكادر البشري	عدد الاليات
١	٢٠١٧	٩٣٠	٦٧
٢	٢٠١٨	٩٣٥	٩٢
٣	٢٠١٩	٩٢٤	١٥١
٤	٢٠٢٠	٨٢٣	١٦٩
٥	٢٠٢١	٨٨٤	١٢٤
٦	٢٠٢٢	٩٠٦	١١٧
٧	٢٠٢٣	١٢٦٦	٢٠٤

جدول من اعداد الباحث بالاعتماد على:

- مركز كربلاء، سنوات مختلفة، ٢٠١٧_٢٠٢٤.

٣.قوات الشرطة :

جدول رقم (٣) اعداد القوات الأمنية المشاركة سنوات مختلفة

ت	السنة	الكوادر البشرية في كربلاء	الاليات
١	٢٠١٥	٢٥٠٠٠	ـــــ
٢	٢٠١٦	٢٤٠٠٠	ـــــ
٣	٢٠١٧	١٩٦٠٨	٥٣
٤	٢٠١٨	١٨٧١٦	١٩٣٢
٥	٢٠١٩	١٧٦٧٨	١٤٨٢
٦	٢٠٢١	٣٠١٩٩	٢٤٧٨
٧	٢٠٢٢	٣٠١٩٩	٢٤٧٨
٨	٢٠٢٣	٢٥٣٨٢	٢٧٧٥
٩	٢٠٢٤	٢٩٥٧٠	٣٣٨٨

جدول من اعداد الباحث بالاعتماد على:

- قيادة عمليات كربلاء تصريحات قائد عمليات كربلاء لأعوام مختلفة.
- مكتب محافظ كربلاء المقدسة.
- هيئة الحشد الشعبي.
- مركز كربلاء، النشرة الاحصائي.

ان تنوع القوات الأمنية المشاركة في هذه الزيارة وزيادة عددها اعطى زخم الى الاستراتيجية الشاملة، ف ان تكون على مستوى عالي من الدقة والتنظيم، لذا غالبا ماتكون هذه الاستراتيجية ناجحة، لذا من خلال ماتقدم يتضح ان الاستراتيجية الشاملة تتخذ عبر مراحل، وتشترك فيها عدد من القوات، وهذه الاستراتيجية وخلال السنوات الأخيرة كانت على مستوى عالٍ من التطبيق والتنفيذ.

المطلب الثاني

الاستراتيجية الاستباقية (الجهد الاستخباري)

ذهب هارولد ولينسكي في كتابه «الاستخبارات المؤسسية» (Organizational Intelligence) والصادر في عام ١٩٧٦، إلى تعريف الاستخبارات بصورة ضيقة جدًا، ليحصرها في بعد واحد فقط هو «جمع المعلومات وتحليلها»(منصور، ٢٠٢٣، ص٢٢)، كما يعرف الجهد الاستخباري على انه التجسس على نشاط سري، يقوم به جهاز استخبارات بهدف التعرف على مجموعة من الأسرار، يتم ذلك وقت الحرب، أو النزاع أو المسلح، كما يتم أيضا أثناء السلم، سواء في المؤسسة العسكرية، أو المؤسسات الصناعية(قاسم، ٢٠١٥، ص٩.)، ويتمثل الجهد الاستخباري في زيارة الاربعين عبر عدة مراحل ابرزها:

أولا- جمع المعلومات :

مع اقتراب موعد الزيارة الاربعينية تدخل القواتنا الأمنية في حالة الاستنفار، من خلال قيام الأجهزة الأمنية والاستخبارية بالبحث عن المعلومات الكافية لتأمين الزيارة، وفي تصريح لرئيس خلية الإعلام الأمني، تحسين الخفاجي "قال لدينا خطتان أمنية وخدمية، الأولى تتضمن تكثيف الجهود الاستخبارية والأمنية وتنفيذ عمليات نوعية لتعقب وملاحقة العدو في المناطق المحتملة، والثانية هي تعزيز الطوق الأمني في مداخل ومخارج مدينة كربلاء المقدسة، وهناك أيضاً جهود كبيرة من قبل قواتنا الأمنية من خلال المراقبة الجوية وزيادة عدد الكاميرات وتسيير الدوريات سواء من قبل سلاح الجو أو طيران الجيش»، مشيراً إلى أن «هناك طرقاً قد تم فتحها لتسهيل حركة الزائرين»(https://ziyartearbaeen.org/news-details.php?nid=).

ونقلا عن وزير الداخلية العراقي عبد الأمير الشمري يقول» بدأنا مبكراً بخطة تأمين زيارة أربعينية الإمام الحسين ﷺ بشكل وثيق مع الخطة الخدمية، وأضاف ان تنفيذ الخطة الأمنية سبقها معلومات استخبارية لخلق المناخ الآمن بنحو ١٩١ معلومة استخبارية، وأوضح أنه تم تأمين جميع الطرق المؤدية لكربلاء المقدسة وحماية المواكب.

من خلال ذلك يتضح ان القوات الأمنية تعمل على جمع المعلومات الاستخبارية وتقوم بهجمات استباقية من اجل تأمين الزيارة المباركة.

ثانيا- العمليات الاستباقية:

تمثل العمليات الاستباقية من ابرز الاستراتيجيات الي تستخدم قبل زيارة الأربعين وهذه العملية تعطي زخم اكبر للأجهزة الأمنية من اجل إضفاء الامن، وقد أعلنت قيادة العمليات المشتركة تنفيذ عمليات أمنية استباقية تهدف إلى تأمين وإنجاح زيارة أربعينية الإمام الحسين ﷺ، وقال المتحدث باسم القيادة اللواء تحسين الخفاجي « إن العمليات الاستباقية مهمة ولها تأثير إيجابي على قيادات عمليات كربلاء والأنبار وبغداد، وأضاف أن العمليات رافقتها جهود جوية واستخبارية واستطلاعية لتوفير الحماية للزائرين(https://imamhussain-fm.com/iraq/65246).

ثالثا- استخدام التكنلوجية الحديثة:

يمثل استخدام التكنلوجيا الحديثة من ابرز الأمور التي تقع على عاتق المسؤولين في اعداد الخطط والاستراتيجيات من اجل نجاح زيارة الأربعين، وحتى ترتقي الجهات المسؤولة في حماية هذه الزيارة اخذت العتبتين المقدستين في استخدام الوسائل الحديثة من اجل مراقبة الوافدين وقد نتج عن ذلك استخدام برامج الذكاء الاصطناعي، قال مسؤول شعبة المراقبة الالكترونية التابعة لقسم حفظ النظام في العتبة الحسينية نصير

عبد الامير إن "هذه الزيارة تشهد ولأول مرة استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بصورة فعلية من خلال عد الزائرين عن طريق تحليل الوجه، وليس كما في السابق من خلال عد الجسد البشري" كما ان هذه التقنيات احتمالية الاخطاء شبه معدومة ونتائجها بالغالب دقيقة(سلمان و ابوخويط، ٢٠٢٤، ص١٨٢).

من خلال ماتقدم يتضح ان العمل الاستخباري مهم جدا وعلى الرغ من عدم توفر المعلومات الكافية عنه، الا ان مايلاحظ وجود عدد من العمليات الدقيقة، للقبض على العناصر الإرهابية والمخربة، وحتى المطلوبين للقانون.

المطلب الثالث

استراتيجيات إدارة الحشود وتنظيم حركة الزوار

يعد توقع عدد المحتشدين عاملا مهما من عوامل التنظيم الجماعي لأن كتلة وعدد الحشد يمكن أن تشير إلى مشاكل محتملة تتطور من المشاركين، وان حساب عدد الأفراد أبسط نهج لتقييم حجم الحشد، كما ان استراتيجية إدارة الحشد تعتمد على ما يتوفر لهم من نقل وسكن وطعام وغيرها(رمزي واخرون، ، ٢٠٢٤، ص٥٤٦) ، وتتبع الجهات المعنية استراتيجية إدارة الحشود بناء على عدة متغيرات ابرزها:

أولا: عدد الزائرين:

ان زيارة الأربعين المباركة بعد عام ٢٠٠٣ اخذت بالتوسع والتطور، فبعد حقبة كانت تمنع الذهاب سيرا على الاقدام الى زيارة سيد الشهداء، وبحدوث التغيير السياسي بعد عام ٢٠٠٣ اخذ الزائرين يأتون من كل بقعة من العالم لزيارة سيد الشهداء، ويمكن ملاحظة عدد الزائرين من خلال جدول رقم.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٧)

جدول (٤) أعداد الزائرين سنوات مختلفة

ت	السنة	عدد الزائرين
١	٢٠١٧	١٥٣٨٥٠٠٠
٢	٢٠١٨	١٧٠٠٠٠٠٠
٣	٢٠١٩	١٥٢٢٩٩٥٥
٤	٢٠٢٠	١٤٥٥٣٣٠٨
٥	٢٠٢١	١٦٣٢٧٥٤٢
٦	٢٠٢٢	٢١١٩٨٦٤٠
٧	٢٠٢٣	٢٢٠١٩١٤٦
٨	٢٠٢٤	٢١٤٨٠٥٢٥

جدول من اعداد الباحث بالاعتماد على النشرات الأحصائية لمركز دراسات كربلاء الخاصة بالزائرين.

ثانيا: وسائل نقل الزائرين:

ان توفير طرق ووسائل نقل يستند الى مايوجد على جوانبها من محافظات فتكون هذه الطرق والوسائل ارتباطية مع المحافظات الأخرى، وعلى الرغم من ان طرق النقل كانت ولازالت تمثل تحدي كبير الا هناك تطور ملموس ظهر من خلال الأعوام الأخيرة، وقد تشارك مختلف الجهات الحكومية مع القطاع الخاص في عملية تفويج الزائرين ويمكن ملاحظة عدد المركبات المشاركة في تفويج الزائرين من خلال جدول رقم(٥).

جدول (٥) أعداد المركبات سنوات مختلفة

ت	السنة	عدد المركبات
١	٢٠١٧	٤٨٣٦٨
٢	٢٠١٨	٢٥٢٥٧
٣	٢٠١٩	١٦٥١٣
٤	٢٠٢٠	٩٧٨٧٥
٥	٢٠٢١	٣١٣٨١
٦	٢٠٢٢	٤٤٣٥٩
٧	٢٠٢٣	٢٨٥٩٧
٨	٢٠٢٤	٢٦٠٨٢

جدول من اعداد الباحث: بالاعتماد على النشرات الأحصائية لمركز دراسات كربلاء الخاصة بالزائرين.

وفيما يتعلق بملف نقل الزائرين، عبر المطارات والقطارات يبيّن المتحدث باسم وزارة النقل العراقية، ميثم الصافي «هناك ٣ مطارات رئيسية للزائرين (البصرة، النجف، بغداد)، وهناك زيادة في عدد الرحلات القادمة إلى مطارات (بغداد ٧٤ رحلة) و(النجف ١٠٢ رحلة)، أما مطار البصرة فهو الأقل عن بغداد والنجف لبعد محافظة البصرة عن كربلاء، كما هناك مشاركة للخطوط الجوية العراقية بـ٢٦ طائرة ومشاركة للتشكيلات الأخرى من خلال مركباتها العاملة ضمن تشكيلاتها»، أما رحلات القطارات، فيقول الصافي إنه «تم نقل ١٨ رحلة من البصرة باتجاه كربلاء، و١٠ رحلات من بغداد إلى كربلاء، وعملية التفويج مستمرة، ولم نسجل أي مشاكل في النقل لغاية الآن»(https://2u.pw/vUifo).

ثالثا: الخطة الصحية

يتعلق الموضوع الصحي من ابرز واهم المواضيع التي تتعلق بأدارة الحشود الكبيرة لاسيما وان حرارة الجو او برودته، تؤثر على الزائرين فيما يتعلق بالخطة خارج

كربلاء فأن المحافظات تشارك عبر الكثير من المفارز الطبية والستشفيات وحتى المتطوعين، اما في داخل كربلاء، يوضح المتحدث باسم دائرة صحة كربلاء، محمد طوفان، أن «دائرة صحة كربلاء ووزارة الصحة والحكومة المحلية بدأت بالخطة الصحية، أن «خطة هذا العام لها ثلاثة محاور أساسية، الأول محور (كربلاء – بغداد)، والثاني (كربلاء – بابل)، والثالث (كربلاء – نجف)(https://2u.pw/vUifo)، ويمكن ملاحظة عدد المرافق الصحية والملاكات البشرية من خلال جدول رق(٦)

جدول رقم (٦) أعداد المرافق الصحية سنوات مختلفة

ت	السنة	عدد المستشفيات	اعداد المفارز	اعداد الملاكات البشرية
١	٢٠١٧	٨	٧٦	٩٢٣٠
٢	٢٠١٨	٨	٨٩	١٢٥١٢
٣	٢٠١٩	١٣	٧٥	١٢١٦٩
٤	٢٠٢٠	١٨	٦٣	١٣٠٠٠
٥	٢٠٢١	١٦	١٤٥	١٤٠٠٠
٦	٢٠٢٢	١١	٤٤	١٤٠٠٠
٧	٢٠٢٣	٨	٨٨	١٦٠٠٠
٨	٢٠٢٤	٨	١٣٠	١٩٠٠٣

جدول من اعداد الباحث: بالاعتماد على النشرات الأحصائية لمركز دراسات كربلاء الخاصة بالزائرين.

من خلال ماتقدم يتضح ان استراتيجية إدارة الحشود تمحورت بين اعداد الزائرين الهائلة، وتوفير وسائل النقل لهم، فضلا عن التأمين الصحي، وعلى الرغم من هناك بعض التحديات الاننا نلاحظ تحسن عن السنوات السابق.

المبحث الثالث

تقييم فعالية الاستراتيجيات الأمنية والتنسيق

ان تقيم فاعلية الاستراتيجيات المطبقة يأتي بناء على ما لهذه الاستراتيجيات من دور في تحقيق الامن، وان ماتم ملاحظته من عام ٢٠١٤والى العام ٢٠٢٤ هو نجاح الخطط الأمنية وسوف نتناول ذلك من خلال الاتي:

المطلب الأول

تحليل نقاط القوة في الاستراتيجيات المطبقة

أولا- القضاء على تنظيم داعش الإرهابي:

ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام – المعروف باسم داعش وتوسعه استطاع ان يستولي على عدد من الأراضي العراقية، هادفا الى تكوين دولة في هذه المنطقة(فكري، ٢٠٢١،ص١٦٥)، وعلى أساس ظهور داعش افتى المرجع الأعلى اية الله السيد علي السيستاني دام ظله بفتوى الجهاد الكفائي، ان فتوى المرجعية قد ساهمت في تكامل المنظومة الأمنية، مساند لوجود القوات المسلحة والأجهزة الأمنية، لذا كانت فتوى المرجعية الدينية ذات أثراً فاعلاً في وقف تمدد تلك التنظيمات الإرهابية(بعير، ٢٠١٨، ص٣٨_٣٩).

اسهم القضاء على تنظيم داعش الإرهابي في المناطق المحيطة بكربلاء بصورة خاصة، والمحافظات العراقية بصورة عامة في دفع الإرهاب والعمليات الإرهابية عن التعرض الى زائرين سيد الشهداء، وان ما رأيناه من عام ٢٠١٤ ولغاية عام ٢٠٢٤ من عدم وجود انفجارات تضرب الزائرين مثل ماكانت قبل هذه الفترة خير دليل على ذلك.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ ، آذار - ٢٠٢٦ م

ثانيا- تراكم الخبرات ودخول أجهزة جديدة:

ان تراكم الخبرات من المواضيع المهمة والحيوية التي اخذ تتمتع بها الجهات المعنية بأمن زيارة الأربعين، لذلك أسهمت هذه الخبرات في زيادة الزخم الأمني ومسك أماكن رخوة، فضلا عن ذلك اخذت القوات المعنية بهذه الزارة بأستخدام أجهزة عالية الدقة والحداثة، تعمل على التعرف على الزائرين من خلال وجوههم.

وقال رئيس القسم المهندس رسول عباس فضالة في حديث للموقع الرسمي للعتبة الحسينية، إنه «بتوجيه مباشر من قبل ممثل المرجعية الدينية العليا، والمتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، تم نشر المزيد من الكاميرات المتطورة مع تفعيل نظام التعرف على الوجوه الذي يتيح متابعة ورصد الحالات المشبوهة او المطلوبين للقضاء العراقي والاجهزة الأمنية، بلغ عدد الكاميرات المحيطة بمركز المدينة القديمة والمرقد الشريف (١٨٠٠) كاميرا حديثة(https://imamhussain.org/arabic).

ثالثا- التنسيق العالي بين القوات المشتركة:

ان التنسيق بين القوات الأمنية وصل الى اعلى مستوى من التنسيق وهذا بفعل توزيع الأدوار بين القوات المشاركة فضلا عن وجود غرفة عمليات مشتركة تضم وزارة الداخلية، الدفاع، الأمن الوطني، الحشد الشعبي، والشرطة المحلية، هذا اعطى الى الخطط الأمنية الأفضلية العليا في النجاح.

ففي عام ٢٠٢٣ على سبيل المثال شاركت في هذه الزيارة صنوف مختلفة من القوات الأمنية ولاتقتصر على قوة دون أخرى، وقد وضح المتحدث باسم القيادة اللواء تحسين الخفاجي إن «عشرين ألفاً من الجيش والشرطة والحشد الشعبي وأجهزة أمنية أخرى كالمخابرات والأمن الوطني والاجهزة الاستخبارية سيشاركون، اما في

الخطة في عام ٢٠١٥ تم مسك أماكن هامة من قبل قوات الحشد الشعبي والتي عملت معها باحترافية عالية، من خلال قيامها باستطلاعات جوية وقد أجرت وقيادة فرقة العباس ﷺ (سلمان وابوخويط، ص١٧٦_١٧٧)، وهذا يدل على توزيع الأدوار حسب الإمكانات التي تتمتع بها هذه القوات.

رابعا: الدعم الشعبي والمواكب.

خامسا: مرونة استجابة الخطة .

المطلب الثاني
تحديد التحديات ونقاط الضعف

تواجه الاستراتيجية الأمنية لزيارة الأربعين عدد من التحديات التي بعضها يتعلق في الامن واخر لايتعلق بالامن، الا ان هذه التحديات معظمها يصب في تحدي لهذه الزيارة ومن ضمن هذه التحديات هي الاتي:

أولا: تهديد الجماعات الإرهابية:

على الرغم من ان القوات الأمنية عملت على تصفية الجماعات الإرهابية، الا ان التغيير الذي يحصل في بعض الدول المجاورة على أسس طائفية، قد يجعل هذه الزيارة عرضة الى خطر الجماعات الإرهابية.

ثانيا: الزخم البشري الهائل:

ان زيادة اعداد الزائرين يجعل من هذه الزيارة في تحدي دائم، وعلى الرغم من تعاون الشعب العراقي في تأمين المأكل والمسكن، الا ان موضوع النقل غالبا ماكان تحدي يواجه هذه الزيارة، فعلى الرغم الزيارات الكثيرة بعد عام ٢٠٠٣ الا انه لم يتم وضع حد للنقل كأنشاء مترو مثلا، ولو اخذنا نضرة على موضوع النقل من خلال جدول رقم(٧) لوجدنا ان بعض وسائل النقل هي مخصصة لغير الزائرين مثل سيارة(التريلة).

جدول (٧) أعداد المركبات(التريلة) سنوات مختلفة

ت	السنة	عدد المركبات
١	٢٠١٨	٦١٠
٢	٢٠١٩	٧٠٠
٣	٢٠٢٢	٦٩٢

جدول من اعداد الباحث: بالاعتماد على النشرات الأحصائية لمركز دراسات كربلاء الخاصة بالزائرين.

فضلا عن ذلك ان تدفق ملايين الزوار سيرًا على الأقدام يؤدي إلى صعوبة المراقبة والسيطرة التامة على الطرق، فضلا عن الازدحام يعيق حركة القوات الأمنية وسرعة الاستجابة للحوادث، وهذا مازال تحدي.

ثالثا: التلوث:

يمثل هذا الموضوع من اهم المواضيع التي تتعلق بحياة الزئر الكريم، لذا فقد لوحظ زيادة في نسب بعض الغازات الامر الذي يمكن ان ينعكس سلبا على الزائر الكريم وعلى محافظة كربلاء وفي دراسة عام ٢٠٢٢ فقد لوحظ تجاوزت كمية تركز CO عن الحدود المسموح بها عالميا لتصل الى ٣٦٣٥٠،٤١٦ ppm كمعدل ساعة يومياً اثناء زيارة الاربعين. بلغت كمية تركزت غاز so_2 50.000.000 ppm وهي قد تجاوزت الحدود المسموح بها عالمي، فضلا عن ذلك فقد بلغ معدل العام لغازno_2 0.00200 ppm في الهواء وان تركزه في الهواء يعتبر مرتفع وغير امن على الصحة(جاسم و شكر، ٢٠٢٢، ص٢٣٤).

الخاتمة

من خلال ماتقدم يتضح ان الاستراتيجة الأمنية كان لها الدور الكبير في نجاح زيارة الأربعين بعد عام ٢٠١٤، وهذا النجاح دعم بعدد من العوامل التي أسهمت في توفير الظروف الملائمة لهذه الزيارة، وسوف نستعرض ذلك من خلال الاستنتاجات والتوصيات الاتية:

أولا: الاستنتاجات:

١. ان زيارة الأربعين هي شعيرة من الشعائر المهمة لدى المسلمين الشيعية، في العشرين من صفر، يقصدون بها زيارة الامام الحسين ﷺ لتجديد البيعة والسير على نهجه.

٢. التهديدات الأمنية التي تواجه هذه الزيارة تتمثل في الإرهاب والتطرف وحوادث التدافع، وهذه التهديدات بالرغم من اختلاف مستوى تهديها، الا أي تهاون اتجاهها قد يعرض الزيارة المباركة الى حدوث خلل.

٣. تطبق الجهات المعنية عدد من الاستراتيجيات وابرزها الاستراتيجية الشاملة التي تقوم على اعداد الخطة الأمنية، وعمل طوق امني فضلا عن توزيع الأدوار بين القوات الأمنية المشاركة، وزيادة زخم هذه الزوار بالعدة والعدد.

٤. كما تقوم بأستخدام استراتيجية بالاعتماد على الجهد الاستخباري، بفعل مايتوفر لديها من معلومات معتمدة في ذلك على وسائل تقنية حديثة، وعمليات استباقية.

٥. تستخدم استراتيجية إدارة الحشود في إدارة بعض العمليات، وهذه الاستراتيجية تعتمد بصورة مباشرة على عدد الزائرين، وتوفير المرافق الخدمية لهم مثل النقل والمرافق الصحية الأخرى.

٦. ان الخطة الأمنية لم تعد حتى يستخدم نوع واحد من الاستراتيجيات الأمنية وانما استخدام عدد من هذه الاستراتيجيات التي تم ذكرها، بناء على عدد الزائرين، طرق الزخم، وحالات الطوارئ.

٧. نجحت الجهات المعنية في الحد من الخطر الذي يواجه زيارة الأربعين وهذا المر يرجع الى القضاء على الإرهاب فضلا عن تراكم الخبرات، والتنسيق العالي بين القوات المشتركة، فضلا عن المساعدة التي تقدمها المواكب.

٨. تواجه الخطة الأمنية تحديات تتعلق برجوع الإرهاب بناء على تغييرات حدثت في دول الجوار، فضلا عن عوامل أخرى تتعلق في التلوث والنقل.

التوصيات

١. تفعيل الجهد الاستخباري في الأماكن الرخوة التي قد تكون خللا على زيارة الأربعين.

٢. استخدام وسائل تكنلوجية حديثة، لاسيما مايتعلق في مقاومة طائرات المسيرة.

٣. توفير وسائل نقل حديثة للزائرين.

٤. بناء مشاريع عملاقة تتعلق بالمرافق الصحية.

٥. الحد من التلوث وانبعاثات الغازات من خلال استخدام الطاقات الشمسية وغيرها.

قائمة المصادر

١. Farah Al-Ansari and researchers group , Arbaeen public health concerns: A pilot cross-sectional survey, Travel Medicine and Infectious Disease, Volume 35, 2020.

٢. ميثم لعيبي اسماعيل وجعفر طالب احمد، تخطيط السياحة الدينية في كربلاء المقدسة واسهامها في تنمية الدخل القومي، المجلة العراقية للعلوم الإدارية، العدد ١٥، ٢٠٠٧، ص١٤٠.

٣. عمر كامل حسن، المتغيرات الجيوسياسية القادمة في العراق في ضوء السلوك السياسي الخارجي والداخلي، دار الخليج، عمان، ٢٠١٨ص٩٥.

٤. بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج٢، أي-كتب، لندن، ٢٠١٧، ص٨٧٦.

٥. ولد الصديق ميلود، مكافحة الارهاب بين مشكلة المفهوم و اختلاف المعايير ج١، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، ٢٠١٧، ص٧٠.

٦. ايلاف الاسدي، إثر ظاهره التطرف على الاستقرار السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة الكوفة، ٢٠٢٣، ص١٣.

٧. كيان تانغ، منع التطرّف العنيف من خلال التعليم: دليلٌ لصانعي السياسات، الأمم المتحدة للتربية والتعليم، ٢٠١٨، ص١٩.

٨. العراق: ٣١ قتيلا ضحايا التدافع خلال زيارة عاشوراء في كربلاء، أي نيوز ٢٤، ٢٠١٩، الرابط: https://2u.pw/mQv3V

٩. ينظر: صحة كربلاء توضح حادث تدافع "ركضة طويريج" والداخلية تعلق على خطة زيارة عاشوراء، شفق نيوز، ٢٠٢٣، الرابط: https://2u.pw/3CIri

١٠. امينة حلال، الإستراتيجية الأمنية الأمريكية: المفهوم والتيارات الفكرية، المعهد المصري للدراسات، مصر، ٢٠٢٢، الرابط/ https://2u.pw/zzG6J

١١. بشير زين العابدين، النظريات الأمنية وتطبيقاتها في العالم العربي، مركز شارك الشبابي، ٢٠٢٤، ص ٢٦٠.

١٢. زيارة الأربعين مختلفة هذا العام.. "انسيابية عالية" في ظل خطة أمنية وخدمية "متميزة"، شفق نيوز، ٢٠٢٤، الرابط: https://2u.pw/vUifo

١٣. الداخلية تفصل خطة الزيارة الأربعينية: أمّنا المحافظات المؤدية إلى كربلاء المقدسة بالكامل، وكالة الانباء العراقية، ٢٠٢٤، الرابط: https://ina.iq/214841--.html

١٤. شادى عبد الوهاب منصور، الدراسات الامنية الدولية.. البعد الخفي في إدارة السياسة الخارجية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣، ص٢٢.

١٥. محمود قاسم، مفاهيم عصرية، دار البستاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥، ص٩.

١٦. رئيس مركز إدارة الأزمات يكشف عن الخطط لتأمين زيارة الأربعين، شعبة الأربعين، ٢٠٢٥، الرابط: https://ziyartearbaeen.org/news-details.php?nid=251

١٧. وزير الداخلية يعلن نجاح الخطة الأمنية الخاصة بزيارة الأربعين،

١٨. العمليات المشتركة تعلن تنفيذها عمليات امنية استباقية لتأمين زيارة الأربعين، إذاعة الروضة الحسينية، الرابط: https://imamhussain-fm.com/iraq/65246

١٩. عقيل فالح سلمان وزهراء فوزي ابوخويط، الاستراتيجيات الأمنية ودورها في نجاح زيارة الأربعين، مجلة الأربعين، المؤتمر الدولي الثامن، ٢٠٢٤، ص١٨٢.

٢٠. عبد الرحمن رمزي واخرون، تحليل وادارة الحشود باستخدام تكنولوجيا الطائرات المسيرة: نظرة عامة، مجلة الأربعين، عدد خاص ببحوث المؤتمر السابع، ٢٠٢٤، ص٥٤٦.

٢١. زيارة الأربعين مختلفة هذا العام.. "انسيابية عالية" في ظل خطة أمنية وخدمية "متميزة"، شفق نيوز، ٢٠٢٤، الرابط: https://2u.pw/vUifo

٢٢. زيارة الأربعين مختلفة هذا العام.. "انسيابية عالية في ظل خطة أمنية وخدمية "متميزة"، شفق نيوز، ٢٠٢٤، الرابط: https://2u.pw/vUifo

٢٣. مروة فكري، مدخل إلى العلاقات الدولية.. أزمة العولمة وآفاق العالمية، دار الكتاب المصري، مصر، ٢٠٢١، ص١٦٥.

٢٤. يوسف بعير، هيئة الحشد الشعبي التنظيم القانوني وحقوق الانسان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة ديالى، ٢٠١٨، ص٣٨_٣٩.

٢٥. (١٨٠٠) كاميرا مراقبة و(٣٠٠٠) متطوع.. استعدادات امنية وخدمية مكثفة تشهدها العتبة الحسينية لتقديم أفضل الخدمات للزائرين في زيارة عرفة وعيد الأضحى، الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٣، الرابط: https://imamhussain.org/arabic/38572

٢٦. عقيل فالح سلمان وزهراء فوزي، مصدر سبق ذكره، ص١٧٦_١٧٧,

٢٧. علي جاسم ودنيا شكر، تغير بعض خصائص ملوثات الهواء في مدينة كربلاء المقدسة اثناء زيارة الأربعين لعام ٢٠٢٢، ص٢٣٤.

الأربعين

ALARBA'IN

Semi-Annual Scientific Journal

Concerned with Publishing

The Research and Studies in Human Sciences

Issued by

The General Secretariate

of AL- Hussein Holy Shrine

Karbala Center for Studies and Research

Vol.4, 4th year , March 2026 A.M - Ramadan 1447 A.H

Supplement (7) A special issue of the ninth International Conference for the Ziyarte Al Arba'een